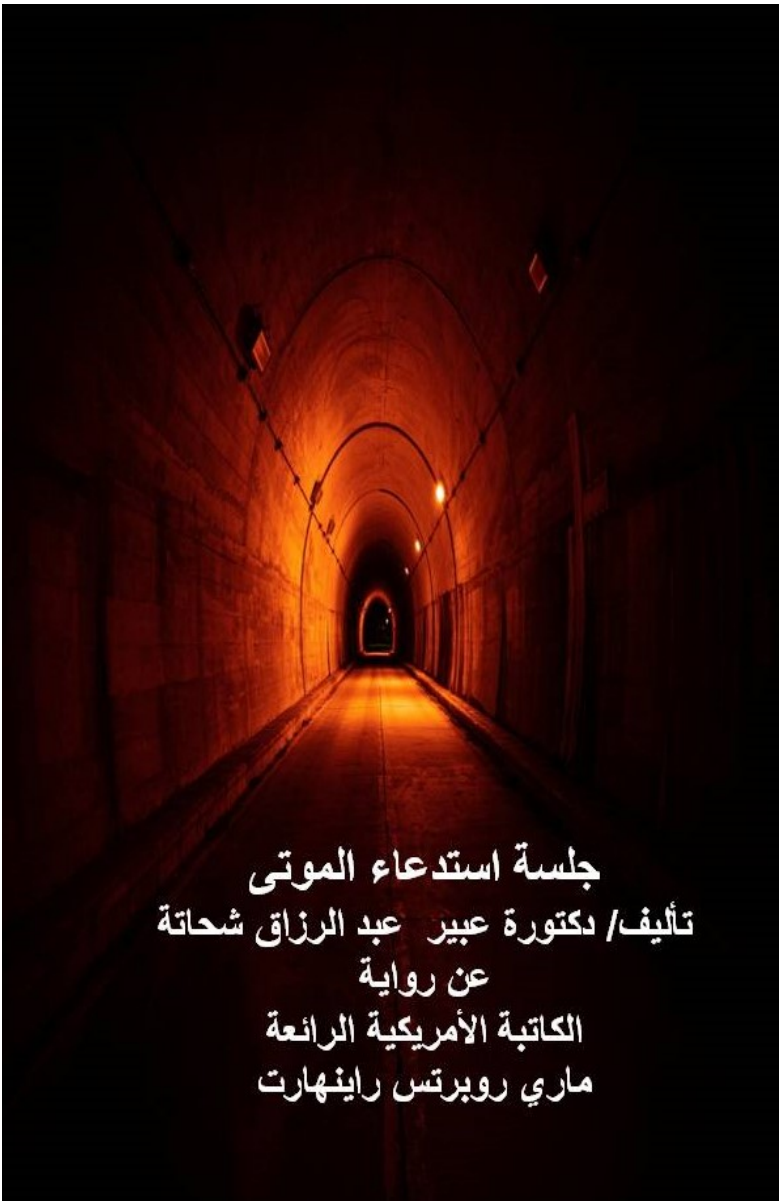
جلسة استدعاء الموتى
تأليف/ دكتورة عبير عبد الرزاق شحاتة
عن رواية
الكاتبة الأمريكية الرائعة
ماري روبرتس راينهارت

رواية
جلسة استدعاء الموتى
أو
مشاهد غير مرئية

تأليف
دكتورة/ عبير عبد الرزاق شحاتة

عن قصة الكاتبة الأمريكية الرائعة
ماري روبرتس راينهارت

رواية/ جلسة استدعاء الموتى أو
مشاهد غير مرئية

جميع الحقوق محفوظة للكاتبة: عبير عبد الرزاق إبراهيم شحاتة

عن قصة الأديبة الأمريكية: ماري روبرتس راينهارت

غلاف رواية جلسة استدعاء الموتى تم عمله على برنامج باور بوينت باستخدام خلفية عبارة عن صورة مجانية بالنسبة لحقوق الملكية الفكرية الخاصة بها من إنتاج الفنان/ صامويل بيرنر موضوعة على موقع Unsplash للصور المجانية.

samuel-berner-lXS5y5v280Y-unsplash(1).jpg

رقم الإيداع بدار الكتب: 14365/2022

رقم الترقيم الدولي:ISBN 978 - 977-94-2400-2

سوف يتعرض كل من يقوم بإستخدام هذا المؤلف بشكل غير مصرح به أو إعادة طبع هذا المؤلف بأية وسيلة سواء كانت الكترونية أو آلية بما يشمل أنظمة التخزين والاسترجاع أو الاقتباس عن هذا المؤلف أو تقليده أو استخدامه في عمل فني أو عرضه أو أي جزء منه على شبكة الانترنت أو نسخه، أو تصويره، أو ترجمته، أو تحويره، أو الاقتباس منه كليًا أو جزئيًا دون الحصول على إذن مسبق مكتوب من المؤلفة للمساءلة القانونية إلى أقصى حدود القانون

إقرار:
كل أحداث هذه الرواية وشخصياتها خيالية تمامًا، وكل تشابه بينها وبين الواقع هو من قبيل الصدفة البحتة.

شكر وتقدير

طوال مراحل كتابتي لرواياتي لازمتني مجموعة من الصديقات اللاتي نصحنني بشأن محتويات رواياتي وتعبيري عن أفكاري وأساليب كتابتي لها، وأخص بالذكر الصديقات التالية أسماؤهن:

الصديقة العزيزة والأخت الفاضلة: الأستاذة هبة الله محمود خليفة:

وطبعًا الأستاذة هبة هي أفضل ناقد أدبي قابلته في حياتي من الرجال والنساء على حدٍ سواء فلديها موهبة أنها تخبر المؤلف بالشيء الذي ينقص روايته لكي تصبح أفضل كثيرًا مما كانت عليه قبل تطبيق نصيحتها أو هي تخبر المؤلف بالشيء الذي ينقص رواية عادية كي يتم تحويلها إلى رواية عبقرية وطالما سمعتها وهي تقرأ لمؤلفين أجانب تُباع كتبهم بالملايين لتقول: "كان على الكاتب أن يفعل كذا .. وكذا." وطبعًا في مثل تلك الحالة لا يمكننا أن ننقل نصيحتها لذلك الكاتب وإن كنت أنا أعتقد أنه كان سيستفيد كثيرًا لو سمع نصيحتها، وقد أعطتني الأستاذة/ هبة خليفة نصيحة غالية للغاية كانت في الصميم عندما نصحتني بشأن أول رواية كتبتها في حياتي "الفجوة السوداء." وكانت تلك النصيحة سببًا في تطوير أسلوب كتابتي بشكل ملحوظ جدًا. وكون الأستاذة هبة هي أفضل ناقدة أدبية على وجه الإطلاق هو رأيي أنا. هبة ستلومني وتقول أنني أبالغ عندما تقرأ ما كتبته عنها، ولكن أنا قرأت للكثير من النقاد الأدبيين ولم أر أحدًا منهم يستطيع أن يخبر الكاتب بما ينقصه حقيقة. الأستاذة/ هبة خليفة لا تعمل في مجال يتصل بالأدب ولكنها قارئة نهمة ووجودها الدائم والمستمر في حياتي كان دائمًا أحد أكبر نعم الله عليّ.

الصديقة العزيزة والأخت الفاضلة: الأستاذة/ هالة محمد محمد عبد المنعم إسماعيل:

كانت الأستاذة/ هالة على مدار سنين طويلة أحد أكبر الداعمين والمؤيدين لي وطالما شجعتني كي أنبذ الكسل وأعود للكتابة من جديد، وكثيرًا ما قرأت كتبي في فترات كانت فيها شديدة الانشغال بعملها وحياتها الأسرية ونصائحها بالنسبة لمحتوى كتبي وطريقة كتابتي كانت دائمًا مفيدة للغاية بالنسبة لي.

الصديقة العزيزة والأخت الفاضلة: الأستاذة/ رشا أحمد السيد نجم:

وقد ساهمت الأستاذة/ رشا كثيرًا في دعمي في كل ما احتجته وقراءة رواياتي ونصحي بشأن المحتوى وما يجب أن أذكره وما لا يجب أن أذكره، وأنا أشكرها شكرًا جزيلاً على دعمها الكبير وتشجيعها لي. وطبعًا صديقاتي الثلاث تمتزن بالكثير من صفات الكرم والجدعنة.

رواية جلسة استدعاء الموتى

أو

مشاهد غير مرئية

مقدمة:

هدير تحكي

في تلك الليلة وبعد مرور عدة ليالٍ بعد جلسة استدعاء الموتى تلك التي عقدتها خالتي سامية في بيتها، كنت نائمة. منذ تلك الليلة التي حضرنا فيها جلسة استدعاء الموتى وأنا أشعر وكأن هناك أشياءًا تتحرك حولي أو وكأن هناك أشخاصًا غيري يكونون موجودين في الغرفة حين أكون بمفردي ويكون يوسف في مكان أخر، ومع ذلك لم أستطع أن أبوح بخوفي ليوسف. اكتفيت بالصمت وأصبحت أرتعب من مجرد وجودي في المنزل بمفردي ولكني مع ذلك لم أكن أغادر المنزل ولم أكن أبقى مع يوسف في نفس الغرفة بلا داعٍ لذلك رغم أنني كنت أشعر دائمًا بالخوف. كثيرًا ما تفقدت الغرفة عندما كان يخُيل لي أن هناك أشخاصًا موجودين بها معي ولكني لم أجد شيئًا أبدًا.

كلما حاولت أن أتذكر تلك الليلة التي حضرتها في بيت خالتي سامية ليلة جلسة استدعاء الأموات لا أجد شيئًا يبرر خوفي. تحدثت الوسيط فريدة عن أشياء ربما حدثت في الجانب الأخر من العالم وربما حدثت منذ عشر سنوات ولم يكن لها أي تأثير على حياتي. إذن فلماذا هذا الذعر الذي ينتابني والشعور بأن هناك ما يتحرك حولي، وكلما لفت وجهي نحو ما أظن أنه يتحرك لم يبد لي أن هناك شيئًا حولي أو أن شيئًا قد تحرك من مكانه. سامحك الله يا طنط سامية على أفكارك الغريبة وجلسة استدعاء الموتى التي دعيتنا لها تلك.

أنا لم أكن أؤمن بوجود أشباح أو أشياء غريبة لا نراها ولم أعان من القلق منها قط. حتى يوسف توقف عن الكلام وكأنه يخفي عني شيئًا. لم يكن يغادر البيت تقريبًا إلا لفعل شيء ضروري أو إحضار بقالة أو طعام أو أشياء ضرورية للمنزل. توقف يوسف عن الكلام والمزاح كعادته وأصبح صامتًا تمامًا. الغريب أن هناك تورمًا في جانب رأسه ظهر فجأة وعندما سألته عنه قال أن لم يصدم رأسه بشيء قط ولا يعرف من أين أتى هذا التورم.

بدأت أصلي بشكل أكبر وأصلي نوافل غير الصلوات المكتوبة وأتضرع إلى الله أن يحميني ويحمي زوجي من تلك الأشياء غير المنظورة التي تتحرك من حولي. كنت مرتعبة بشكل حقيقي ولم يكن يوسف يساعدني بل بقى صامتًا طوال الوقت.

في تلك الليلة قمت من النوم فجأة لأنني أحسست بالبرد الشديد. كانت النافذة مفتوحة تمامًا رغم أنني كنت متأكدة أنها كانت مغلقة عندما نمت. كان يوسف قد نام قبلي ولم يكن هناك أي سبب كي يقوم يوسف من نومه ليفتح النافذة وفكرت لعل من أغلق النافذة، وأنا لا أذكر من أغلقها، لم يغلقها بشكل كامل أو لم يغلقها بقوة وفتحتها الريح.

انتبهت فجأة إلى أن هناك من حرك الستارة من فوق النافذة حيث كانت الستارة مفرودة فوق النافذة. انتبهت إلى أن هناك من نحى الستارة جانبًا وجمعها في جانب النافذة بحيث تكون النافذة مفتوحة تمامًا.

لا يمكن ليوسف أن يكون قد فعل ذلك. كانت النافذة كبيرة جدًا بالنسبة للنوافذ الشائعة اليوم وكانت حاجز النافذة منخفضًا كما يوجد في الكثير من المنازل القديمة حتى أنني كنت أقلق إذا ما زارنا أناس لديهم أطفال وأنبههم إلى وجوب إبعاد أطفالهم عن النوافذ في بيتنا..

فجأة أمام النافذة الكبيرة المفتوحة على مصراعيها رأيت رجلاً يلبس ملابس سهرة من تلك التي كانت شائعة في منتصف القرن العشرين وكان ظهر بدلة السهرة تلك طويلاً يمتد لركبتي مرتديها تقريبًا. كانت من النوع الذي يسمى بالفراك أو شيء كهذا.

كان الرجل يلبس قبعة غريبة تحيطها حافة ضيقة ولها عنق طويل ثم كانت مسطحة من الأعلى، ومرة ثانية كانت هذه القبعة شائعة في فترة ما في منتصف القرن العشرين تقريبًا. كانت قبعة كقبعة السحرة الذين يخرجون الأرانب وأشياء أخرى من قبعاتهم.

أشار لي الرجل إشارة فهمت منها أنه يدعوني للانضمام إليه عند النافذة. كانت هناك قوة غير مرئية كأنها خيوط سحرية تجذبني إليه وتدفعني كي أفعل ما يريده.

عند النافذة مد يده إليّ. مددت يدي أمسك يده. لم يكن ليده ملمس وأدهشني ذلك. أردت أن ألمس يده ثانية لأتحسس ملمس يده. ابتعد عني وانحنى رافعًا قبعته بتلك الطريقة التي كان يحيي بها من يلبسون تلك القبعة الناس، ثم مد يده يدعوني كي أخطو في الهواء خارج النافذة. فكرت في أن أعترض "هكذا سأموت. لو خرجت خارج النافذة في الهواء فسأسقط."

ولكني لم أستطع أن أرد يده الممدودة إليّ. أحسست بالرغبة في الخروج من النافذة، بل الخروج من نفسي ومن كل شيء. الرغبة في أن أصبح طيفًا شفافًا يمشي في الهواء في الخارج دون حواجز ودون احتكاك مزعج بالأرض. هكذا أتحول إلى ما أنا عليه حقيقة. أردت أن أخرج خارج النافذة وأتحول إلى ما أشعر أنني هي في داخلي .. طيفٌ شفافٌ حرٌ سعيد.

مددت يدي أرفع طرف ثوب قميص النوم الذي كنت أنام فيه حتى أحرر حركة ساقيّ ومددت ساقي أرفعها فوق الحاجز الحجري

للنافذة .. كنت أتقدم إلى آملت أن أكونه دائمًا .. إلى الحرية والانطلاق والسعادة.

وفجأة أطبقت يدٌ قوية على يدي من الجانب الأخرى وراح شيء ما يجذبني بقوة بعيدًا عن النافذة، وسمعت صوت يوسف يأتيني أرضيًا سفليًا فجًا وهو يعوي: "ماذا تفعلين؟ ماذا تفعلين يا مجنونة؟"

وأفقت من عالمي المسحور لأجد يوسف يقف أمامي في منامته منكوش الشعر. كان يواجهني بعدما أغلق النافذة وجذب الستائر لتغطي النافذة بالكامل. نظرت حولي. لم أعد أرى الرجل الأخر الراقي الأنيق وتعجبت أين هو.

يوسف يحكي

طبعًا استيقظت من نومي وكأن هناك قوة غير منظورة قد أيقظتني لأجد .. خير اللهم اجعله خير .. زوجتي هدير تشمر عن ساقيها وتدلي إحدى ساقيها خارج حاجز النافذة تريد أن تقفز إلى الخارج. جريت نحوها وجذبتها من يدها إلى الداخل وأغلقت النافذة وسحبت الستائر لأن هناك جيرانًا كانوا يقفون مسحورين في المباني المقابلة البعيدة عنا يشاهدون هدير وهي تقوم بفقرتها التي أثارت إنتباههم بالتأكيد، ولكن هذه الفقرة بخلاف فقرات السيرك المعتادة أشك في أنها كانت ستنتهي بالتصفيق. وطبعًا المرء لا يحب أن يعتقد الجيران أن زوجته مجنونة ولهذا قمت بتقليص نسبة المشاهدة وحرمت الجيران من استكمال الفقرة بأنني سحبت زوجتي من فوق حاجز النافذة ثم أغلقت النافذة ثم جذبت الستارة على النافذة لأخفي ما يحدث في الداخل.

نظرت إلى هدير. كانت تبدو وكأنها قد أفاقت لتوها من النوم أو من حالة تشبه الهذيان أو كأنما هي كانت تحلم وهي تمشي. رأيت نظرة عينيها تتغير كي تدل على إدراكها بما كانت ستفعله. لم تكن في عالمنا في ذلك الوقت عندما كانت تؤدي تلك الفقرة المثيرة. لم تكن

تقصد أن تنتحر. أنا متأكد. هي لم تفقد عقلها بعد وحمدًا لله على ذلك.

نظرت لي هدير وقالت بصوت غريب تجيب عن السؤال الذي لم أسأله: "كان هناك رجل واقف يمد لي يده لألحق به."

وصرخت بها مجادلاً: "لم يكن هناك أحد. أين كان يقف ذلك الرجل؟"

وأجابتني ببساطة: "خارج النافذة."

قلت لها وقد بدأت أحتد: "أين؟ لا يوجد مكان يقف عليه المرء خارج النافذة."

وأجابت: "كان واقفًا هناك .. هناك .. هناك في الهواء."

هكذا كان تفسيرها وكأن الوقوف في الهواء خارج النافذة هو الشيء الطبيعي الذي يقوم به الناس كل يوم. كان هناك رجل واقف في الهواء ومد يده لها، ولهذا كانت تريد أن تنضم إليه في الهواء خارج النافذة. الحمد لله. تزوجت امرأة عاقلة تمامًا.

وصحت بها: "يا صلاة النبي. أي رجل هذا الذي يمكنه أن يقف في الهواء يا هانم؟ أنت كنت تحاولين أن تقفزي من النافذة. تركتيني نائمًا وحاولت القفز من النافذة. هكذا!! وكأنني غير موجود."

بدا لي حديثي وكأنها لم تستأذني قبل أن تنتحر وطبعًا لم يكن هذا ما قصدته ولكني آملت بشكل ما أن تفهمني.

وصاحت بي هدير: "والله العظيم كان هناك رجل. كان واقفًا في الهواء ولا أدري لماذا لم أجد أنا وقتها في ذلك شيئًا مستغربًا. كان يرتدي بدلة سهرة من ذلك النوع الذي كان سائدًا في أربعينيات القرن العشرين، من النوع ذي الجاكت طويل الظهر الذي يقترب قماشه من الركبتين في الخلف، وكان على رأسه نوع من القبعات

الذي كان سائدًا في تلك الفترة. كانت قبعة ذات إطار ضيق وجذعها طويل وتنتهي في الأعلى بسطح مسطح. انحنى لي بحركة مسرحية وهو يمسك قبعته بيده ثم مد يده لي كي أنضم إليه. كان واضحًا أنه يطلب مني أن أخرج خارج النافذة وكانت هناك قوة غير مرئية كأنها تسحبني إلى الخارج."

ونظرت لها وهي مرتعبة ومصدومة مما كانت ستفعله وتحاول أن تبرر ما حدث وقلت له وأنا أصطنع الفكاهة كي أهون عليها: "أكان ذلك الشبح مهندمًا أيضًا!! لم يبق إلا هذا. لم يبق إلا هذا. هل صليت العشاء قبل أن تنامي؟"

وأجابتني: "كلا. لم أفعل."

بدت لي فجأة وكأنها طفلة صغيرة لم تكتب الواجب المنزلي الذي أسند لها وأحسست بالإشفاق عليها. لقد كادت منذ لحظات أن تموت.

وقالت هدير آسفة: "لقد أصابني الغم منذ تلك الجلسة الخاصة باستدعاء الأموات التي نظمتها خالتي سامية. غفر الله لك يا خالتي. فيم كنت تفكرين حين أدخلتنا في تلك اللعبة الخطرة؟"

وسألتها وأنا أشعر بشعور غير منطقي بالغيرة: "كيف كان يبدو وجه ذلك الرجل الذي كان يلبس بذلة السهرة ويدعوك للقفز من النافذة؟"

وردت هدير: "لا أعرف. لا أذكر أنه كان له وجه. أعطاني فقط انطباعًا بأنه كان له وجه."

وسألتها: "وهل وجدت ذلك وقتها طبيعيًا؟"

وردت هدير بحدة: "لا أعرف. لقد كنت أحلم يا يوسف."

وسألتها: "هل كان المرحوم يلبس بدلات سهرة مثل تلك التي وصفتها الآن؟"

وأجابت: "أي مرحوم؟"

<u>الفصل الأول: بداية القصة وتعريف ببعض الشخصيات</u>

يوسف يحكي

صرخت هدير فيّ: "كف عن رقصة البجعة التي تمارسها عند فتحة الباب."

وطبعًا كنت انا قلقًا للغاية بسبب أن هدير قد بدأت لتوها تضع ماكياجها وعندما دعاني صديقي محمود الذي هو إبن خالتها أي خالة زوجتي هدير إلى قضاء الليل في بيتهم سألته عن الميعاد المناسب لوصولنا فقال: "يا عم أنتم أهل بيت. يمكنكم القدوم في أي وقت."

وعندما فكر محمود كما يبدو ووجد أن المسافة الزمنية التي يُتيحها لنا لا تعتبر دعوة حقيقية لقضاء الليلة معهم، عدل محمود من حديثه وقال: "أظن أن إنجي ومصطفى سيأتيان في السادسة أو نحوها. أنا اتفقت مع مصطفى على أننا سنشاهد مباراة الكرة الهامة المرتقبة في بيتنا وبالتالي لا أظن أن مصطفى سيتأخر عن السادسة، حيث أن المباراة ستبدأ في تمام السادسة وطبعًا مصطفى سيحب أن يشاهد المباراة من بدايتها ولكن أنت تعرف النساء وقد تعطله إنجي قليلاً، وبالتالي فقد يتأخر مصطفى عن السادسة قليلاً، أما أنت فصديقي من أيام الجامعة وأمي تعتبرك أحد أفراد أسرتنا وطبعًا هدير إبنة خالتي هي كأختي تمامًا وبيتنا هو بيتكما ويمكنكما الحضور في أي وقت."

وهذا الحديث كان معناه طبعًا أننا يجب أن نذهب إلى بيت طنط سامية والدة محمود في تمام السادسة أو نحوها.

كانت الساعة قد تجاوزت الخامسة والنصف وهدير قد بدأت بوضع طبقة الأساس الأولى على وجهها. كنت قد أخبرت هدير أنني لا أحب أن تضع ماكياجًا عندما تأتي لمقابلتي أثناء خطوبتنا والتزمت هي بذلك ولم تكن تضع أي ماكياج على وجهها طوال فترة الخطوبة، وفوجئت بعد الزواج أنها لا يمكن أن تتحرك من البيت دون أن تضع طبقة أساس من الماكياج وطبقة أو طبقتين فوقها، وبدا لي الأمر مبالغًا فيه في تلك الليلة، فقد كنا نستعد للذهاب إلى بيت خالتها وكان الوحيد الذي سيراها هو محمود ابن خالتها ولهذا لا داعي لكل هذا التجمل.

لم تمل هدير طوال فترة شهر العسل ثم في فترة الزواج الأولى من الحديث أن المرأة التي تضع الماكياج يُنظر إليها على أنها إمرأة واثقة من نفسها وتنال احترام الرجال وكأن تلك الطبقة التي تضعها على وجهها من الماكياج تضع حاجزًا من التحفظ بينها وبين الرجال وأن الرجال يُظهرون المزيد من الاحترام للمرأة التي تستعمل التجميل بكثافة والغريب أنني كلما فكرت في الأمر وأصبحت ألاحظ المجتمع من حولي كلما أصبحت أكثر اقتناعًا بوجهة نظرها تلك.

كذلك بعد الزواج بفترة، أصبحت أكثر ميلاً للتركيز على عملي وأن أترك هدير تفعل ما تريده في مختلف جوانب حياتنا الأخرى بخلاف عملي حيث أنني كنت أدخر معظم تركيزي لعملي وقررت من البداية الا أهتم بالصغائر لأن اهتمامي بالصغائر، كما تبين لي، هو تضييع لوقتي كما أنه يخلق الكثير من نقاط الاحتكاك مع هدير بدون فائدة.

كانت هدير تعمل في الصباح في مدرسة قريبة من بيتنا وتقضي ليلها في تصحيح كراسات الطلبة وتحضير دروس اليوم التالي بالإضافة إلى إعداد الطعام في المساء لليوم التالي، وكانت كذلك تستخدم أيام الأجازات في العطلة الأسبوعية وغيرها في تحضير

الطعام حتى نستطيع أن نأكل طعامًا محترمًا ومغذيًا طوال الأسبوع وفي إعداد ثيابنا حتى يبدو مظهرنا جيدًا طوال الأسبوع.

طبعًا كنت أنا في مرحلة التكيف مع كوني رجل متزوج ولم أعد أقيم في بيت والديّ وكانت هدير كذلك تحاول التكيف مع تلك المرحلة بعد الزواج، وأحسب أنني وهي كنا أنجح كثيرًا من غيرنا من هذه الناحية، فقد كانت هدير شخصية مرحة متفائلة وبشوشة وكنت أستمتع بوجودي معها. طبعًا كانت كأنثى لها جوانبها المتقلبة حيث يتحول مزاجها ما بين لحظة وأخرى مائة وثمانين درجة، ولكني كنت قد تم تحذيري من هذا الجانب في النساء، كما أنها قد خُطبت لي لمدة سنتين قبل الزواج.

واتفقت أنا وهي في فترة الخطوبة على ألا نخفي شخصياتنا الحقيقية أمام بعضنا البعض، وطبعًا كنا نتجمل أمام بعضنا البعض طوال فترة الخطوبة، فقد قال لي أبي أن هدير لو رأتني على طبيعتي الحقيقية قبل الزواج فقد لا تقبل بالزواج بي وكذلك لو رأيتها أنا على حقيقتها قبل الزواج فقد لا أقبل بالزواج بها فكل من البشر له نقاط ضعفه وهناته ومشكلاته النفسية ولا يوجد ملائكة بين البشر وقد اقتنعت أنا بذلك، فكنت أتجمل أمامها في فترة الخطوبة وكنت أعرف أنها هي كذلك تتجمل أمامي طوال فترة الخطوبة.

ولكن طبعًا كانت لنا شجاراتنا الكبيرة حين كنت أعتبر أنا أمرًا ما مسألة كرامة ولا تنازل فيها وتعتبره هي مسألة كرامة ولا تنازل فيها، وعادة ما كانت خالتها سامية أم صديقي محمود تتدخل للإصلاح بيننا، ولكن هذا كان يُعطي لكل منا فكرة عن الطبيعة الحقيقية للأخر.

أنا كنت أفهم جيدًا أنه خاصة في البداية فإن علاقة الزواج تحوطها الكثير من المعوقات والمشكلات، ويجب أن يظهر كلٌ من الطرفين تنازلاً وتفهمًا لموقف الطرف الأخر كي يستمر الزواج وكذلك كانت

هدير تفهم تلك العلاقة. طبعًا بعد الزواج تبدأ المرأة في محاولة التحكم في الزوج، وأنا قررت أن محاولاتها للتحكم بي يجب فقط أن تقتصر على ترتيبات بيتنا ولا تتعداها إلى عملي أو إلى الوقت الذي أخصصه لعملي والتزاماتي أمام عملائي واحترمت هي ذلك وهذا ما جعلنا نستمر متزوجين لمدة هذه الفترة القصيرة التي قضيناها معًا.

كانت هدير بالنسبة لمواصفاتها مناسبة لي من نواح كثيرة، فعملها كمدرسة لا تعطي دروسًا خصوصية يسمح لها أن تَحقق ذاتها كما تقول هي ويسمح لها كذلك أن تهتم بشئون بيتنا. كانت هدير إمرأة ناضجة في شخصيتها، متعلمة تستمتع بحياتها في مختلف المواقف وتعد لكل شيء عدته وهي كذلك لم تكن مبذرة بالنسبة للمال، وهذا كان يسمح لي بفائض من دخلي أدخره وأنا أنوي أن أطور به عملي أو أواجه به الأوقات المستقبلية التي قد أحتاج فيها إلى المزيد من المال.

وطبعًا كانت لهدير كذلك مواقفها النكدية التي تتصادم فيها معي بقوة ولكني طبعًا قد تم تنبيهي مرارًا من أبي وأمي وطنط سامية خالة هدير إلى أنه ستنشأ مواقف سأعتبر فيها هدير نكدية ولكن هكذا كل النساء، فكل امرأة فيها جانب غير مرغوب من زوجها، وعلى زوجها أن يوازن بين الجوانب المرغوبة وغير المرغوبة في شخصية زوجته ويتقبل زوجته بكاملها على ما هي عليه.

أنا كذلك لم أكن أركز على اللحظة الحاضرة فقط في علاقتي بهدير بل كنت أتطلع إلى الوقت الذي يكون لي فيه أولاد منها. كل رجل أعمال صاعد مثلي يحتاج إلى أن تكون له زوجة وأولادٌ وعائلة، ليس فقط لاستكمال الصورة الاجتماعية ولكن لتحقيق التوازن في حياته، وقد قيل لي كثيرًا أن الزوج إذا صبر لحين مجيء الأولاد وتكيف مع وجودهم، فسرعان ما تنشغل الزوجة بالأولاد وينشغل هو بعمله ولا تعود مثل تلك الاحتكاكات تؤثر نفس التأثير في الزوجين.

كما أن الزوجين بعد ميلاد الأولاد يكون لهما هدف مشترك وهو صالح الأولاد. المهم، كنت سعيدًا في حياتي نسبيًا وأحاول أن أؤجل المشكلات إلى يوم في المستقبل تصبح فيه مثل تلك المشكلات غير ذات أهمية وكنت أحاول أن أتكيف مع إيقاع الزواج وأن أبقى منفتحًا على حقيقة أن هدير بدورها تحاول التكيف مع إيقاع الزواج.

طبعًا كانت تلك الأيام التي حدثت فيها أحداث هذه الرواية أوقاتًا اجتمعت فيه العديد من الإجازات وقمت أنا بإغلاق مكتبي لمدة أسبوعين، حيث أن المكتب الهندسي الذي كنت أمتلكه كان يقوم بأعمال إنشاءات ولكن معظم العمل الذي كان يقوم به كان يعتمد على أعمال الديكور، وكان معظم العمال الذين يعملون معي قد قدموا أصلاً من الصعيد وقد استغلوا فترة الإجازة الطويلة للعودة إلى قراهم في الصعيد لقضاء الوقت مع أسرهم هناك، مما جعل من فتح المكتب في تلك الفترة أمرًا غير ذي جدوى.

كذلك كانت هدير قد حصلت على إجازة غير معلنة، حيث كان الكثير من الطلاب في المدرسة الخاصة التي كانت تعمل بها قد أعلنوا أنهم سيذهبون لقضاء الإجازة في المصايف حيث كان الوقت مازال حارًا في أكتوبر في بداية العام الدراسي وكانت فيلات الساحل مازالت تمثل بؤرة الإهتمام بالنسبة للطبقات المتوسطة والغنية في مصر.

استغلت طنط سامية أم محمود صديقي وإبن خالة هدير فرصة الإجازة لتقيم سهرة في بيتها. كانت طنط سامية تحب التغيير بشكل مبالغ فيه، ففي كل أسبوع تقريبًا كانت تُحدث تغيير في الديكور في بيتهم وتضع آثاث غرفة المعيشة مكان غرفة الضيوف أو العكس وتستبدل بعض آثاث غرفة محمود فيما عدا مكتبه وسريره اللذين لم يكن يقبل المساس بهما وتضع بقية الآثاث في غرفة أخرى وتحضر لغرفته آثاثًا من الغرفة الأخرى.

كذلك كانت حفلات طنط سامية تتصف بالتغيير ففي مرة أقامت حفلة تنكرية ودعت إليها معظم أصدقاء محمود في كلية الهندسة حين كان محمود لا يزال طالبًا، وكنت أنا أحد المدعوين، وكانت تلك الحفلة مصدرًا للكثير من المتعة والفكاهة حتى أن أحدًا ممن أعرفهم من أصدقاء محمود اللذين دعوا إلى تلك الحفلة لم يستطع أن ينسى تلك الحفلة قط بعد ذلك. المهم، كانت طنط سامية تجري لنا مفاجأت في كل مرة نزور فيها بيتها، ولهذا كنت أنا وهدير نتطلع للمفاجأة التي سنقابلها في بيت خالة هدير في تلك الليلة.

لم يكن هناك الكثير من الأقارب أو الناس الذين يمكن أن تدعوهم طنط سامية إلى بيتها في تلك الأيام فقد كانت عائلة طنط سامية الممتدة بكاملها تقريبًا من الاسكندرية فيما عدا أختها والدة هدير والتي كانت تقيم في القاهرة. كان والد ووالدة هدير يحبان السفر وكانا في تلك الفترة قد استغلا فرصة الإجازات وسافرا للمصيف الذي كانت توفره الشركة التي يعمل فيها عمي والد هدير له.

كنت قد قابلت هدير مرارًا في بيت طنط سامية عندما كنت أزورهم حين كنت طالبًا بالهندسة كزميل لمحمود حيث كانت هدير كثيرة الزيارة لبيت خالتها في إجازاتها. شعرت بسرعة بحبي لهدير بعدما قابلتها، ولكني لم أعترف لها بحبي إلا بعدما أصبحت قادرًا على الزواج منها.

وبمجرد أن تخلى لي أبي عن شقة قديمة وإن كانت ثمينة للغاية في وسط البلد كان يمتلكها وفتحت المكتب الهندسي الخاص بي في شقة إيجار قديم استطعت الحصول عليها في إحدى المناطق الشعبية وأصبحت أحقق دخلاً معقولاً تقدمت لهدير للزواج.

بعد زواجنا استمر قضائي أنا وهدير لمعظم أوقات فراغنا حين نرغب في أن نسهر خارج البيت في بيت خالتها سامية. كنت أنا وهدير نعتبر بيت طنط سامية بيتًا ثانيًا لنا وكان لها دور كبير عبر تدخلاتها المحمودة في استقرار حياتنا ودفعنا إلى الأمام.

كان والدا إنجي إبنة خالة هدير ومحمود، وهي ابنة الخالة التي كنا نتوقع أن نقابلها هي وخطيبها في بيت طنط سامية في تلك الليلة، يقيمان بالأسكندرية وهناك كانت تقيم أختا إنجي، وأقدمت إنجي من فترة على ترك عائلتها ونقل حياتها بالكامل إلى القاهرة، وكان السبب المعلن هو أنها قد وجدت عملاً ثابتًا كسكرتيرة بأجر ممتاز في شركة حكومية في القاهرة وأنها لا يمكن أن تترك تلك الفرصة تفلت من يدها، ولكن السبب غير المعلن كان تقرب مصطفى خطيبها الحالي لها وإعلانه رغبته في الزواج منها، وطبعًا مصطفى كان إبن عائلة ثرية وكان الزواج منه يُعتبر فرصة بالنسبة لإنجي لم تضيعها أو هذا ما قالته لي هدير مرة وهي لم تكن تنتقد ابنة خالتها، بل كانت هدير ترى أن ابنة خالتها إنجي هي فتاة شهمة ذات احساسٍ عالٍ بالمسئولية وإن كانت فقيرة والفقر ليس عيبًا.

طبعًا أنا لا أعرف مدى حب إنجي لخطيبها مصطفى ولكني أنا شخصيًا كنت أجده ثقيل الظل، قليل الإحساس ومتعجرف بدون أي استحقاق لذلك، ولكنني طبعًا لم أكن أعرفه جيدًا والحمد لله كذلك لم أكن أقابله كثيرًا. كنت أتحمله عندما أجده في بيت طنط سامية طبقًا للمثل المصري: "من أجل الورد يُسقى ما عَلُق به من نباتات طفيلية." كانت معرفتي به سطحية وكنت أسعى بدأب كي أبُقيها كذلك.

صرخت في هدير: "أسرعي. لقد قال لي محمود أننا يجب أن نذهب في السادسة."

وردت هدير وهي تصر على أسنانها بنفاذ صبر: "عشر دقائق وسأنتهي. لقد ارتديت ملابسي وكل شيء جاهز. كل ما أحتاجه هو التركيز. عملية وضع الماكياج هي عملية دقيقة وأنت لا تساعدني بهذا القفز الذي تفعله أمام فتحة الباب."

وصرخت فيها: "بهذه الطريقة ستستغرقين ساعة. نحن ذاهبون إلى بيت خالتك وكل من سنراه هناك هو إبن خالتك. الأمر لا يحتاج إلى كل هذا التزين."

وقالت هدير وهي تفتح عينيها على سعتها لوضع الكحل وتحاول التحكم في يدها بقدر الإمكان لوضع سن الكحل في المكان المناسب استعدادًا للرسم بقلم الكحل: "من قال هذا؟ ستأتي إنجي إبنة خالتي ومعها خطيبها مصطفى وطبعًا إنجي في فترة الخطوبة وستكون متزينة بشكل كثيف وإنجي تتقن فن وضع الماكياج ببراعة."

وصحت بها: "وماذا في ذلك! إنهم أربعة أفراد فقط هم كل من سنقابلهم."

وصاحت هدير بغضب: "لا تقف هكذا. أنت تشتت تركيزي. أقول لك ماذا!! نعم. نعم. إذهب وكل شيئًا ما. أعد لنفسك ساندويتش لحم. اللحم كان لذيذًا اليوم وقد أعجبك بشدة."

وفكرت للحظة أن كلامها صحيح. اللحم كان لذيذًا في غذاء هذا اليوم. طبعًا أنا كنت أتوقع أن تعد لنا طنط سامية عشاءًا ممتازًا وطنط سامية خالتها كانت طاهية بارعة ولكنها قد تتأخر في تقديم الطعام وقد أشعر بالجوع إلى حد ما بالإضافة إلى أن تناول الطعام كان شيئًا يمكنني أن أفعله وأضيع به الوقت حتى تتم هدير زينتها، وإلا فقد ينتهي إلحاحي على هدير بالإسراع بوضع الماكياج بمشاجرة بيني وبينها تبقيني متوترًا لبقية الليلة وتفسد علي سهرتي ولم يكن هناك أي داعٍ لذلك.

كنت قد بدأت في تكوين كرش صغير للغاية بعد الزواج وطبعًا لم أكن أريد أن أصبح بدينًا أو أن يزيد وزني بعد الزواج مثل بقية الرجال، ولكني فكرت أن ساندويتش لحم واحد لن يضيف كثيرًا إلى وزني.

ذهبت إلى الثلاجة وأعددت لنفسي ساندوتش لحم بالكثير من المايونيز وبدأت أكله وحانت مني نظرة إلى الى الساعة الكبيرة المعلقة في المطبخ ووجدت أنها السادسة إلا الربع تقريبًا.

حملت الطبق الذي كنت أكل فيه ساندوتش اللحم وعدت لمكاني أمام فتحة الباب في غرفة نومي التي كانت تواجهها في داخل الغرفة طاولة الزينة حيث كانت تجلس هدير. كانت طاولة الزينة تلك توجد عليها أدوات ماكياج هدير وأمامها مرآة كبيرة.

وقفت وصرخت في هدير: "إنها السادسة إلا عشر دقائق الآن."

وصرخت هدير: "أوشكت أن أنتهي. أقول لك ماذا! إذهب لتسخين محرك السيارة وانتظرني في السيارة وسأنزل لك خلال عشر دقائق."

وصحت بها: "عشر دقائق. لو نزلت أنا إلى السيارة سأقضي هناك ساعتين قبل أن تلحقي بي. لن أنزل إلا معك."

وردت هدير بنفاذ صبر وهي تجرب أحمر الخدود: "إذهب وأعد لنفسك ساندويتش لحم أخر أو .. أقول لك ماذا!!" وهنا التمعت عيناها وابتسمت فقد وجدت الحل المطلوب "إذهب وشاهد التلفاز. استمع إلى استوديو التحليل قبل المباراة. استمع إلى ما يقوله المعلق عن أهمية مباراة اليوم وتحليله لها ولأهميتها إلى آخره. لا تقف هنا. أنت توترني وتضيع تركيزي."

المهم .. بعد شد وجذب كانت الساعة قد بلغت السادسة وعشر دقائق عندما نزلت معها لركوب سيارتنا للذهاب إلى بيت خالتها. كان المشوار قريبًا جدًا وينطبق عليه ما قاله الممثل عادل إمام في أحد أعماله: "المشوار يستغرق نصف ساعة بالمواصلات وحوالي عشر دقائق مشيًا على الأقدام." وذلك لأننا كنا نسكن في منطقة وسط البلد وهي منطقة مزدحمة بالسيارات وشوارعها مستقيمة ومتوازية وطبعًا ابتكر شخص ما شيئًا ما يجعل حركة السيارات في

الشوارع العرضية بين تلك الشوارع المستقيمة المتوازية أمرًا ممنوعًا أو متعذرًا إلا في نقاط قليلة، فحتى يتحرك المرء في منطقة وسط البلد ويدور بالسيارة من مكان لأخر فإنه يستغرق الكثير من الوقت ولكن لو اختصر المرء المسافة بالحركة من شارع جانبي لأخر على قدميه لأنتهى خلال عشر دقائق فقط إلى بيت طنط سامية خالة زوجتي ووالدة صديقي محمود حيث تقام سهرة الليلة.

طبعًا لو كنت بمفردي لسلكت الطريق المختصر ولكن بما أنني أصطحب المدام وهي متجملة وقد تعطرت ببارفان قوي وأرتدت ثيابًا غالية الثمن فقد قررت أن نذهب بالسيارة كنوع من الإحساس بأنها سهرة رسمية وأنني قد قمت بجميع الأعمال التي تتفق مع رسمية السهرة ولو أن بيت خالتها سامية فعليًا كان بعيدًا عن الرسمية تمامًا.

كانت هناك سيارة بيضاء صغيرة مركونة خلف سيارتنا يجلس بها رجل أمام المقود، وبمجرد أن جلست هدير في السيارة قالت لي مشيرة إلى الخلف بحيث لا يلحظ سائق السيارة في الخلف اشارتها: "اتفرج. هذه السيارة هي سيارة عشيقها ومن يجلس بالسيارة الآن هو السائق وهذا معناه أن عشيقها يزورها الآن. هو لا يحضر سيارته الفاخرة الكبيرة المميزة عندما يأتي لزيارتها وزوجها غائب عن المنزل مخافة أن يأتي الزوج ويلحظ وجود سيارته، بل يحضر العشيق هذه السيارة البيضاء الصغيرة التي توجد الكثيرات من مثيلاتها مركونة في نفس الشارع وبالتالي من السهل إخفاؤها وبالتالي إخفاء وجوده هو شخصيًا كذلك."

وطبعًا كنت أعرف أنا تمامًا ما تقصده هدير ولهذا سكت ولم أنطق بكلمة بل أخرجت السيارة من مكان ركنها صامتًا وأنطلقت بها إلى الأمام. وأكملت هدير: "الليلة هي ليلة يجب فعلاً أن نحتفل بها. هل لاحظت أننا لم نجد المصعد مشغولاً حين استدعيناه. عادة ما نجد المصعد مشغولاً لأن هناك الكثير من المشاهير ومخالطيهم

يتسابقون للصعود إلى شقة ساهر القصاص. عادة ما تجد روائح العطور القوية الرجالية والنسائية تكاد تخنقك بمجرد خروجك من المصعد ودخولك إلى بهو البناية وتستمر الروائح في أنفك حتى تعبر البهو وتخرج من باب البناية إلى الشارع."

كان بإمكاني أن أقول لها أنها هي نفسها تضع عطرًا ثقيلاً ذا رائحة نفاذة في تلك الليلة ولكني آثرت السلامة وتحدثت في النقطة التي أثارتها: "يا هدير هذه كلها افتراءات. نحن لا نعرف ما هي علاقة تلك المرأة ملك زوجة ساهر القصاص بذلك الرجل الثري وقد يكون الأمر مخالفاً لكل توقعاتنا. ربما كان أخوها من الرضاعة مثلاً أو بينهما عمل تجاري لا تحب أن تناقش تفاصيله في وجود زوجها. نحن لا نعرف عنهما أي شيء ولا يجوز أن نقول هذا الكلام السيء عنهما. قذف النساء المحصنات حرام شرعًا وعقوبته اللعن في الدنيا والآخرة والعذاب العظيم يوم القيامة. من الأفضل السكوت عن هذا الأمر وتجاهله تمامًا."

وردت علي هدير والتي كانت كما يبدو قد أجرت بحثًا في هذا الأمر بين معظم من تعرفهم في البناية التي نسكنها وهم طبعًا عدد قليل جدًا من الناس بحكم أنها تعمل صباحًا وتقوم بأعمال خاصة بالتدريس وأعمال منزلية ليلاً، كما أننا قد تزوجنا منذ شهور فقط وبالتالي فمدة إقامتها بالشقة كانت قصيرة جدًا: "أنا واثقة من معلوماتي وقد تحدثت إلى العديد من الأشخاص الذين لديهم نفس وجهة نظري في هذا الأمر."

وأجبتها أنا وقد بدأت أحتد حيث أنني شخصيًا كنت من أنصار عدم الاختلاط بالجيران وعدم الاهتمام بشئونهم خاصة عندما يكون المرء مشغولاً مثلي ومثل هدير: "وما شأننا نحن بهذه القصة كلها. الأمر لا يعنينا بالمرة. أنت أصلاً مشغولة للغاية. لديك عملك في الصباح وتصحيح الكراسات وتحضير الدروس في المساء ناهيك عن أعمال المطبخ وتنظيف المنزل والاعتناء بالثياب. أنت في

معظم الأحيان لا يكون لديك الوقت حتى لحك جلدك. أما في أيام الإجازات فلدينا عمل كثير فيها وكل ما نستطيع أن نفِرغ نفسينا له هو بضع سويعات نقضيها عند طنط سامية أو نخرج فيها إلى مكان ما للنزهة."

وتوقفت للحظة كي أركز على السماح لبعض الناس أمامي بعبور الطريق أمام السيارة، ثم أردفت: "ثم لاحظي يا عزيزتي هدير أننا نسكن فوق ساهر القصاص هذا وزوجته أي أنه ليس لدينا فرصة كي نرى ما يحدث عندهم أو نرى الأشخاص الذين ينزلون من عندهم أو نسمع أصواتهم. لا يوجد لديك بشكل عملي أي فرصة لتعرفي ما يحدث عندهم."

وردت علي هدير وهي تجادل رافعة صوتها: "ربما كنت لا أراهم ولكني أعرف ما يحدث عندهم. أم يُسري الخادمة التي تأتينا قالت أن سيارة ذلك الرجل البيضاء الصغيرة تظهر دائمًا عندما يكون الزوج ساهر القصاص غير موجود في المنزل وتكون الزوجة ملك بمفردها وأنه عادة ما يوجد بالسيارة سائق يبقى داخل السيارة ويراقب المكان."

وصحت بها: "أستغفر الله العظيم. أستغفر الله العظيم. على أم يُسري أن تحذر فلديها بنات يمكن أن يخوض الناس في أعراضهن."

وقالت هدير بحدة: "ما أقوله هو الحقيقة وقد سمعتها من جارتهم طنط هناء التي تقيم في الشقة المجاورة لهم. قالت طنط هناء أنه في الأيام التي يخرج فيها الزوج ساهر القصاص لفترة طويلة أو يسافر فيها، ما إن يخرج الزوج من المنزل حتى تقوم الزوجة ملك بإرسال الطفلين مع مربياتهما في مشاوير خارج المنزل للنزهة. يخرج الزوج أولاً وبعده الطفلان ومربياتهما وتكون موجودة في المنزل وحدها تمامًا عندما يأتي ذلك الرجل زفت الطين لزيارتها،

وهذا الحديث الذي تقوله طنط هناء يُضاف إلى حديث سلامة البواب...."

وهالني ما سمعته. سلامة البواب!! كنت أعرف سلامة البواب هذا منذ نعومة أظفاري، فقد كان رفيق لعبي في صغري وكان في مثل سني، وطبعًا أنا وهدير كنا نعتمد عليه في أمور كثيرة مثل أخذ الملابس التي نريد أن يذهب بها إلى الكواء خارج البيت وإحضارها من الكواء حين يتم كويها وكذلك شراء الأشياء ومواد البقالة التي لم يتسع وقتنا لشراءها وتوصيل الأشياء خارج المنزل وإحضارها من أخرين وحمل الأشياء الثقيلة من أسفل البناية عندما يُخشى من أن تلك الأشياء ثقيلة جدًا حيث أن سلامة البواب ما شاء الله كان شديد القوة البدنية.. إلى آخر المهمات التي يقوم بها البواب عادة.

ولكني كنت أتقي بعدم الوقوف معه وعدم إطالة الحديث إليه تلك الخصلة السيئة الموجودة فيه وهي نقل الحديث بين الناس والغيبة وذكره الناس بما يكرهون وكنت أغدق عليه المال أولاً لأن لديه أسرة وأطفالاً يجب أن يعولهم وثانيًا لأنه كان صديقي حين كنا صغارًا وثالثًا لأتقي شره من جانب أنه يهوى ذكر مساويء الناس وأنا لا أحب أن يعلن للناس عيوبي. كنت عادة ما أعامل سلامة بشكل جيد ولكني كنت أتحاشى الحديث معه عن آخرين حيث أن الغيبة كانت هوايته الأساسية.

وصحت بهدير: "سلامة البواب هذا هو رأس المصائب كلها. انتبهي إلى أنه من نقل لك نقل عنك وأن هذا البواب قد يسلطه الله عليك في يوم من الأيام فيلوث سمعتك أمام الناس. من ينقل الحديث ويتقول على سكان البناية التي يعمل بها هكذا هو شخص لا يبالي أن تفسد سمعة الناس الشرفاء ومثل هذا الشخص لا يمكن تصديقه. عندما يحدثك سلامة في المستقبل في أمر به غيبة أو نميمة أسكتيه. هذا ما ينقصني بالضبط. أن تتحدث زوجتي في أسرار

الناس مع البواب وأن تُعِّود البواب على الحديث معها في أمور كهذه."

وردت هدير وهي تتنصل من تهمة اغتيابها للناس مع البواب: "الأمر كله لم يكن في بالي. أرسلت سلامة لشراء بعض الطلبات من البقالة القريبة وعندما عاد بالطلبات لا أتذكر ما الذي بدأ موضوع ساهر القصاص وزوجته. وجدت البواب يتحدث عما تفعله زوجة ساهر القصاص هذا عندما يترك البيت. طبعًا أنا سمعته فقط ولم أعلق على ما قاله ولم أسأله عن شيء."

وطبعًا لم أسألها أنا عما قاله البواب فقد كان مفهومًا من سياق كلامها.

ويبدو أن هدير لم يعجبها أني لم أسألها عما قاله البواب ولهذا تطوعت بالحديث وقالت: "سلامة البواب قال أن الرجل الذي يزور زوجة ساهر القصاص هو حسني السباعي المقاول الثري ورجل الأعمال المعروف."

وصحت بها محذرًا: "هذه غيبة يا هدير. أنت تغتابين الناس مع البواب."

وردت بنفاذ صبر: "اسكت واستمع لي. البواب قال أن ذلك المقاول حسني السباعي يترك سائقه في السيارة البيضاء الصغيرة كناضورجي "مراقب للمكان" كي يحذره إذا جاء الزوج فجأة إلى البناية. وقال سلامة كذلك أنه في إحدى المرات أتى ساهر القصاص إلى بيته وحسني السباعي عند زوجته في الطابق الثالث من البناية وأتصل سائق الحاج حسني به بسرعة وبعدما عاد ساهر إلى شقته بفترة فوجيء سلامة البواب بالحاج حسني السباعي وهو ينزل على السلالم إلى الدور الأرضي. أين يمكن أن يكون الحاج حسني قد اختبأ عندما عاد الزوج ساهر القصاص إلى بيته؟ ربما في الطابق الخاص بنا خارج شقتنا."

وصحت بها: "وربما كان هذا الأمر كله كذبة ألفها سلامة البواب. أنا أعرف سلامة البواب جيدًا منذ كنا أطفالاً في نفس السن. هو يكذب كثيرًا وحتى بدون وجود أي داعٍ لذلك."

ولم تبال هدير بما قلته، بل قالت بحدة: "عندما يكون الزوج ساهر القصاص في البيت لا يأتي الحاج حسني السباعي أبدًا في تلك السيارة الصغيرة البيضاء بل يأتي دائمًا في سيارته الكبيرة الفخمة وعادة ما يسبق صعوده إلى بيت ساهر القصاص صعود السائق بالهدايا وعلب التورتات والكيك وقوالب الحلوى وغيرها. وبعدما يصعد الحاج حسني لمقابلة ساهر القصاص يُرسل الحاج حسني سائقه لإحضار المزيد من الهدايا لها ولزوجها وكأنما هو يزور الزوج وليس الزوجة."

وصحت بها: "هذا طبعًا كله يقوله سلامة وسلامة كما أقول لك أنا كذوب."

وردت هدير: "هذا كله شهدناه بأعيننا أنا وانت عندما كنا نعود من سهرة ما لنجد السائق يحمل الأشياء والهدايا ذاهبًا بها إلى بيت ساهر القصاص وفي بعض الأحيان كان يصعد معنا وهو يحمل الهدايا في نفس المصعد الذي نركبه صعودًا إلى شقتنا وينزل في الطابق الثالث حيث يقيم ساهر القصاص وزوجته."

وقلت لها مبتسمًا: "ليس في هذا الأمر شيء. الرجل يجامل صديقه وقد يكون بينهما عمل تجاري أو علاقة قرابة أو أية علاقة أخرى والأمر كله لا يعنينا. لا نحن ولا سلامة البواب ولا أحد من الجيران يعرف حقًا ما بين ساهر القصاص وما بين الحاج حسني هذا."

وردت هدير وكأنها تفحمني: "لو كان الأمر بين الحاج حسني وزوجة ساهر القصاص أمرًا لا غبار عليه لماذا يأتي لزيارتها وحدها بسيارة صغيرة غير تلك التي يأتي بها عند زيارته لزوجها؟ هيا أجبني على هذا السؤال."

وأجبتها: "أنا لا شأن لي بهذا الأمر ولا بأي أمر يخص الجيران. أنا رجل مشغول لدي شركة ناشئة يجب أن تنجح ومعاش أود تدبيره وأسرة أود إعالتها وأنا متزوج حديثًا وأريد أن أنجح في زواجي وهذا كله يستغرق وقتًا. أنا لا شأن لي بساهر القصاص وزوجته."

وزمت هدير شفتيها ثم قالت بصراحة: "لقد فكرت أنك يجب أن تبلغ زوجها بما تفعله امرأته."

وهالني ما قالته. وصرخت فيها بتعجب: "ماذا! لماذا؟ أنا لن أفعل ذلك أبدًا، وما شأني أنا؟"

وردت هدير وكأنها تبريء ذمتها من الأمر: "لا أدري. فكرت في أنك متدين وقد تجد مخالفة تلك المرأة للدين أمرًا منكرًا ويجب تصحيحه."

وبهذا التعليق دخلت هدير إلى ملعبي، ملعب المعرفة بالدين، ومكنني هذا من أن أرد عليها مفحمًا لها: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل اسمه هزال وشي برجل أخر ارتكب جريمة الزنا: "وَاللهِ! يَا هَزَّالُ لَوْ كُنْتَ سَتَرْتَهُ بِثَوْبِكَ كَانَ خَيْرًا مِمَّا صَنَعْتَ بِهِ." وهذه هي تعاليم الإسلام في كل شيء. الإسلام أمر بالستر، ليس بالنسبة للأخرين فقط ولكن بالنسبة للنفس كذلك. لو ارتكبت معصية فأستر على نفسك. لا تعترف بها لأحد ولا تخبر بها مخلوق، بل اكتمها واستغفر الله منها وتعهد بينك وبين الله أن تمتنع عنها ولا تكررها."

وأوقفت السيارة في إشارة وأردفت مخاطبًا هدير: "لاحظي كذلك يا عزيزتي هدير أن الشرع قد حكم بضرب الزوج ثمانين ضربة بالسوط إذا اتهم زوجته بالزنا ولم يستطع تقديم أربعة شهود رأوا زوجته وعشيقها أثناء ارتكابهما للجرم المشهود ولاحظي كلمة "أثناء" – "أثناء ارتكابهما للجرم المشهود." لاحظي كذلك يا عزيزتي أنه بالنسبة لهذا الأمر فإن الزوج هو الطرف المتضرر من

الخيانة الزوجية. "الزوج" وليس الجيران في الطابق الأعلى الذين ليس بإمكانهم رؤية شيء ولا سماع شيء."

وقالت هدير مجادلة: "أنا متضررة والبناية كلها متضررة. سمعة البناية كلها ستفسد لو استمر هذا الأمر."

ورددت عليها وأنا أضحك متهكمًا: "لا تقلقي يا عزيزتي. البناية بخير. أنا عشت في هذه البناية لفترة طويلة أثناء طفولتي وبداية شبابي وقد كان لها نصيبها الوافر من الفضائح وقتها. لقد تحملت هذه البناية الكثير ولازالت قائمة، وستظل قائمة مهما حدث داخلها. لا تقلقي."

وأصرت هدير مزايدة على نفسها: "اهزأ كما شئت ولكن يمكن لفضيحة كهذه أن تضر الشارع كله."

وضحكت مرة ثانية ساخرًا من الفكرة: "نعم. الشارع الطاهر. يا أم المطاهر رشي الملح سبع مرات. الشارع بالتأكيد يمتليء بالفضائح المعروفة منها والخفية وكل بناية من الشارع بالتأكيد لديها حظها من المخازي التي تحدث فيها، والذكي هو من يخفي فضيحته وليس من ينشرها على رؤوس الأشهاد ويتحدث فيها مع أطراف شتى فتنتشر أكثر. نعم. أهم شيء هو الشارع. ستنتقص هذه المرأة ملك بفعلتها تلك، إن كانت تفعلها، من قداسة السيد الشارع المحترم. في الواقع أنا أرى أن تلك المرأة ملك زوجة ساهر القصاص هي الطرف الخاسر في علاقة الزواج تلك. أنا أرى أنها إمرأة جيدة وما كان لها أن تتزوج من زوجها ذاك."

كانت ملك زوجة ساهر القصاص جميلة إلى درجة أنها تثير غيرة النساء على أزواجهن، وكانت زوجتي هدير، كما اكتشفت أنا بعد الزواج، عندما تصيبها الغيرة من النوع الذي لا يرى أمامه سوى اللون الأحمر وهذا إن كانت ترى أصلاً في تلك اللحظة. ويبدو أنني قد تهورت حين ذكرت لها صراحة أنني أتعاطف مع تلك المرأة ملك

التي كانت هي تعتبرها متهتكة، فقد استدارت هدير نحوي بكليتها في كرسي السيارة المجاور للسائق، وصرخت: "طبعًا!!! كان يجب أن أتوقع أنك ستدافع عنها، بل أنت تدافع عنها منذ بدأنا الحديث. لهذا تلبس هي ملابس قصيرة تكشف أكثر مما تخفي وتظهر نصف صدرها وتتمايع وهي تتحرك. هي تفعل ذلك لتؤثر على الحمقى من الرجال من أمثالك. إذا أنت متعاطف معها!!! أنت لا يهمك سمعة البناية التي نسكن فيها ولا سمعتنا ولا سمعة الشارع ولا سمعة أي شخص."

وهالني سرعة تحولها وشلال الاتهامات الذي ينطلق من فمها كالرصاص وصحت بها: "إتقي الله. إتقي الله. لقد انتهيت من إتهامك للمرأة والرجل الأخر بالفساد والآن أصبحت أنا الشخص الفاسد!!"

وصاحت هدير: "إذا، فما معنى كلامك هذا؟"

وأجبتها بهدوء وأنا أحاول تغيير الموضوع قليلاً بأن أتحدث عن الزوج لا عن الزوجة كما تفعل هي: "أنا رأيي أن زوجها هذا حيوان. هو يتصرف بتكبر وغرور وكأنه أفضل من بقية الناس ومن الصعب جدًا التفاهم معه. تخيلي أن تعيشي مع شخص كهذا، لا يتفاهم، بل يصرخ ويغضب ويصر على موقفه وعلى ما يعتقد أنه حقه دون الإستماع لكلمة تقولينها، وهو كذلك قليل الأدب لا يراعي أحدًا ولو حتى جيرانه."

وقالت هدير بتعجب وبهدوء أكثر: "إذا فقد احتككت به! لماذا لم تخبرني؟"

وسرني أنها انشغلت بحديثي عن ساهر القصاص عن ربطي بزوجته، وقلت لها: "لم أحب أن أشغل تفكيرك وأجعلك منحازة ضده أو أجعل هناك حزازات بينك وبين الجيران. كل ما حدث أنني منذ حوالي أسبوعين اختلفت معه على أولوية ركن السيارة أمام

البناية التي نقيم فيها، وقد غضب هو وثار لأنني ركنت سيارتي أمام باب البناية وأصبح يتقافز كضفدع غاضب وهو يأمرني أن أحرك سيارتي بعيدًا عن المنطقة أمام الرصيف عند مدخل البناية وقال أن ذلك المكان محجوز له وحده وأنه لا حق لغيره في الركن بذلك المكان بعدما أصبح هو يركن سيارته في تلك البقعة أمام باب البناية مباشرة وأنه يعطي مالاً للبواب ليحجز له ذلك المكان."

وسألت هدير باهتمام: "وماذا حدث؟"

وأجبتها: "لاشيء. رفضت في البداية تحريك سيارتي من ذلك المكان. غضب سعادته وأخذ ينادي على البواب سلامة ولما كان سلامة غير موجود في البناية في تلك اللحظة، حاول ساهر القصاص هذا أن يستدعي زوجة البواب. أنت تعرفين أن سلامة البواب لا يحب أن يجعل زوجته تعمل داخل البناية ولا يحب أن يضايق أحد زوجته، ولهذا احترمت أنا ذلك وقمت بتحريك السيارة من أمام باب البناية حتى لا يضايق ساهر القصاص هذا زوجة البواب التي لا ذنب لها في شيء، ولكني طبعًا لم أكن سعيدًا بتحريك سيارتي لأن الأمر كله كان يوحي خطأ بأنه قد انتصر عليّ كما أنه لا حق له أن يحجز مكانًا معينًا لسيارته في الشارع، فالشارع ملك للجميع، ولكني في النهاية عندما فكرت في الموضوع وفكرت في حساب الأرباح والخسائر بالنسبة لي قررت أن أنسى الأمر برمته."

وصرخت هدير بغضب: "وأنت لماذا تنازلت؟ كنت اتركه يستدعي زوجة البواب أوحتى البواب نفسه. وماذا يستطيع ساهر ذاك أن يفعل لك أو للبواب أو لزوجة البواب حتى؟ لا شيء مطلقًا. إنه مثلنا تمامًا. مجرد ساكن بالبناية، وليس له من ميزة فوق ذلك مطلقًا. من يظن نفسه ليجبرك عن تحريك سيارتك من أمام باب البناية؟ ما كان يجب أن تتساهل في حقك."

ووجدت نفسي متهمًا بالضعف ومضطرًا للدفاع عن نفسي، وأجبتها: "إنه مجنون. لو أنك رأيتيه ووجهه قد صار لونه أحمر داكنًا وهو يتقافز وكأنه قد فقد عقله لمجرد أنني ركنت سيارتي في مكان يريده هو لنفسه ما صدقت ما كان يحدث."

وللمزيد من الدفاع عن نفسي وحتى لا تتهمني هدير بالضعف، قررت أن أحكي لها حكاية أخرى عن ساهر القصاص تدل على أن سلوكه المتكبر الغضوب هذا هو سلوك عام لا يقتصر على تعامله معي بشأن ركن السيارة. قلت لها: "هذا هو سلوك ساهر القصاص مع كل الناس. كلما وجد ساهر ذاك وضعًا لا يرضيه، فإنه يتشاجر ويضايق الناس ويتطاول عليهم. أنا رأيته منذ عدة أيام في المطعم الذي أدعو عملاء المكتب عادة إلى الغذاء فيه. دعوت احد عملاء المكتب على الغذاء وبينما نحن جلوس في المطعم، دخل علينا ساهر القصاص هذا وفجأة بدأ يتشاجر مع الندل وكاد يضرب صاحب المطعم. تصوري!!"

وسألت هدير متعجبة: "لماذا؟"

وأجبتها: "لا أعرف. أنا كنت مستغرقًا في إحدى التفصيلات بشأن خريطة الشقة التي كانت أمامنا على الطاولة. كنت أتحدث عن إجراء عمليات الديكور الخاصة بها، وكنت أحدث العميل عن تعديلات الديكورات التي أقترح أنا تنفيذها في الشقة. لم أركز في البداية على ما كان يقوله أو يفعله ساهر القصاص حتى أرتفع صوته وأخذ يؤدي تمثيلية الغضب التي رأيته يفعلها من قبل ويقفز ويرفع صوته ويشتم ويضرب الأرض بقدميه ووقتها طبعًا تحول اهتمامي واهتمام من كانا معي واهتمام كل من في المطعم للأخ ساهر. لكن ذلك المطعم بالذات أنا أذهب إليه بسبب معاملة الندل فيه الجيدة لعملائي وأنهم يحتفون بي وبالعملاء الذين أحضرهم للمطعم ويظهرونني بشكل جيد أمام عملائي، كما أن الطعام في ذلك المطعم جيدٌ جدًا."

وتذكرت أنه يمكنني أن أمدح هدير في ذلك الصدد وبالتالي أخفف من درجة انفعالها فقلت: "وطبعًا ليس أفضل من الطعام الذي تعدينه لي يا حياتي. بالعكس طعامك أفضل وألذ بكثير." ثم أردفت شارحًا موقفي: "طبقًا لتجربتي في ذلك المطعم لا أجد سببًا مطلقًا للمشاجرة الكبيرة التي أشعلها ساهر القصاص ضد الندل وصاحب المطعم."

من الواضح أنه هدير لم تبال بالمجاملة، كما أن أفكارها اتخذت منحىً أخر، فقد سألتني: "مع من كنت في المطعم وقتها؟"

وأجبتها بمنتهى السلاسة حيث أنني كنت أقول الحقيقة: "كان معي المهندس سامح. أنت تعرفينه. هو مهندس الديكور المتخصص الذي يعمل معي، وكان معي الحاج علي الذي حدثتك عنه من قبل وأنا أقوم حاليًا بإنهاء الديكورات في الشقة التي يملكها. في الواقع الحاج علي يملك بناية كاملة كما قلت لك ونحن سنقوم بأعمال الديكورات لتلك الشقة كاختبار لنا وفرصة لإظهار ما يمكننا فعله بالنسبة لديكورات البناية بكاملها، ولهذا دعوت الحاج علي على الغذاء في ذلك المطعم كتغيير عن الغذاء السريع الذي نتناوله عادة في مكتبنا وكإظهار للحفاوة به كي يتشجع ويُسند لمكتبنا أعمال ديكورات البناية بكاملها. ومع من تظنين أنني أتغدى في المطعم يا هدير؟ وهل تظنين أنه ليس لدي ما يشغلني؟"

وصاحت هدير: "وماذا عن ساهر القصاص. أنت كنت في المطعم ومعك مهندس الديكور وكنت تحتفي بعميل كي يسند لك ديكورات البناية التي يمتلكها، وماذا كان ساهر القصاص هذا يفعل؟ لماذا لا يتغدى في بيته؟ ساهر هذا ليس لديه عمل ولا شيء يشغله. مع من كان يأكل؟"

وأجبتها: "كانت معه شابة صغيرة في السن يبدو أنها معروفة، وإن كنت أنا شخصيًا لا أعرفها. إحتفى بها الندل بشكل خاص كما

لو كانت شخصية عامة. ربما كانت ممثلة ناشئة أو مقدمة برامج أو ما شابه."

وشهقت هدير مصدومة: "ماذا! هل يخون زوجته؟"

وصحت بها مصدومًا بدوري: "أستغفر الله العظيم. أستغفر الله العظيم. قبل أن ننهي هذا المشوار سنكون أنا وأنت قد حجزنا لنفسينا مكانًا في جهنم والعياذ بالله. كفي عن هذا يا هدير. لماذا كل هذا الاهتمام بأخبار الناس؟ ماذا كنت ستفعلين لو لم تكوني مشغولة طوال الوقت؟"

وردت هدير وكأنني لم أقاطعها: "أنا رأيي أن تلك المرأة ملك هي الطرف الظالم. زوجها مظلوم معها. لقد تزوجته وهو غني ولديه ملايين الجنيهات، ولما خسر ماله، بحثت عن رجل أغنى منه يعولها، ولم تبال بأنها أم لطفلين وأنه أبو ولديها."

وقلت لها بصيغة نهائية: "لقد وصلنا. أرجو يا هدير ألا تتحدثي في هذا الأمر ثانية. نحن ليس لدينا وقت لنراقبهما ونعرف من المظلوم ومن الظالم. نحن لا يجب أن نتحدث عنهما أصلاً، ومالنا نحن؟"

الفصل الثاني: بيت طنط سامية

قبل أن أبدأ في حكاية ما حدث في تلك السهرة في بيت طنط سامية، سأشرح تفاصيل الديكور في منطقة الرسبشن "منطقة الاستقبال" في بيت طنط سامية خالة زوجتي وهو البيت الذي كما ذكرت مرارًا من قبل كنا نتجه للسهرة فيه في تلك الليلة. كانت منطقة الرسبشن قد تم تغييرها منذ عدة سنوات لتصبح ثلاث غرف مفتوحة على بعضها البعض بدون حواجز ولا أبواب. كانت شقة مدام سامية شقة قديمة في منطقة وسط البلد. وفي البداية بمجرد فتح باب الشقة والدخول إلى داخل الشقة تجد نفسك في صالة متوسطة

الحجم بجانب المطبخ وعادة ما كانت قطعة الآثاث الرئيسية في تلك الغرفة هي طاولة مستديرة كبيرة حولها ثمان كراسي وكانت هذه الطاولة بالطبع هي الطاولة التي يقوم أصحاب البيت بتناول الطعام عليها وكانت تلك الطاولة تجعل من تلك الصالة الواسعة بجانب باب البيت غرفة السفرة. كان بالغرفة كذلك طاولة طويلة تمتد على طول جدار تلك الغرفة من باب المطبخ حتى الطرقة التي تؤدي إلى غرف النوم الداخلية بالبيت. كانت تلك الطاولة الطويلة غير عريضة وكانت تستعمل عادة لوضع الطعام عليها في الحالات التي تقوم فيها طنط سامية بنقل الطاولة المستديرة الكبيرة إلى الداخل وعمل بوفيه لحفلة أو سهرة، حيث يتم وضع الطعام على الطاولة المحاذية للجدار ويأخذ المدعوون الطعام ويحملونه إلى حيث يجلسون على الكراسي في الغرف الملحقة بالرسبشن "منطقة الاستقبال بالشقة."

كانت غرفة السفرة هذه تفتح في جانب اليمين على غرفة مطبخ كبيرة يتم الوصول إليها من غرفة السفرة عن طريق باب جانبي بحيث يتم حمل الأطباق من غرفة المطبخ إلى غرفة السفرة الملاصقة لباب الشقة مباشرة.

كان هناك جدار ضيق على جانب اليسار يصنع حاجزًا يحدد وجود غرفة تالية بعد غرفة السفرة ضمن منطقة الاستقبال، ولكن لم يكن هناك باب أو حاجز بين الغرفتين بل كان هناك جدار ضيق على اليسار فقط. كانت الغرفة التالية من غرف الرسبشن هي غرفة المعيشة للبيت حيث كان يوجد بها التليفزيون وأمامه أريكة مودرن وكان هناك عدد ٤ فوتيه في تلك الغرفة كذلك، وكانت تلك الغرفة تفتح على غرفة ثالثة هي جزء كذلك من منطقة الرسبشن "منطقة الاستقبال في البيت." وكان بين الغرفتين تركيب خشبي عبارة عن وحدة تخزين صغيرة سفلية تعلوها أرفف وكانت تشغل جزء صغير من المسافة بين الغرفتين بينما تركت بقية المسافة مفتوحة بحيث لم يعد هناك بالفعل أي حاجز بين الغرفتين. لم أكن أرى تلك الغرفة

مفتوحة الأنوار عادة إلا عندما يكون هناك ضيوف وتكون هناك حفلة أو سهرة ما في بيت طنط سامية. كانت طنط سامية تقيم سهرتين أو ثلاثًا في بيتها في كل شهر، وعندما دخلت إلى البيت في تلك الليلة كانت تلك الغرفة مازالت مطفأة الأنوار وبالتالي لم أر عند بداية دخولي إلى البيت التغيير في الديكور الذي حدث فيها.

كانت تلك الغرفة عادة تحتوي على ثلاثة خزائن قصيرة لوضع الأطباق الإضافية التي لم تكن تُستعمل إلا في الحفلات والسهرات، وكان بداخل تلك الخزائن كذلك بعض النثريات التي توجد في كل بيت والتي لا يتم استعمالها إلا لمامًا. كانت بالغرفة كذلك أريكتين طويلتين وكنت أنا أنام على إحدى الأريكتين في تلك الغرفة حين كنت أنزل ضيفًا على بيت صديقي محمود. أما في وسط الغرفة فكانت هناك طاولة منخفضة طويلة.

وكانت طنط سامية، كما أسلفت، تحب التغيير لدرجة كبيرة وكانت تقضي الكثير من وقتها كضيفة لدى أختيها في الإسكندرية وكانت مشتركة في أحد النوادي الصغيرة وتذهب في الرحلات التي ينظمها ذلك النادي، وكانت في كل رحلة تقضي عدة أيام تزور إحدى المحافظات. كان المشتركون في رحلات ذلك النادي ينزلون في النوادي الخاصة بالقوات المسلحة والفنادق الصغيرة التي يتعاقد معها النادي على رحلاته، وكانت بتلك الطريقة تزور في كل سنة مع صديقاتها، وهن نساء معظمهن في نفس سنها قد كبر أولادهن ولم يعودوا يحتاجون لإشراف الأم المباشر عليهم، مختلف المواقع السياحية في مصر. لم تكن طنط سامية غنية ولكنها كانت تحسن الترفيه عن نفسها بالميزانية الصغيرة التي خصصتها من مصروف البيت لذلك الترفيه، وطبعًا كان كل ما لديها من مال يأتيها من معاش زوجها المتوفي رحمه الله.

كان محمود صديقي وابن خالة زوجتي هو الإبن الوحيد لطنط سامية خالة زوجتي، وحين كانت تسافر أمه كان يبقى وحيدًا وكان

يستضيفني في بيته أثناء سفر والدته، وكان هذا الترتيب مقبولاً من أسرتي وقتها حيث أنني كنت قد صرت رجلاً وطالب في الكلية وكانت أسرتي تسمح لي ببعض الحركة مثل السفر في رحلات الجامعة أو المبيت عند أصدقائي في حال توافر ذلك. كنت أقيم مع محمود في بيته طوال فترة غياب والدته أيام كنا زميلين في الكلية، وفي بعض الأحيان حتى أثناء وجودها في البيت كذلك، حيث كنا نذاكر معًا كما كنت أنا أؤنسه في وحدته، ولهذا كنت أعرف كل متر في بيتهم.

هذا الجزء سيتكشف لي فيما بعد عندما يتم إنارة ضوء الغرفة الثالثة من غرف الرسبشن "منطقة الاستقبال" في بيت محمود ولكني سأتحدث عنه الآن وإن كنت سأتحدث باقتضاب عن التغيير في الديكور مرة أخرى عندما أتحدث عن هذا الأمر مع وصف أماكن تواجد الموجودين في شقة طنط سامية في تلك الليلة بعد إنارة ضوء الغرفة، وهذا لأنني أحب أن أشرح بوضوح الديكور وكيف تم تغييره في تلك الليلة.

لاحظوا أنني كنت قد أصبحت أعمل تقريبًا كمهندس ديكور طوال الوقت وقتها وأصبح الديكور هو أول ما يلفت نظري في كل مكان أدخله، وأصبحت تخطر في بالي تعديلات على الديكور في كل مكان أتواجد فيه. في تلك الفترة كنت حين أدخل إلى مقر شركات أو مطاعم أو أماكن تقديم خدمات وألحظ أن تغييرًا ما محدودًا في الديكور من الممكن أن يحسن إلى حد كبير من مظهر المكان وفخامته، كنت على الفور أجري مقايسة في عقلي حتى أحسب كم يُكلِّف إحداث مثل هذا التغيير في مظهر المكان ومدى جدواه بالنسبة للمكان.

وكنت أضع نفسي في مكان مالك المكان الذي أدخله أو أجلس فيه محاولاً تخمين هل يستجيب لي مالك ذلك المكان إن اقترحت عليه إحداث تلك التغييرات التي خطرت في بالي لتحسين مظهر المكان،

وكثيرًا ما كنت أطلب مقابلة مالك المكان إن كان المالك موجودًا أو مقابلة المدير إن كانت شركة كبرى، وفي حالة كون المالك أو المدير العام موجود في مكان أخر كنت أسعى لمقابلته أو أرسل له عرضًا بالأرقام والأسعار لتغييرات الديكورات التي أقترحها وكم تكلف وما هو التغيير الكبير الذي يمكنها إحداثه في مظهر المكان أو إحساس الداخلين إليه بفخامته.

وفي الواقع حصلت على الكثير من المهمات والمشروعات التي عملت بها عن طريق مبادرتي باقتراح ديكورات على أصحاب الأماكن التي كنت أتواجد بها لإنهاء تعاملات أو مقابلات أو حتى للترفيه عني وعن هدير أثناء خروجاتنا المختلفة.

أقول أن طنط سامية قد أحدثت تغييرات في البيت وهذا كان معتادًا منها فعندما دخلت أنا وهدير إلى داخل المنزل لم تكن الطاولة المستديرة الكبيرة التي يتم تناول الطعام عليها موجودة في غرفة الرسبشن "منطقة الاستقبال" الأولى، بل كانت هناك فقط الطاولة الجانبية غير العريضة وكان مرصوصًا عليها عدد من الأطباق والأكواب تمهيدًا لوضع الطعام بعد حضور الضيوف.

في الداخل، وهذا الجزء أرويه مقدمًا ولم أره إلا بعدما تمت إنارة الضوء في الغرفة الثالثة في منطقة الاستقبال. تم وضع الطاولة المستديرة الكبيرة الخاصة بغرفة السفرة وحولها سبع كراسي في الغرفة الثالثة من منطقة الاستقبال التي لا يمكن الدخول إليها إلا من غرفة المعيشة. كانت طنط سامية قد أزالت الأريكتين اللتين كانتا موجودتين في الغرفة الثالثة من الرسبشن "منطقة الاستقبال" والتي كنت أنام على إحداهما حين كنت أقيم في بيت محمود، ووضعت طنط سامية الأريكتين في غرفة المعيشة بحيث صنعت مجموعة داخلية على يمين غرفة المعيشة حيث وضعت الأريكتين بجانب بعضهما البعض بمحاذاة الجدار ووضعت اثنين من فوتيهات غرفة المعيشة على يمين ويسار هذا التركيب وأحضرت الطاولة

المنخفضة التي كانت في الغرفة الثالثة ووضعتها أمام الأريكتين، بحيث صنعت الأريكتين والفوتيهات شكل حدوة حصان قصيرة الجوانب مركزها هي الطاولة المنخفضة في الوسط.

كما وضعت طنط سامية فوتيه أمامه طاولة صغيرة في مقابل بداية هذا الترتيب، وفوتيه أمام طاولة صغيرة أمام نهاية هذا الترتيب بحيث أصبحت جوانب حدوة الحصان ممتدة مع الطاولة الطويلة المنخفضة في منتصفها، وكان كل هذا موجودًا في غرفة المعيشة بجانب الترتيب الخاص بالتليفزيون والأريكة الموجودة أمامه وأحضرت طنط سامية كرسيين وضعتهما بجانب الأريكة أمام التليفزيون لكي يتسنى لعدد أكبر من الناس مشاهدة التلفاز في نفس الوقت ووضعت طنط سامية طاولة منخفضة كانت توجد عادة في جانب غرفتها أمام الأريكة والكراسي الموضوعين أمام التلفاز في غرفة المعيشة.

أما التغيير الدرامي فقد حدث في الغرفة الثالثة – الغرفة الداخلية التي لا يمكن الوصول إليها إلى من غرفة المعيشة وهي مفتوحة على غرفة المعيشة فيما عدا حاجز خشبي ضيق عبارة عن أرفف تحتها مساحة تخزين صغيرة في طرف المسافة بين الغرفتين – وضعت طنط سامية هناك طاولة السفرة وحولها السبعة كراسي وبعدها في اتجاه غرفة المعيشة كانت توجد الثلاث خزائن التي تحتوي الأطباق وأدوات المطبخ الزائدة التي لا تستخدم إلا في السهرات والحفلات والأشياء الأخرى النثرية.

وبعدها في إتجاه غرفة المعيشة وضعت طنط سامية كرسيين فوتيه مذهبين لهما ظهر عالي عادة ما كانا يوجدان في غرفتها هي وعلى ظهر الكرسيين إمتدت العصا التي تُعلق منها الستارة في غرفة محمود (عادة ما تُسمى هذه العصا بالبلتكانة)، وكانت ستارة غرفة محمود متدلية على ظهري الكرسيين ثم امتد الجزء الباقي منها على الأرض، وخلف تحت الستارة في اتجاه غرفة المعيشة وضعت

طنط سامية ثلاث طاولات صغيرة من تلك التي توضع تحت بعضها البعض. في الجانب الأخر من الغرفة ملاصق للحائط وقبل طاولة السفرة الكبيرة المستديرة كان هناك كومود يوضع عادة بجانب سرير محمود وكانت عليه شمعة تم إحاطتها بغلاف بلاستيكي لونه بني شفاف. ماذا كان هذا بالضبط أنا لم أكن أدري.

دخلت أنا وهدير إلى بيت طنط سامية وسلمت على محمود وطنط سامية باليد وقبلت هدير خالتها. كنت قد حملت معي كعكة كبيرة مغطاة بالشيكولاته كنت قد اشتريتها من أحد المتاجر الكبرى لبيع الحلويات ووضعت علبة الكعكة على طرف المنضدة الطويلة الملتصقة بالجدار والمخصصة للبوفيه، ونظرت لها طنط سامية وقالت: "لماذا هذا التعب؟ لماذا تأتون معكم بالحلوى؟ هل أصبحتم تعتبرون أنفسكم غرباء أم ماذا؟"

وأجبتها: "كلا طبعًا يا طنط. لا تعب البتة. تعبكم راحة، وكما تعلمين هدير إبنة أختك وأنا أعتبر نفسي أحد أفراد أسرتكم ولكنها فقط مساهمة في البوفيه."

وقالت طنط سامية بلهجة حاسمة: "أنا لا أحتاج مساهمة في البوفيه. أنا أقيم هذه السهرات لأنني أحب أن أسهر معكم. لا داعي للمشاركة في البوفيه."

وهززت رأسي وابتسمت هدير بطريقة تحاول بها إنهاء هذا الموضوع، وقالت طنط سامية مشيرة إلى غرفة المعيشة: "تفضلوا. طبعًا أنت يا يوسف تريد مشاهدة المباراة. محمود قال لي أن مباراة اليوم هامة للغاية."

وفي الداخل كان يجلس مصطفى خطيب إنجي إبنة خالة زوجتي أمام التلفاز. صافحني مصطفى بطرف يده وهو منهمك بكليته في مشاهدة المباراة الهامة التي كنا جميعًا نتطلع لمشاهدتها في ذلك

اليوم، ولم يبد عليه حتى أنه قد رأى هدير وهي بدورها لم تمد يدها لمصافحته.

كان هناك طبق من الكعك الصغير أمام محمود ومصطفى وكوبين فارغين من الشاي وسرعان ما تم أخذ طبق الكعك حيث أن طنط سامية كانت تعرف أنني لا أحب الكعك الصغير، وتم وضع كوب من الشاي أمامي وكوب مماثل أمام هدير أحضرتهما أم سمير المرأة التي كانت تأتي من وقت لأخر كي تساعد طنط سامية في أعمال البيت. وسلمت أنا على أم سمير باليد حيث أنها كانت في سن أمي وسألتها عن أخبار أولادها وأجابت أنهم بخير وكذلك فعلت هدير. بعد قليل جاءت طنط سامية ومعها طبق كبير مرصوص عليه كومة كبيرة من السندوتشات، وقالت طنط سامية: "كل منكم يأخذ ثلاثة سندوتشات فقط. أنا لا أريد أن تبدو السندوتشات قليلة حين يتم وضعها ضمن البوفيه."

طبعًا وقتها خطر في بالي أن الرجال الذين يُتوقع لهم أن يأكلوا السندوتشات وهم نحن الثلاثة أنا ومحمود ومصطفى جالسون أمام السندوتشات الآن. من تظن طنط سامية أنها ستبهره بعد ذلك بكثرة السندويتشات ضمن البوفيه؟ طبعًا كانت هدير لا تتناول الخبز تقريبًا لتظل نحيفة، وكذلك كانت تفعل طنط سامية، ولو تناولت إبنة أختها إنجي الساندوتشات فلن تأكل أكثر من واحد.

كنت قد بدأت أستغرق في متابعة مباراة كرة القدم. كنت في ذلك اليوم أتطلع لمشاهدة مباراة كرة القدم منذ بدايتها، ولكن طبعًا بعدما أنهت هدير تزينها أمام المرآة ونزلت معها وقمت بتشغيل السيارة وتخطي العقبات والحركة وسط المرور المزدحم وصلت بعد انتهاء الشوط الأول وكانت عشر دقائق قد مرت بعد بداية الشوط الثاني كذلك.

كان الفريق الذي أشجعه متقدمًا بهدف وكان الفريق الخصم يسيطر على الملعب ويتحكم في حركة اللعب محاولاً تحقيق هدف التعادل

بكل الطرق وكان الضغط على مرمى فريقنا يشتد. كان من الواضح أن المباراة قوية وندمت على ما فاتني منها فلابد أنها كانت مثيرة للغاية في بدايتها. لو كنت أعلم أنها ستكون حماسية لتلك الدرجة لأجلت خروجي مع هدير إلى ما بعد انتهاء المباراة أو لكنت نزلت من بداية المباراة إلى أحد المقاهي القريبة من بيتي لمشاهدتها في ذلك المقهى ولتركت هدير تسبقني إلى بيت خالتها.

وطبعًا لم تكن هدير لتسكت احترامًا للمباراة، بل سمعتها تقول لمصطفى: "مصطفى. أين إنجي؟"

ولم يرد مصطفى، بل أشار بيده إشارة سخيفة بمعنى انصرفي. وطبعًا هدير لم يعجبها ذلك، وكان وجهها قاتمًا وصوتها أكثر حزمًا وهي تسأل: "مصطفى. أين إنجي؟"

ورد مصطفى وفمه يمتليء بالطعام وهو يشير بيده إلى التلفاز حيث احتدم الصراع بين اللاعبين على الكرة: "لقد ذهبت لزيارة صديقة لها تقيم في الجوار، والحمد لله أنني تخلصت منها لكي لا تنغص علي مشاهدتي للمباراة."

طبعًا كانت هذه إشارة لهدير كي تسكت وتبتعد عنه لأنها تضايقه أثناء مشاهدته للمباراة، ولما كانت هدير من النوع الذي لا يتلقى الضربة ويسكت بل يردها دائمًا فقد صرخت فيه: "أنتما لازلتما مخطوبين ورغم ذلك تريد أن تتخلص منها لمشاهدة مباراة. يا ساتر عليك. لا أدري كيف تحتملك تلك المسكينة."

طبعًا كان ذلك الرد غير دبلوماسي إطلاقًا وكان يمكن أن يورطني، فلو رد مصطفى ردًا سخيفًا لكان وقتها قد يتحتم علي أنا أن أرد عليه بصفتي زوج هدير، ولكن والحمد لله صمت مصطفى ولما وجدت هدير أننا لا نكاد نحول أعيننا عن التلفاز قالت على مضض: "ليس أمامي الآن سوى أن أنضم إلى طنط سامية في المطبخ."

وتركتنا هدير نشاهد المباراة في هدوء، ووقتها طبعًا أدركت أنني أشعر بنفس مشاعر مصطفى فقد كنت أنا كذلك أريد أن أشاهد المباراة بدون إزعاج من أحد وخاصة من هدير التي كانت لا تهتم بكرة القدم ولا تفهم اهتمام الأخرين بها.

بعد فترة ليست بالطويلة إنتهت المباراة وفاز فريقنا، وضربت أنا بكفي كف محمود صديقي احتفالاً بذلك الفوز، بينما كان مصطفى لا يزال يركز على أكل السندوتشات، وكان من الواضح أنه نسف كومة السندوتشات نسفًا على الرغم من تحذير طنط سامية أن لكل منا ثلاثة سندوتشات فقط. طبعًا بما أننا لن نقول لطنط سامية أن مصطفى قد أكل كومة السندوتشات بمفرده تقريبًا فقد مددت يدي وتناولت ثلاثة سندوتشات وكذلك فعل محمود.

جاءت طنط سامية ولاحظت أن الطبق فارغ وتجاهلت الأمر تمامًا، بل سألتنا وهي تعرف أننا لم نعد جائعين: "هل نبدأ الآن فتح البوفيه أم تفضلون أن نؤجل ذلك إلى ما بعد."

وكان قرارنا نحن الرجال الثلاثة أن نؤجل فتح البوفيه إلى ما بعد.

ودخلت طنط سامية إلى الغرفة الثالثة الملحقة بغرفة المعيشة وأنارت الضوء الكهربي. كنت أنا أرى طرفًا من تلك الغرفة من غرفة المعيشة ولكن الجزء الذي كنت أراه كان غارقًا في الظلام. الآن بعد إنارة الضوء شعرت بالصدمة. كان هذا أغرب ديكور شهدته في حياتي أو قل هو أسوأ ديكور شهدته في حياتي.

وعبرت عن ذلك بلساني فورًا، فقد قلت لها: "ما هذا يا طنط؟ لقد وضعتم المائدة الكبيرة ومن خلفها الثلاثة خزائن القصيرة التي تضعون بها الأشياء المخزنة ومن بعدها وضعتم .. ما هذا .. الكرسيين المذهبين الكبيرين ذوا الظهر العالي ثم الستارة الكحلية التي توجد عادة معلقة وراء النافذة في غرفة محمود، والآن هي

معلقة على ظهر الكرسيين ثم الطاولات الصغيرة التي يتم حفظها عادة تحت بعضها البعض. ما هذا الديكور الغريب؟

وكأنما رأت هدير أنني قد لخبطت في حديثي وأنني أتحدث بشكل غير دبلوماسي ولهذا قالت لخالتها مُفسرة الحالة العامة: "لا عليك يا خالتي، فيوسف في هذه الأيام يعمل أساسًا في أعمال الديكور. لقد أوقفوا تقريبًا أعمال الإنشاءات وأصبحوا يركزون على أعمال الديكور فقط تقريبًا، ولهذا فقد أصبح يوسف يقضي معظم وقته مع المهندس سامح مهندس الديكور الذي يعمل معه."

وقلت أنا معتذرًا: "وهل وجدت أعمالاً أخرى بخلاف أعمال الديكور ولم أعمل بها؟"

وطبعًا كانت طنط سامية أم لمهندس هو محمود وتعرف حالة السوق بالنسبة للإنشاءات وغيرها ولهذا قالت وفي صوتها نبرة مرحة: "ومالها أعمال الديكورات! أهي شيء سيء؟"

وأجابت هدير قبل أن أجيب أنا: "بل هي فضل ونعمة من الله سبحانه وتعالى، ولكن يوسف أصبح نزوعًا للتعليق على الديكور في كل مكان يدخله وأصبح يقترح على الناس إجراء ديكورات معينة في أماكن عملهم رغم أن الديكور ليس مجال دراسته الأساسي. أتعرفين؟ منذ عدة أيام كنا نتناول العشاء في مطعم وكان صاحب المطعم يعرف يوسف فجاء ليسلم عليه، ودعاه يوسف ليجلس معنا ومكث يوسف ساعة يحدث الرجل عن إجراء تغييرات في ديكور المطعم وكيف سيؤدي هذا إلى جعل المطعم يبدو أكثر فخامة والرجل يستمع باهتمام."

واختتمت هدير حديثها بعبارة غريبة حيث قالت: "طبعًا يا طنط أنا أرى أن الديكور الذي صنعتيه في تلك الغرفة جميل جدًا وأنه أفضل شيء."

طبعًا كانت هدير تجامل خالتها. كنت أنا أمقت في هدير صفة مجاملتها الشديدة للأخرين إلى درجة أنه في بعض الأحيان تبدو تلك المجاملة تملقًا وتزلفًا وتكون رائحة النفاق في تلك المجاملات متطرفة بل وزاعقة، وحين كنت ألومها على ذلك، كانت هي تقول أن ذلك يُعتبر دبلوماسية وأنني يجب أن أتعلم منها كي أستطيع أن أنتقل لمستوى أعلى في مهنتي.

طبعًا أنا كنت أمقت المجاملة الزائدة والتملق ولكني لم أكن أمانع في أن تجامل هدير خالتها سامية والتي كانت لها أفضال كثيرة علينا بالفعل، كما أنني قد كنت قلقًا من أن حديثي ربما يكون قد ضايق طنط سامية بما أنها بالتأكيد من صنع ذلك الديكور الغريب في تلك الغرفة.

ولكن طنط سامية فاجأتني حين قالت لهدير: "أفضل شيء. طبعًا لا، وهل يمكن أن يكون هذا الديكور هو أفضل شيء! يوسف على حق. هذا الديكور مؤقت جدًا وقد قمت بعمله لسبب غريب جدًا وبالتالي يوسف على حق في أن يقول أنه ديكور غريب."

ونظرت أنا وهدير لطنط سامية باندهاش وطبعًا أنا ابتسمت لأنها نصرتني على ابنة أختها، ورددت كلمات طنط سامية: "ديكور مؤقت صنعته لسبب غريب!"

وردت طنط سامية: "هل تعرفون فريدة جارتنا. إنها تعيش وحيدة في شقتها، وهي الشقة المجاورة لنا، منذ وفاة والدتها، وطبعًا هدير ومحمود يعرفان أن لفريدة قدرات روحية خاصة."

كنت أنا طبعًا قد سمعت عن فريدة تلك وعلى الرغم من كثرة ترددي على بيت طنط سامية وإقامتي مع محمود لفترات طويلة في تلك الشقة إلا أنني لم أقابل فريدة تلك قط، وإن كنت أتمنى مقابلتها ولكني طبعًا كنت أرى نفسي أرفع وأسمى وأكثر احترامًا من أن أدق باب شقتهم متعللاً بحجة ما بغرض أن أراها بسبب الفضول

الشديد. لقد سمعت أنها تستطيع أن ترى أشباح الأموات، أي أنها تستطيع أن ترى الأموات بعد موتهم وحكايات مثيرة كثيرة عن هذا الأمر.

وردت هدير على خالتها: "نعم. لقد حدثت يوسف عن فريدة."

وسألت أنا للتأكد: "أليست هذه هي الفتاة التي ترى الأموات بعد موتهم؟"

وردت طنط سامية: "نعم. هي ترى الأموات بعد موتهم. آخر مرة كان ذلك في الليلة التي توفيت فيها والدتها منذ حوالي ستة أشهر. استضفتها كي تنام معي في غرفة نومي، حيث أن المسكينة كانت منهارة ولم أرد أنا لها أن تبيت في شقتهم. دخلت الحمام لاستحم وعندما خرجت قالت لي أنها قد قابلت والدتي رحمها الله وأن أمي طمأنتها أنها لن تعيش وحدها وأنها ستبدأ رؤية أمها خلال يومين وأن والدتها ستظل تعيش معها في شقتهما."

وطبعًا بدا لي هذا أمرًا مرعبًا للغاية. تخيل أن يتوفى شخص ما ولكنك تعيش معه بشكل عادٍ في نفس البيت بعد موته وكأنه لم يمت، ولهذا سألت طنط سامية: "أهكذا تكون قد اطمأنت؟"

وأكملت طنط سامية حديثها كأنني لم أقاطعها: "وصفت فريدة لي أمي بالتفصيل رغم أن أمي كما قد تعرفون توفاها الله منذ عشرين عامًا ووصفت لي قميص النوم البرتقالي الذي كانت أمي تحب ارتدائه. ذكرتني بأمي وتفاصيلها كما لو كنت أراها بعيني. الله يرحمك يا ماما. قالت لي أن أمي تعيش معنا الآن في نفس البيت هنا. أمي جاءت كي تعيش معي في هذا البيت بعدما مات أبي وقد توفاها الله في الغرفة التي أنام أنا فيها الآن."

وطبعًا كان هذا الكلام مرعبًا أكثر بالنسبة لي أو قل أنه كان غير عادي على أقل تقدير، وسألت طنط سامية وأنا أضحك: "وهل نمت بجانب فريدة تلك في تلك الليلة عادي هكذا؟"

وردت طنط سامية: "أنت تقول هذا يا يوسف لأنك لا تعرف فريدة. فريدة هذه إنسانة ممتازة وتصرفاتها عادية جدًا، وقد تأقلمت مع حقيقة أنها ترى الموتى وأنها لا يجب أن تجعل من حولها ممن لا يعرفونها جيدًا يحسون بذلك، ولهذا فتصرفاتها عادية جدًا. أنا شاركت في تربيتها منذ نعومة أظفارها، حيث أن والدتها كانت تعمل حين كانت فريدة صغيرة وكانت تتركها عندي حتى تعود من عملها. هي وأسرتها جيراننا منذ أكثر من عشرين سنة. ألف رحمة ونور على والدتها. كانت إمرأة طيبة للغاية لم نر منها شرًا قط وموتها فجعنا جميعًا."

وسكتت طنط سامية وهي تتذكر من فارقوها وبدا لي أنني يجب أن أقول شيئًا فقلت لها: "الله يرحمهم جميعًا. أحياك الله وذكرك بهم يا طنط."

وأردفت طنط سامية وكأني لم أقاطعها: "مثل هؤلاء الناس الذين يرون الموتى لا يكون بهم خلل عقلي أو ما شابه. هم فقط يكونون شديدوا الحساسية لعوالم أخرى نحن الناس العاديون لا نراها وذلك بسبب أن لديهم شفافية خاصة لا نملكها نحن. طبعًا هذه أمور لا يمكنني تفسيرها، ولكن لو كان هؤلاء الناس جميعهم مثل فريدة، إذن هم أشخاص عاديون تمامًا. هم فقط يمتلكون صفات نفسية خاصة."

وعدت أنا للموضوع الأساسي: الديكور، وسألتها: "وما علاقة فريدة اسم النبي حارسها بهذا الديكور الغريب؟"

وفتحت طنط سامية عينيها وكأنها تذكرت وابتسمت وقالت: "فكرت أنا ومحمود أن نقيم في هذه الليلة ما يسمى بجلسة استدعاء للموتى. سمعت منذ فترة كتاب صوتي قمت بتنزيله من على الانترنت وحملته على الموبايل الخاص بي كي أسمعه وأنا أعمل في المطبخ. الكتاب الصوتي كان عن التواصل مع عالم الموتى، وكان الكتاب يحكي أن هناك أناسًا يتواصلون مع ذلك العالم ويرون

ويسمعون أشياءًا كثيرة غريبة وسمعت في ذلك الكتاب أن هذا الأمر يتطلب شخص حساس لعالم الأموات. فكرت في إجراء جلسة يتم استدعاء بعض الأموات فيها وذلك على سبيل التغيير، خاصة أن لدينا وسيط ممتاز وهو فريدة جارتنا. لديها في هذه الأيام إجازة من عملها وأحد أهدافي من هذا الأمر هو إخراجها من حالة من الاكتئاب التي أظن أنها تعاني منها. منذ أيام وأنا أحس أنها متغيرة وتبدو لي حزينة، وطبعًا ليس في حياتها ما يسر. كان الله في عونها. ربما كان في هذه الجلسة ما يغير نفسيتها ويسري عنها ولو قليلاً."

وسألتها أنا متعجبًا حيث أنه لا يبدو لي أن رؤية الأموات من الأشياء التي تبعث على التخفيف عن شخص مكتئب: "وهل عرضت الأمر على فريدة وواقفت."

وأجابت طنط سامية: "طبعًا. فريدة هذه هي ابنتي التي لم أنجبها وهي لا ترد لي طلبًا."

وسألت طنط سامية: "ولكن ألا تشعرين يا طنط أن هذا الأمر به بعض الخطورة؟"

وردت طنط سامية: "كلا. لا أظن أن الأمر سيكون به خطورة. أنا فكرت في هذا الأمر. هذا الأمر يكون خطرًا لو طلبنا استدعاء شخص كان شريرًا في حياته مثل جاك السفاح مثلاً."

ورددت بعفوية: "ما شاء الله يا طنط. حضرتك كذلك سمعت عن جاك السفاح."

وردت طنط سامية: "وهل تعتقد يا يوسف أنني أعيش في القرون الوسطى. أنا أحب هذه الموضوعات الخاصة بإثارة الرعب والروايات البوليسية جدًا. تجذبني هذه الموضوعات للغاية. المهم أن نستدعي شخصًا كان خَّيرًا في حياته أو كان شخصًا عاديًا وليس شريرًا."

وسألتها: "شخص طيب مثل من؟"

وأجابت طنط سامية: "شخصية تاريخية مثلاً. أنا أفكر أن أستدعي شخصية فرعونية نسائية .. حتشبسوت مثلاً أو نفرتيتي أو ربما كليوباترا وأسألها عن عصرها. كل شخص منا بإمكانه أن يستدعي الميت الذي يريد أن يتحدث معه."

وسألت هدير: "وهل هم في العالم الأخر يكونون مرصوصين هكذا بجانب بعضهم البعض، كلما طلبنا شخصًا حضر."

وردت طنط سامية: "هذا ما سمعته. هل سمعت شيئًا مخالفًا يا هدير؟"

وردت هدير: "كلا يا طنط. أنا لا أعرف أي شيء عن هذا الموضوع. هذا الأمر جديد جدًا بالنسبة لي."

وسألت طنط سامية وهي تنظر إلى وجهي ووجه هدير: "توقعت ترحيبًا أكبر بهذا الأمر. لماذا أشعر أنكما قلقين ولستما متحمسين؟"

ورددت على طنط سامية: "قد تكون قلة الحماس سببها أن الأمر جديد جدًا بالنسبة لنا يا طنط. هذا الأمر أتى كذلك كمفاجأة بالنسبة لنا. طبعًا أنت دائمًا ما تعدين لنا المفاجآت ولكن أنا رأيي أن الموضوع لن يكون خطرًا إذا ما قمنا مثلاً باستدعاء حتشبسوت. حتى لو لم نستطع صرفها بعد ذلك، فلا أظن أن وجود حتشبسوت سيكون ضارًا جدًا. وقد يكون الأمر مسليًا لو جربناه. لنجرب ونرى ما يحدث."

وسألت هدير خالتها: "ومتى سنجري هذه الجلسة؟"

وردت طنط سامية: "الآن حالاً. أنا اتفقت مع فريدة على أن تأتي في الثامنة والنصف، وفريدة ملتزمة للغاية بالنسبة لمواعيدها. يمكنك أن تضبط الساعة عليها. ما يقلقني الآن هو عدم حضور إنجي حتى هذه اللحظة. أنتم تعرفون أن إنجي قد درست في معهد

للسكرتارية وقد اتفقت أنا معها على أن تسجل وقائع الجلسة بالاختزال أي شورت هاند أي تكتبها مختصرة على ورق حيث أنه يقال أن الموتى لا يحضرون في حال استخدام كاميرات الموبايل والوسائل الحديثة. يُقال أن الأموات لا يحبون هذه الأشياء الحديثة."

وردت هدير متحمسة كعادتها عند كل مصيبة: "رائع. ستقوم إنجي بتسجيل ما يحدث في تلك الجلسة شورت هاند ثم تقوم بكتابته بشكل واضح على شكل تقرير مثلاً على ورق."

ولم أفهم ما هو الرائع في الأمر، وسألت أنا: "ولماذا نقوم بتسجيل تلك الجلسة؟"

وردت طنط سامية: "كي نحتفظ بالتقرير الذي ستعده إنجي للذكرى في المستقبل. تخيل في المستقبل بعد سنوات أن تطالع ذكريات ما حدث في هذه الليلة المميزة."

وطبعًا أنا اتجه فكري في أنه لو حدث بعض ما نراه في الأفلام الأجنبية التي تم تصويرها عن جلسات كهذه فنحن لن ننساها مطلقًا، وطبعًا فكرة الشورت هاند والتسجيل بالاختزال على ورق بدت لي قديمة جدًا وغير مجدية.

ولهذا قلت لطنط سامية معترضًا: "لماذا نقوم بالتسجيل شورت هاند على ورق. في أي عام نحن؟ نحن في القرن الواحد والعشرين. لقد بدأت أقلق."

ونظرت لي طنط سامية بتعجب وقالت: "جلسة استدعاء الموتى هذه لا تقلقك وما يقلقك هو كتابة تسجيل لها على الورق؟"

وأجبتها: "أنا لا أقصد ذلك يا طنط. الأمر بهذه الطريقة بدا لي وكأنه سيتجسم ويصير له قوام وجسم وذيل وأشياء كهذه. أنا لا أفهم لماذا لا نقوم بتصوير الأمر كله بالموبايل." وخطرت في بالي

فكرة وتذكرت الشمعة في جانب الغرفة المحاطة بحاجز بني شفاف وقلت: "ما معنى أننا لن نستخدم التكنولوجيا الحديثة. هل تعنين أنه لن تكون هناك إضاءة كهربائية في المكان؟"

وردت طنط سامية مشيرة إلى الشمعة التي يحيطها غلاف بني شفاف: "كلا طبعًا. سنستخدم للإنارة تلك الشمعة في طرف الغرفة. أنا قمت بإحاطتها بغلاف شفاف مفتوح من الأعلى حتى يحميها من تيارات الهواء التي يمكن أن تطفئها واخترت حاجز غامق اللون حول الشمعة حتى لا يخرج الكثير من الضوء من الشمعة."

وصفقت هدير بحماس وهي تقول: "برافو يا خالتي. ترتيب جميل جدًا."

وطبعًا أنا كنت أرى أن الترتيب ليس جميلاً على الإطلاق. نعم! زوجتي وقد أصبحت أعرفها. مادامت قد تحمست هكذا فهناك بالتأكيد مصيبة قادمة.

وابتسمت طنط سامية وقالت لإبنة أختها متحمسة بدورها: "كنت أعرف أن الأمر سيعجبك."

وطبعًا تخيلت أنا من واقع مشاهدتي للأفلام الأجنبية التي صُورت عن هذا الأمر ما يمكن أن ينشأ عن وجود شخص ميت يقوم بما يفعله في ظلام شبه دامس ونحن جالسون ننظر ولا حول لنا ولا قوة، وهذا طبعًا إن رأينا ما يفعله. ترتيب جميل فعلاً. كما أن موضوع الكتابة على الورق هذه أيضًا كان مشكوكًا فيها فأنا اشك أن توفر تلك الشمعة المحاطة بغلاف غامق اللون ضوءًا كافيًا للكتابة.

وقلت أنا متهكمًا: "يا صلاة النبي. سوف نجلس كلنا في الظلام. كلا. الأمر سيأخذ أبعادًا أخرى. سيصيبنا الرعب."

وضحكت طنط سامية وهي تقول: "وهل تكون تلك تجربة فريدة إلا لو أصابنا الرعب. لو قمنا بإنارة الضوء الكهربي والتصوير بأجهزة الهاتف المحمول فستكون تلك تجربة عادية لا طعم لها. ولكن في الظلام ومع التسجيل بالاختزال على ورق ستصبح هذه تجربة أوريجينال لن ننساها أبدًا لبقية أعمارنا."

وضحكت أنا قائلاً: "هذا لو بقى لأي منا عمر يا طنط."

وصاحت طنط سامية معترضة وبدا لي أنني أفسد عليها استمتاعها باللحظة: "ما هذا يا يوسف. تمالك نفسك. أنت رجل. وماذا تفعل هدير إن كان هذا هو رد فعلك؟"

وطبعًا هدير كانت متحمسة للغاية وفي قمة سعادتها. من الواضح أن جينات أسرتهم قوية وأنها تنتقل بكفاءة بين الأجيال.

ورددت عليها ضاحكًا: "هدير هذه ستقوم في الظلام بحركات كابوكي يابانية لإخافتي وأنا أقول من أين أتت بما هي عليه!"

وضربتني هدير بخفة على ذراعي وهي تقول ضاحكة: "أنا أقوم بحركات كابوكي وأخيفك في الظلام. انتظر حتى نعود إلى بيتنا. الرعب هو ما ستختبره وقتها."

وقالت طنط سامية وهي تضحك: "كلا. لا داعي لإرعابه. أنتما متزوجان حديثًا. عامليه بشكل جيد كي يعيش ويعمر معك."

وقلت لطنط سامية معلقًا على الأمر: "لماذا يا طنط أشعر أنك تتحدثين عن ثلاجة؟"

وردت طنط سامية وهي تهزل: "يا هدير. الزوج مهم جدًا. الله يرحمه أبو محمود كان أول أولوياتي حتى أنجبت محمود."

وسألت أنا طنط سامية: "وماذا حدث بعدما أنجبت محمود؟"

وأجابت: "أصبح أبو محمود هو آخر أولوياتي وهذا هو الطبيعي."

وصحت أنا: "قشطة. طبعًا هذا الوضع يكون مؤقتًا. ومتى يعود الزوج أول أولويات زوجته؟"

وأجابت طنط سامية: "بعد الانجاب الزوج لا يعود ثانية أبدًا أول أولويات زوجته. الإبن أو الإبنة أو الأولاد في مراحل لاحقة يصبحون أول أولويات الزوجين معًا."

طبعًا أنا كنت أبعد حديث جلسة استدعاء الموتى هذه عنا لأنني كنت قلقًا بشأنها، وإن كنت لا أعرف لم كنت قلقًا. بدا لي الأمر وكأنه مخاطرة لا معنى لها. شيء غير مفهوم وقد تكون نتائجة غير محسوبة. أنا لم أكن خائفًا ولكني كنت أراها مقامرة لا مكسب يأتي منها، وقد كانت لدي قاعدة في ذلك الوقت أن المخاطرة التي لا مكسب منها لا داعي لها.

وكأنما أحست طنط سامية بما يدور في خلدي، ولهذا غيرت اتجاه الحديث ثانية وقالت بجدية: "كلا، بل دعنا نتحدث بجدية لدقيقة يا يوسف. لو أنك لا تريد هذا الأمر فلن نقوم به وسأعتذر لفريدة ويمكن وقتها أن تكون فرصة لها لتختلط بالناس في هذه السهرة بدون أن تكون وسيطًا وبالتالي تغير حياتها الرتيبة وترفه عن نفسها قليلاً. هذه الفكرة خطرت لي والهدف منها تسليتك أنت وهدير وتسلية إنجي ومصطفى. لو لم ترد أنت هذا الموضوع الخاص باستدعاء الموتى فلا داعي له."

وطبعًا لم أكن لأفسد على طنط سامية شيئًا كانت تتطلع له بحماس، كما أن حماسها كان قد انتقل إلى هدير وأنا لا أريد أن أكون سارق الفرح في تلك الليلة ولهذا قلت لها مازحًا: "ومم يمكنني أن أقلق يا طنط؟ وطبعًا لا يمكنني أن أقلق وأنت معنا. أنا فقط كنت أستغرب من هذا الأمر لأنه أول مرة أسمع عنه ولكن حضرتك دوسي في هذا الأمر ولا تهتمي بشيء. كلنا وراءك يا طنط."

وابتسمت طنط سامية وتحركت تاركة إياي أنظر إلى الديكور الغريب لجلسة استدعاء الموتى تلك.

وفي تمام الثامنة والنصف مساءًا دق جرس الباب ودخلت فتاة أقل ما يقال عنها أن جميلة. واحتضنتها طنط سامية وقبلتها وصاحت بها: "لقد جئت كالعادة في ميعادك يا فريدة."

إذن فهذه هي فريدة جارتهم التي ترى الأموات. لم يقل لي أحد منهم أنها بهذا الجمال. كنت أقف بجوار محمود وقد عبرت له فورًا عما شعرت به حيث قلت وأنا أهمس لمحمود: "أهذه هي الفتاة التي ترى الأموات؟ كم هم محظوظون أولئك الأموات. الفتاة تبدو رقيقة جدًا وجميلة كالقمر المنير. لماذا لم يذكر لي أحد من قبل أنها بهذا الجمال؟"

وهالتني نظرة الغضب التي وجهها لي محمود وهمس لي محمود بصوت مكتوم ينطق بغضب شديد: "أنت رجل متزوج وهذا معناه أنك لا يجب أن تنظر إلا إلى زوجتك."

وهمست له: "وهل تراني ذهبت للفتاة لأغازلها مثلاً. أنا أحدثك أنت فقط."

وهمس محمود بغضب: "لا تقل لي شيئًا ولا تنظر لها. أنت يجب ألا تنظر إلا إلى امرأتك."

وطبعًا كنت معتادًا على التحذلق الذي يتصف به محمود والذي يبدو أنه تربى، ربما على يد أبيه، على مباديء صارمة وهو يلتزم بها بشدة.

ورددت عليه هامسًا: "ماذا بك يا رجل؟ وهل تراني كلمتها مثلاً."

وأقلقتني نظرة الغيظ في عيني محمود. كل هذا الغضب من أجل أنه إبن خالة هدير زوجتي. ولكن فجأة خطر لي شيء جعلني أنظر إليه

ثانية، وهمست له: "أهي جارتكم فقط أم أن هناك شيئًا ما بينك وبينها؟"

وهمس محمود: "اخفض صوتك حتى لا تسمعك."

وهمست أنا له وقد بدأت استمتع بالأمر: "ما هذا! أهو حب من طرف واحد! أنت تعيش في القرن الماضي يا محمود. هذا معناه أنك لم تخبرها أنك تحبها. يا لك من أحمق. كنت أظنك رجلاً يا محمود."

ونظر لي محمود بغضب شديد وكأنه لو لم نكن في ذلك الموقف لضربني وضحكت أنا ساخرًا من ذلك. تخيل أن محمود يحب جارته منذ فترة طويلة ولم يخبرها بذلك، وهمست له: "لماذا لم تخبرني يا ولد؟ ألست صديقك؟"

واضطررت أن أتوقف عن الهمس عندما جاءت فريدة بعدما سلمت على هدير واحتضنتها وقبلتها كي تسلم علي وعلى محمود. سلم عليها محمود باليد واضطر لتقديمي لها فقال: "أحسب أن هذه هي أول مرة تتقابلان فيها. المهندس يوسف زوج هدير ابنة خالتي. الأستاذة فريدة جارتنا وستكون الوسيط في جلسة اليوم."

وخفت أن أسلم عليها باليد وأقوم بحركة ما يسيء محمود تفسيرها وقد فهمت أنه يغارعليها بشدة رغم أنني كنت أرى الموقف كله يدعو للفكاهة أكثر من أي شيء أخر، ولكنني اكتفيت بهز رأسي كدلالة على التعارف. ودخلت فريدة وسلمت على مصطفى وسألته: "أين إنجي؟"

ورد عليها مصطفى وهو واجم لا أدري لماذا: "دقائق وستكون هنا. أنا لا أدري أين ذهبت."

دق جرس الباب للمرة الثاني وظهرت إنجي إبنة خالة هدير وحين رأتها طنط سامية صاحت بها: "إنجي. كان يجب أن تكوني هنا من ساعة مضت على الأقل. ما هذه المواعيد غير الدقيقة؟"

وضحكت إنجي ضحكتها المرحة وقالت: "إنسي يا طنط. موضوع المواعيد الدقيقة هذه كانت على أيامكم فقط، ولكني الآن أحضرت كراسة وقلم كما طلبت مني." وأخرجت انجي من حقيبة يدها كراسة وقلم وأردفت: "وأنا الآن جاهزة لأي شيء تريدينه."

كانت هدير قد قضت ساعة تتزين حتى لا تنافسها إنجي في بهاء زينتها، ونظرت إلى إنجي. كان كل يوم يمر عليها وهي مخطوبة لمصطفى ينتقص من جمالها ومن حرية نفسها أو هذا كان رأيي أنا. كانت تبدو ممتقعة اللون شاحبة الوجه وشعرها ليس مرتبًا بما يناسب حضورها لسهرة وكان معظم ماكياجها قد تآكل وذهب. كانت تصطنع المرح ولكنها بدت لي وكأنها تعاني من مشكلة حقيقية.

وطبعًا لمت في سري مصطفى خطيبها، فمن تخُطب لمثل ذلك الرجل لابد أنها ستعاني كثيرًا في حياتها. إن كان هذا قد أصبح مظهرها بعد فترة من خطبتها له، فماذا سيحدث لها عندما تتزوج منه؟ أحسست بالتعاطف معها وقررت أنني سأدعو لها في صلاتي أن يجنبها الله مصير الزواج من مصطفى إن كان يعلم سبحانه وتعالى أنه لن يكون زواجًا سعيدًا وأن يرسل لها بديلاً أفضل من مصطفى هذا.

جاءت إنجي للسلام علي وسلمت عليها أنا ومحمود باليد بينما قبلتها هدير وفريدة واحتضنتاها ولما وصلت إلى مصطفى نظر لها نظرة جانبية تبين عدم رضاه لتأخرها وحولت هي وجهها عنه. هذه كانت فترة الخطوبة التي يصفها كل الناس بالبهجة.

الفصل الثالث: جلسة استدعاء الموتى

نادت طنط سامية على الجميع بصوت قبطان السفينة الذي يتحكم في كل شيء: "الآن، على الجميع ترك موبايلاتهم هنا." وفتحت طنط سامية أحد الأدراج التي توجد في الطاولة الطويلة الضيقة الموضوع عليها الطعام في غرفة السفرة الموجودة في الصالة بجانب المطبخ والتي تعتبر أول غرف منطقة الاستقبال في البيت والتي يفتح عليها باب الشقة. وأردفت طنط سامية: "وعلى كل منكم أن يأتي بشيء من ممتلكاته الخاصة ويضعه على الطاولات الصغيرة في بداية هذه الغرفة" وأشارت إلى الغرفة الثالثة من منطقة الاستقبال الملحقة بغرفة المعيشة والتي كان بها الديكور الغريب ويُتوقع أن تتم بها جلسة استدعاء الموتى تلك.

"بعدها على كل منكم أن يدخل ويجلس على أحد الكراسي السبعة المحيطة بمائدة السفرة." أردفت طنط سامية وهي تشير طبعًا لطاولة السفرة الموجودة في الغرفة الثالثة. أي أنه كان على كل منا أن يضع شيئًا يخصه على الطاولات الخارجية في بداية الغرفة الثالثة الملحقة بغرفة المعيشة ثم يتقدم ليجلس حول الطاولة الكبيرة المستديرة في تلك الغرفة.

كنا سبعة أشخاص: أنا وهدير، إنجي ومصطفى، محمود وفريدة وطنط سامية. كان في جيبي قلم حبر أنيق كنت أستعمله في توقيع العقود، على الرغم من أن الناس جميعًا في هذه الأيام يستعملون أقلام الحبر الجاف ولكني كنت أتفائل به في توقيع العقود، وقد بقى ذلك القلم في جيب البنطلون بعدما وقعت به عقدًا منذ أيام قليلة ولم أخرجه أنا من البنطلون عندما ارتديته. خلعت هدير اسورتها الذهبية ووضعتها على إحدى الطاولات الصغيرة. قامت إنجي بإخراج مرآة صغيرة تحتفظ بها للتزين داخل حقيبتها ووضعتها على إحدى الطاولات الصغيرة في بداية الغرفة ثم دلفت إلى الداخل. وضعت طنط سامية مشط صغير يخصها على إحدى الطاولات

الصغيرة، بينما وضع محمود سكين صغير غير حاد مما يستعمل في تقطيع التورتة. كانت فريدة قد وضعت مفتاح بيتها مع موبايلها في الدرج ولم يكن معها شيء ولهذا دخلت إلى داخل الغرفة الثالثة الملحقة بغرفة المعيشة وجلست على كرسي حول الطاولة دون أن تضع شيئًا من ممتلكاتها في الخارج على الطاولات الصغيرة. كذلك لم يضع مصطفى شيئًا من ممتلكاته حيث أن شعاره كان "خالف تُعرف."

تقدمت طنط سامية نحو الشمعة في طرف الغرفة وقامت بإشعالها بينما أغلق محمود الأنوار، وغرقنا في ظلام دامس فيما عدا ضوء تلك الشمعة الدامس بدوره، ولكني كنت أعرف أنه ما إن تعتاد عيناي على الظلام فسأرى الكثير.

وجاءني صوت فريدة وهي تقول: "أرجو أن تجلس إمرأتان عن يميني وعن يساري."

وقمنا بتعديل ترتيب جلوسنا فجلست هدير عن يمينها وجلست أنا بجانب هدير وجلست إنجي على يسارها وجلس مصطفى بجانب إنجي بينما واجهها محمود وطنط سامية.

وقالت فريدة: "أنا حضرت مثل هذه الجلسات كوسيط من قبل. من فضلكم اتبعوا تعليماتي للحصول على أفضل النتائج. أنتما يا هدير وإنجي إمسكا يديّ بقوة كل من جانبها. في البداية لا أحد يضع يده على الطاولة."

أمسكت كل من هدير وإنجي بقوة بيدي فريدة الوسيط، وخلعت أنا ساعتي ذات العقارب المضيئة ووضعتها على الطاولة حتى أستطيع أن أتابع مرور الوقت خلال الجلسة.

أحسست فجأة بأن هناك شعورٌ ما يحيطني وكأنني في جو مسحور. أغلقت فريدة عينيها أو هذا ما خُيل لي في الظلام الذي كنا موجودين في وسطه. أحسست كأن الظلام كائن مادي يحيط بنا.

سكن كل شيء. حتى أصوات الشارع والتي عادة ما تكون عالية ومسموعة بوضوح، حيث أننا في منطقة مزدحمة في وسط البلد، لم أعد أسمعها وسيطر علي شعور غريب.

ثم سمعت صوت فريدة يقول: "هدير وإنجي اتركا يديّ الآن. ليضع الجميع أيديهم الآن على الطاولة."

أحسست فجأة وكأن الطاولة تتحرك. في الواقع لم أكن أعرف حقيقة هل تتحرك الطاولة أم لا. كانت يداي على الطاولة ولكني مع ذلك لم أستطع أن أجزم. وسمعت صوت مصطفى يقول بغضب: "من يدفع الطاولة بقدمه ليخيفنا فليكف عن ذلك. عيب عليه."

وجاءني صوت محمود معترضًا كأنما هو ينهر مصطفى: "هي أصلاً الطاولة لا تتحرك. إنها ثابتة. ربما كانت يدك أنت التي تتحرك."

وفجأة بدأت ساعة يدي تتحرك على الطاولة وتنزلق متجهة نحو حافة الطاولة ثم سقطت من فوق الطاولة هكذا دون أن أحرك ساكنًا للإمساك بها ومنعها من السقوط وكأنني مشلول. نظرت إلى الأسفل بعدما سقطت الساعة لعلني أراها خاصة وأنها مضيئة ولكنني لم أر شيئًا."

فجأة بدأت الوسيط فريدة في السقوط في كرسيها. بدت لي كجورب متدلٍ وكأن ما يملأ جسمها قد ذهب، وغاصت الوسيط فريدة في كرسيها. كانت جالسة ولكنها لم تكن تفرد جسمها كعادة الأحياء وصاحت مدام سامية: "فريدة الآن في العالم الأخر. تحدثوا إلى الناس الموجودين هناك. حدثوا فريدة."

وآتاني صوت مصطفى الهازيء وكأنما هو يجرب ميكرفون ما: "واحد .. اثنين .. ثلاثة .. مائة سلام على الناس التمام. ما هي أخبار الجو لديكم؟ ما هي أخباركم؟"

وآتاني صوت الوسيط ولم يعد يشبه صوت فريدة بل كان صوتًا رفيعًا وضعيفًا وكأنه صوت طفل: "كل شيء مظلم وعلى الرغم من أن الجو حار فأنا أشعر أن جسمي شديد البرودة .. أنا متعبة للغاية .. رجلي تؤلمني .. سقطت عليها على السلالم وأنا أجري كي أصل في موعدي. لو وضعت عليها بتادين ومرهم أو مسكن ربما ذهب عني الألم. آه. أشعر بالبرد والدنيا مظلمة."

وفجأة بدا لي وكأن هناك برق يضيء داخل الغرفة وانفتحت النافذة بقوة لتدخل رياح قوية ولكن ضوء الشمعة لم ينطفيء. فجأة وجدت أن الستارة الخاصة بمحمود والمعلقة في ظهر كرسيي الفوتية عاليي الظهر قد انتفخت وكأن هناك شيء ما يملأها ويعطيها قوامًا. قام محمود بسرعة وأغلق النافذة المفتوحة. وطار قلم الحبر الذي وضعته على الطاولة الصغيرة عند بداية الغرفة وأخذ يرش الحبر على وجه مصطفى وثيابه وجلس مصطفى مذعورًا وهو يصرخ: "يوسف. ابعد قلم الحبر الخاص بك عني. اجعله يكف عما يفعله." طار القلم واختفى في الظلام وطارت السكين الصغيرة التي وضعها محمود على إحدى الطاولات الصغيرة وارتطمت بالجدار في نهاية الغرفة بجانب الشمعة ثم سقطت السكين على الأرض.

تعلقت هدير بي وهي تصرخ مرتعبة. لا أعرف ماذا كانت تظن هدير أنه بإمكاني أن أفعل لإنقاذها ولكني كنت في حالة توهان وكأنني مشلول لا قدرة لي على شيء. طارت المرآة الخاصة بإنجي واصطدمت بدورها بالجدار وتحطمت إلى شظايا صغيرة سقطت على الأرض وصرخت كل من هدير وإنجي ووجدت نفسي أنا ومحمود ومصطفى نقهقه ونضحك ذلك الضحك المشوب بالتوتر.

وفجأة انتفضت الوسيط فريدة في كرسيها وصرخت فريدة بصوتها العادي: "الرجل ميت. إنه ميت."

وسمعت صوت مصطفى الهازيء يقول: "هذا ما ينقصنا في هذه الليلة السوداء! من هو هذا الميت؟"

وآتاني صوت فريدة اللاهث بصوت عالٍ وهي تتحدث بسرعة وبصوت عالٍ: "ما هذا. لقد دخلت الرصاصة فوق أذنه. هذا ليس جيدًا. هذا ليس جيدًا." ثم صمتت فريدة للحظة وقالت: "بل هذا جيد. هذا جيد."

وتجاوب معها مصطفى ساخرًا "كلا. إنه ليس جيدًا البتة. ليس جيدًا."

فجأة تركت إنجي مكانها بجانب الوسيط فريدة وجرت نحو الحمام الملحق بالجانب الأخر من غرفة المعيشة وسمعنا جميعًا صوتها تتقيأ وتفرغ ما في معدتها بصوت عالٍ ومسموع. يبدو أن أعصاب المسكينة لم تحتمل.

سكنت الوسيط ولم تعد تتكلم وعادت إنجي وهي تمسح وجهها بمنشفة وجلست على مضض في كرسيها بين الوسيط وبين خطيبها وكأنها خجلة من إظهار توترها لتلك الدرجة.

وأكملت الوسيط بصوتها العادي: "ولكن الحمد لله. الدم الذي سال من رأسه ليس كثيرًا. يمكن إزالة بقعة الدم هذه لو استعملنا ماءًا باردًا."

وصرخت الوسيط فريدة وهي تتراجع في كرسيها وكأنما هي صدمت بشيء ما: "كلا. كلا. توقفي. توقفي. أنا قلت ماءًا باردًا. هذا الماء ساخن. هكذا ستثبت البقعة في السجادة. البقعة قد ثبتت. أليس بك عقل؟ كي تستعملين ماءًا ساخنًا في شيء كهذا؟"

سكتت الوسيط وانحنت إنجي في كرسيها وكأنها ستتقيأ في تلك اللحظة، وسألت طنط سامية ابنة اختها إنجي بقلق: "هل أنت بخير يا إنجي؟ لو أنك لا تحتملين ما يحدث، قومي من هذه الغرفة واذهبي إلى أية غرفة أخرى. لا تحملي نفسك يا ابنتي مالا تطيقين."

وأجابت إنجي: "كلا يا طنط. أنا بخير. أنا أريد أن أبقى لأعرف ما يحدث بعد ذلك."

طبعًا. أنا كذلك كنت قلقًا ولكني كنت أريد أن أعرف ماذا سيحدث. موضوع موت الرجل والرصاصة التي دخلت فوق أذنه هذا يبدو غريبًا وغامضًا وبقدر ما أثار الأمر قلقي أثار كذلك فضولي كي أعرف بقية الحكاية.

وجاء صوت الوسيط فريدة لينبهني من أفكاري: "ألم أقل لك يجب أن يكون الماء باردًا. كيف سنزيل بقعة الدم الآن؟"

وفجأة غاصت الوسيط فريدة في كرسيها ثانية وهي تتحدث بصوت غليظ وكأنها رجل يحدث امرأة: "كلا. لن نتصل بالشرطة الآن. لو جاءت الشرطة الآن فستنتهي حياتك إما على حبل مشنقة أو ستقضين بقية حياتك في السجن."

وصاح محمود: "من هذه التي ستقضي حياتها كلها في السجن. آمل يا جماعة أن ننهي هذا الأمر الآن. هناك بيننا من يتعبه هذا الذي يحدث والأمر كله لا يعجبني."

وصاح مصطفى: "بل دعها تهذي. من يبالي بما تقوله؟"

وطبعًا كان الشخص الذي تحدث عنه محمود والذي يتعبه ما يحدث هو إنجي خطيبة مصطفى والذي لم يكن يبدو عليه أن يفكر بها أصلاً.

وسأل مصطفى الوسيط: "هل هذا الكلام معناه أن شخصًا مات بالفعل؟"

وردت الوسيط فريدة وجاءت كلماتها كما لو كانت تعقيبًا على ما كنت أفكر فيه أنا بشأن مصطفى: "نعم. هي لديها المسدس. لا يجب أن تبكي عليه هكذا. لقد كان قاسيًا في تعامله معها. كان حيوانًا لا بشرًا. لم يكن يحس."

وسألها محمود: "هل ترين البيت الذي حدثت فيه حالة الوفاة؟"

وأجابت الوسيط: "نعم. شقة عادية."

وسأل محمود: "وهل ترين المرأة الموجودة في الغرفة التي يوجد بها المتوفي. هل هو موجود في غرفة؟"

وصاح مصطفى متنمرًا: "تراها أو لا تراها. أليس من الممكن أن تكون هذه الفتاة مغرضة وأنها تلعب بنا."

وصاحت طنط سامية ناهرة له: "إسكت يا مصطفى. ما هذا الكلام السيء؟ لا تتكلم من فضلك. استمع فقط."

ويبدو أن المقاطعة قد أجبرت هدير على التدخل لتضمن استمرار الوسيط في الإدلاء بمعلومات حيث كانت هدير بالطبع تشعر بالفضول والرغبة في فهم ما تتحدث عنه الوسيط. قالت هدير للوسيط: "حسنًا. أنت ترين رجلاً ميتًا وأمرأة في غرفة. هل يمكن أن تصفي الغرفة."

وأجابت الوسيط: "غرفة صغيرة. غرفته. كان يحلق ذقنه عندما مات. مازال صابون الحلاقة موجودًا على وجهه."

وسألت أنا: "تتحدثين عن مسدس ورصاص والمسدس بحوزة تلك المرأة. هل قتلته المرأة؟"

واهتزت فريدة وكأنها تدافع عن نفسها: "لا أدري. لا أدري. لم تقتله. سنقول أنه قد قتل نفسه."

وصاحت طنط سامية تحدث إنجي: "هل تكتبين هذا الكلام يا إنجي؟"

طبعًا إنجي لم تكتب حرفًا. ظلت الكراسة والقلم أمامها كما هما ولم تمسهما طوال الجلسة.

وصاحت طنط سامية: "اكتبي يا إنجي. أكتبي كل شيء تقوله فريدة. الله وحده يعلم ما سينتهي إليه هذه الأمر. هي تتحدث عن جريمة قتل. حاولي أن تتغلبي على تعبك وتكتبي."

وأمسكت إنجي بالقلم وبدأت الكتابة.

وسألت هدير، وكنت أحس بها بجانبي تصبح قلقة في كل مرة يتم مقاطعة الوسيط فيها، حيث أنها كانت تريد أن تستمر الأسئلة للوسيط حتى تعرف المزيد عن ذلك الأمر: "أنت تقولين أن هناك رصاصة قد انطلقت من مسدس وهناك رجل ميت. أين يحدث هذا الأمر؟"

وقالت فريدة الوسيط: "رصاصتان وليست رصاصة واحدة."

وعبر محمود عن اندهاشه وقال: "ماذا! الرجل قتل نفسه برصاصتين."

وبدأت فريدة تتحدث بإسهاب وكأنها تصف شيئًا ما: "هل تعرفين الصمغ الذي يصنع من الدقيق. لونه يكون أبيض وعندما يصل للقوام المطلوب يصبح مثل الصلصال وتصنع منه كرة بيضاء يمكن أن تغطي الثقب الكبير الذي أحدثته الرصاصة في السقف ويمكن أن نلصق عليه ورق أبيض لو أن لون الصمغ أكثر بياضًا من لون السقف. لا يجب أن يكون الصمغ شديد البياض حتى لا يلفت النظر إلى السقف ولا يبدو عليه أنه جديد تم اضافته حديثًا إلى السقف."

وفجأة بدأت الوسيط تتأوه بصوتٍ عالٍ كأنها تتعذب.

وصرخ محمود: "ماما. من الأفضل جعلها تفيق الآن. هذا قد يكون مؤذيًا بالنسبة لها."

وتحركت طنط سامية واتجهت إلى هدير وبدأت تهزها بقوة محاولة إيقاظها ثم بدأت تضربها على خدها، في البداية كانت تضربها بخفة ثم أصبحت تضربها بقوة أكبر.

لم تستيقظ الوسيط فريدة، بل تكورت في الكرسي وقلصت ذراعها وأخذ جسدها شكل حركة وكأنها ترفع شيئًا ثقيلاً ثم قالت وهي تزفر: "إنه ثقيل للغاية. ثقيل للغاية. أمسكي به حتى نستطيع أن نحركه ونرفعه. جسمه ثقيل للغاية. ما هذا؟ ماذا كان يأكل؟"

وفجأة صرخت فريدة محذرة: "صابون الحلاقة الموجود على وجهه يجب أن نمسحه. لا يجب أن ننسى صابون الحلاقة على وجهه. هل سمع أحدٌ من قبل عن شخص ينتحر أثناء الحلاقة؟ يجب أن ننظف وجهه من اللمعة التي تركها صابون الحلاقة على وجهه."

وفجأة بدأت فريدة تتكور في كرسيها وتولول: "أنا لا أستطيع أن أتنفس. لا أستطيع أن أتنفس. أتمنى لو نمت واستيقظت فوجدت أن هذا كله كان حلمًا وأنتهى."

وتركت إنجي فجأة القلم من يدها وانطلقت تجري نحو الحمام وسمعنا جميعًا صوت تقيؤها من جديد.

وقالت طنط سامية بأسف: "إنجي في حالة سيئة للغاية. لم أكن أظن أنها هشة إلى هذا الحد."

وعادت إنجي من جديد تمشي بخطوات خجولة مترددة وهي تمسح وجهها بمنشفة وجلست على الكرسي الخاص بها حول المائدة المستديرة.

تدخلت هدير مرة أخرى لتضمن استمرار حديث الوسيط عن الرواية التي كانت تحكيها وقالت لفريدة: "هل يمكن أن تحدثينا عن البيت الذي حدث فيه هذا الأمر."

وجلست فريدة جلستها العادية في الكرسي وقالت بصوتها العادي: "طبعًا. إنها شقة سكنية. المفتاح موجود في المشاية التي توضع أمام الباب لينظف الناس أسفل أحذيتهم عليها قبل دخولهم إلى

البيت. داخل المشاية من الخلف هناك شق غير مرئي عندما ينظر له المرء بالعين المجردة لا يراه، ولكن لو حركت يدك قليلاً على ظهر المشاية فستجد شقًا ولو أدخلت أصبعك داخل ذلك الشق وحركته قليلاً ستصطدم يدك بمفتاح الشقة داخل المشاية. إنها إمرأة مهملة للغاية. بهذه الطريقة قد تُسرق الشقة."

وصاح محمود فجأة: "يكفي هذا يا جماعة. قد يكون هذا الأمر خطرًا على فريدة. إفعلى شيئًا يا ماما."

وانطلقت طنط سامية إلى الكرسي الذي تجلس عليه فريدة وبدأت في هزها وهي تقول: "يجب أن تفيق الآن. هذا يكفي تمامًا."

وصاحت طنط سامية وهي تهز فريدة وتربت على خدها بقوة: "فريدة. يا فريدة. استيقظي يا ابنتي."

واتجهت أنا إلى مفتاح إنارة الكهرباء وسرعان ما فتحت الضوء الكهربائي والذي سطع بقوة فأعشى أعيننا للحظة ولكنه أعادنا إلى حياتنا العادية. كان الضوء كأنه صدمة كهربائية نقلتنا بين عالمين وأعادتنا إلى رشدنا. الأمر كان وكأننا كنا في مكوك فضاء أو مركبة ما تنطلق ولا نستطيع أن ننزل منها حتى أنير الضوء وعدنا إلى مكاننا.

وصاح مصطفى: "أعوذ بالله. الآن اتضح أن الضوء الكهربائي هذا هو نعمة من الله حقًا. لقد كنت أشعر وكأنني تحت تأثير تنويم مغناطيسي أخذني من الزمان والمكان، وما هذا الذي كنا نسمعه. يا ساتر يا رب."

وفتحت فريدة عينيها أخيرًا وسرعان ما آتاها محمود بكوب من الماء تجرعت منه بضع جرعات ووضعته على المنضدة أمامها. لم تكن تبدو على خير ما يرام. كانت تبدو ممتقعة الوجه وعيناها زائغتان وبدت لي في حالة انعدام توازن.

سألها محمود: "هل آتيك بكوب من الشاي حتى تفيقي؟"

وأجابت فريدة: "كلا. شكرًا يا محمود."

وسألت أنا فريدة: "أين كان المكان الذي حدثت فيه جريمة القتل؟"

وهزت فريدة رأسها وكأنها لا تصدق وقالت: "جريمة قتل. هل حدثتكم الليلة عن جريمة قتل؟ لحسن الحظ أنني عندما أفيق من مثل هذه الجلسات لا أذكر شيئًا البتة عما قلته أو عما كنت أراه أثناء الجلسة. بالنسبة لي عندما أفيق ينتهي كل شيء ولا يبقى في ذاكرتي شيء وكأنه حلم نسيته عندما استيقظت من نومي."

وسألتها محاولاً تذكيرها: "تحدثت عن جريمة قتل يحاولون جعلها انتحارًا."

وردت فريدة وكأنها تدافع عن نفسها: "أنا آسفة. لا أعرف عم تحدثت، واسمح لي. أنا لا أريد أن أعرف ولا أريد أن أتذكر أي شيء عن هذه الأشياء التي ذكرتها. أنا مجرد وسيط ولست جزءًا مما أقصه عادة على الناس."

ووجدت فريدة أمامها طبقًا عليه قطعة من كعكة كبيرة وتورتة وكوب من الكوكا كولا ومحمود واقف بجانب الطبق والكوب مبتسمًا.

وابتسم الفتاة ابتسامة باهتة واهنة وكأنها تشفق على محمود مما ستقوله: "أشكرك كثيرًا يا محمود. لم يكن عليك أن تتعب نفسك ولكني أنا عندما أفيق من تلك الحالة بعد مثل هذه الجلسات لا أستطيع أن آكل أو أشرب أي شيء. لا أستطيع. كل ما أتمناه في مثل هذه الأوقات هو أن أذهب لأنام فقط. أنا أنهي مثل هذه الجلسات وأنا مدمرة عصبيًا ولا أعرف لماذا. أنا آسفة جدًا يا محمود ولكني لا أستطيع أن آكل أو أشرب أي شيء الآن. أنا فقط أريد أن أذهب إلى بيتنا لأنام."

وألح محمود على الرغم مما يبدو من صدق فريدة في رفضها، وقال: "هل هذا معناه أنك ستردين يدي ولن تأكلي من هذا الطعام الذي آتيتك به؟"

وتوسلت فريدة: "آسفة يا محمود."

ومن خلفها جاءت طنط سامية وقالت: "لا عليك يا محمود. لا تلح عليها. غدًا إن شاء الله حين تستيقظ من نومها ستأتي بمحض إرادتها ودون دعوة منا لتفطر معنا. ونظرت طنط سامية لفريدة وقالت: "لن أسمع لأي اعتراض أو اعتذار. ووقتها ستأكل التورتة وتشرب المشروبات التي لم تشربها الليلة." وأكملت طنط سامية: "أنا أعرف فريدة جيدًا فأنا ساهمت في تربيتها. عندما ترفض هكذا فإنها حقيقة لا تشعر برغبة في الأكل أو الشرب. اتركها تتصرف كما تريد."

وأستأذنت فريدة وغادرت شقة طنط سامية.

جلس الجميع في غرفة المعيشة. كانت طنط سامية منهمكة في حديث جانبي مع هدير تتخلله الكثير من الضحكات، بينما جلست إنجي وحدها لا تأكل ولا تشرب وجلس مصطفى بجانبها يأكل كل شيء أمامه كالعادة. أحسب أنه يأكل لشخصين كالمرأة الحامل حيث أن خطيبته كان يبدو عليها وكأنها لا تستطيع أن تأكل أو تشرب أي شيء. كانت واجمة وغارقة في أفكارها وكأنها ليست واعية بالمكان حولها. جلس محمود وحده في ترتيب الآثاث على اليسار والموجود فيه فوتيه واحد وأمامه طاولة صغيرة واحدة. كان أمامه على الطاولة الصغيرة طبق عليه تورتة وكوب من الكوكا كولا وكان من الواضح أنه لم يمس الطعام أمامه. كان محمود قد قبض على شيء يبدو ككرة صلصال بيضاء يلوكها في يده.

اقتربت من محمود وسألته: "مالك يا أخ؟ لماذا تجلس وحدك يا محمود؟ فيم تفكر؟"

ورد محمود وهو يزفر: "أفكر في الدنيا."

وسألته: "وما هذا الذي في يدك تلعب به."

وأجابني محمود: "هذه كرة مصنوعة من شيء يشبه الصلصال الأبيض."

وسألته: "ومن أين آتيت بها؟"

وأجابني محمود وقد خفض صوته: "خفض صوتك ولا تجعل رد فعلك على ما سأقوله يظهر على صفحة وجهك. أثناء تلك الجلسة بعدما فتحنا النور وجدتها ملتصقة في لوح الخشب الذي يكوّن الجزء العلوي من طاولة السفرة أمام الكرسي الذي كنت أجلس عليه. كانت كرة الصلصال هذه ملتصقة بالجانب السفلي للوح."

وكأنما ضربني أحدهم بصاعق كهربائي. ما معنى هذا الكلام الذي يقوله محمود؟ حاولت أن أبقي تأثير المفاجأة بعيدًا عن تعبيرات وجهي وقلت بصوت منخفض: "يا نهار أسود."

ورد محمود: "بالضبط. امسكتها عند انتهاء الجلسة لأرى ما هي ولما عرفت ألصقتها في المكان الذي وجدتها فيه وتركتها، وبعدما ذهبت فريدة إلى بيتها عدت أنا لاستعادة كرة الصلصال هذه وأنا أفكر أنه ولابد أن الأمر كله كان خيالاً من تأثير الجلسة وأنني لن أجدها ولكني وجدتها ملتصقة في مكانها أسفل لوح الطاولة كما تركتها."

وقلت له: "وما معنى هذا؟"

وأجابني: "لا أعرف. تحليلي الشخصي لهذا الأمر أن هناك باب أو فتحة ما قد فُتحت بين عالمين متوازيين أثناء سماعنا لما كانت تقوله فريدة والله وحده يعلم ماذا دخل من تلك الفتحة أو من ذلك الباب مع قطعة الصلصال هذه."

وقلت لمحمود: "الأشياء التي وصفتها الليلة قد تكون حدثت في تومبكتو أو أي مكان أخر على وجه الأرض وقد تكون قد حدثت منذ عشرة سنوات أو أية مدة زمنية. نحن ليس لدينا أي شيء يخبرنا أين حدث كل ما حكته فريدة ولا متى حدث."

وابتسم محمود ابتسامة واهنة وقال: "أنا رأيي أن ننسى كل ما حدث وكل ما قالته فريدة كوسيط في هذه الليلة. لقد كنا نبحث عن بعض الإثارة والتغيير وقد حصلنا عليها وانتهى الأمر. نقطة ومن أول السطر ونعود لحياتنا العادية."

وسألت محمود: "وماذا ستفعل في قطعة الصلصال هذه الموجودة في يدك."

ورد محمود: "سأذيبها في بعض المياه وألقي المياه في بالوعة الحوض."

وسألت محمود باستغراب: "كيف ستذيبها في المياه؟"

وأجابني محمود مبتسمًا: "ألم تسمع فريدة الليلة تقول أنها تُصنع من الدقيق."

الفصل الرابع: حادثة الانتحار

في تلك الليلة كان محمود يجلس وحده يشاهد التلفاز في بيتهم في غرفة المعيشة. لم يكن يركز في سماع ولا مشاهدة التلفاز، بل كان يعيد في رأسه ما قالته فريدة عندما كانت وسيطًا في تلك الجلسة وما حدث في تلك الليلة في بيتهم.

رن جرس الهاتف الخاص به وآتاه صوت يوسف: "اخفض من صوتك ولا تُشعِر طنط سامية بشيء."

ورد محمود: "طنطك سامية قد نامت منذ ساعتين. أنا أجلس وحدي في غرفة المعيشة. هل هدير بخير؟"

يوسف يحكي

وأجبته أنا: "نعم. هدير بخير. كل شيء على ما يرام. آسف للاتصال في وقت متأخر."

وأجابني محمود: "لا بأس. أنا أصلاً قررت أن أسهر الليلة ولا أنام مبكرًا. في الواقع لم أستطع النوم. يتكرر في رأسي ما حدث الليلة في تلك الجلسة وكأنه شريط سينما يُعاد عرضه بلا توقف. هل هناك موضوع معين تريد أن تناقشه. لو كان موضوع حبي لفريدة فأنا لا أريد أن أتحدث في هذا الأمر."

وأجبته: "كلا. الأمر يخصني أنا. عندما عدت إلى البيت الليلة أحسست أن هناك حركة غريبة في البناية التي أقطن فيها. أوصلت هدير إلى شقتنا واستأذنتها في أنني أريد أن أركن السيارة في موضع أفضل من الذي ركنتها فيه لأنني أخاف على السيارة. نزلت من البيت وقابلت أحد جيراننا والذي أخبرني أن الشرطة قد تركت لتوها البناية ورحلت. أحد جيراننا يسكن في الطابق الذي تحت شقتنا واسمه ساهر القصاص توفاه الله الليلة. قال لي ذلك الجار أنه قد انتحر. ضرب نفسه بالرصاص."

ووصلني صوت محمود وهو يبلع ريقه بصوت مسموع. طبعًا كان هذا من الدهشة والمفاجأة وقد فهم ما أرمي إليه، ولكن صوت محمود بعد ذلك آتاني وهو يعبر عن طريقته المنطقية في التفكير: "لعل هذا الأمر صدفة."

ورددت عليه: "صعدت إلى شقتنا وانتظرت حتى نامت هدير ونزلت إلى البواب حيث أن جارنا قال لي أن الشرطة قد استجوبت البواب. لم يكن البواب قد نام بعد. البواب قال أن زوجة القتيل كانت تبكي بشدة عندما تم استدعاؤه هو أي البواب إلى الشقة لسؤاله عما يعرفه. قال أنه بعدما وصلت الشرطة وصل بعدها الطبيب الشرعي ورجاله، ثم أتم رجال الطب الشرعي عملهم وبعدها تم نقل الجثة

إلى المشرحة ثم تركوا الشقة دون تشميعها بالشمع الأحمر ودون أن يتركوا أي علامة مميزة عليها. رجال الشرطة قالوا أنهم مع ذلك كله قد يعودون للشقة لو احتاجوا لشيء وأن الأمر كله سيعتمد على تقرير الطبيب الشرعي بعد تشريح الجثة. الزوجة لن تبيت في الشقة الليلة، لا هي ولا أي شخص أخر. ستبيت عند إحدى صديقاتها مع الأولاد لمدة أسبوع."

وسالني محمود: "هل سألت البواب أين ضرب الرجل نفسه بالرصاص؟"

وأجبت محمود وأنا مبتسم: "قال لي البواب ردًا على ذلك السؤال "في دماغه طبعًا. شخص يريد أن ينتحر. على أي جزء من بدنه سيطلق الرصاص؟"

ورد محمود محذرًا: "إياك أن يكون البواب قد لاحظ أي شيء عليك وأنت تسأله."

وأجبته وأنا أضحك: "ماذا يمكن أن يلاحظ البواب؟ آتاه شخص فضولي يريد أن يعرف كل شيء عن الحادثة المثيرة التي حدثت داخل البناية خاصة أن البواب قد تم استدعاؤه للتحقيق معه وقابل محقق الشرطة وتم سؤاله. سلامة بواب بنايتنا هوايته الوحيدة الحديث عن الناس ونقل الكلام بين الناس ورواية القصص عن السكان، ثم أن هذا البواب سلامة قد تربى معي وأنا صغير. المرحوم أبوه كان بواب بنايتنا قبله. تستطيع أن تعتبره الرجل التابع لي في البناية. عندما سألني "وعلى أي جزء من بدنه سيطلق الرصاص إن أراد أن ينتحر؟" حولت الموضوع إلى مادة للضحك وقلت له: "وكيف لي أن أعرف؟ أنا لم أنتحر من قبل." البواب ضم يده في قبضة وأخرج أصبعيه السبابة والإبهام كما لو كان يمسك مسدسًا وقام بالتمثيل وكأنه يطلق الرصاص من سبابته على رأسه، وكان من الواضح من حركته أن الرصاصة قد دخلت فوق أذن ساهر القصاص اليمنى حيث أن البواب يستعمل يده

اليمنى كاليد الغالبة. كان من الواضح من حركته تلك أن المتوفي المفروض أنه قد أصاب نفسه فوق أذنه اليمنى، ويمكن أن يكون ذلك هو أحد الأسباب أن الشرطة لم تشك في أن الحالة شيئًا أخر غير الانتحار."

وآتاني صوت محمود يسأل: "ألم تشك الشرطة في شيء؟"

ورددت عليه: "طبقًا لكلام سلامة البواب، ويجب أن أحذرك بأنه من النوع الذي يكذب باستمرار حتى عندما لا يكون هناك داع لذلك، فالمرأة زوجة ساهر القصاص كانت في البيت بمفردها حين اكتشفت جثته، وكانت منهارة تمامًا وتبكي بشدة وغير قادرة بالمرة على السيطرة على نفسها حين استجوبتها الشرطة."

قال محمود متشككًا: "لو كان هناك شيء يثير الشك لكانت الشرطة قد اشتبهت في واقعة الانتحار."

وضحكت أنا وأنا أقول: "مشكلتك يا محمود أنك لم تر زوجة المرحوم ساهر القصاص. اسمها ملك وهي رائعة الجمال كالقمر ووجهها بريء كالملائكة. نظرة واحدة في عينيها الزرقاوين الواسعتين تجعلك تنسى الدنيا بما فيها ومن فيها. أنا لن ألوم قط ضباط المباحث اللذين استجوبوها وخلصوا إلى أنها بريئة تمامًا من أول لحظة."

وآتاني صوت محمود العالم ببواطن الأمور وهو يقول ساخرًا: "نظرة واحدة في عينيها الواسعتين. هل تقرأ خرائط في هذه الأيام يا حبيبي؟"

وضحكت وأنا أقول: "سلامة البواب قال أن الشرطة كانت متعاطفة تمامًا مع زوجة المرحوم. الرجل قتل نفسه بمسدسه في غرفته. دخلت الرصاصة فوق أذنه وكان هناك دم على الأرض حيث سقط الرجل على سجادته داخل غرفته. ما الذي يجعل رجلاً يضع المسدس فوق أذنه بخلاف رغبته في الانتحار؟"

وأجابني محمود ضاحكًا: "هذا أسهل شيء. أرني يا حبيبي ماذا تفعل إذا وضعت هذا المسدس على دماغك، ثم تجذب الزناد. سهلة جدًا. أظن أن هذه الحيلة قد عرضت في أحد أفلام هتشكوك."

وضحكت أنا وأنا أقول: "إذن فضباط الشرطة الذين أتوا ليتحروا الواقعة الليلة لم يشاهدوا ذلك الفيلم."

وقال محمود وقد عاد إليه تشككه وعقلانيته: "لا يمكن أن تكون هذه هي الحكاية التي حكت لنا عنها فريدة الليلة. هل تعرف ما معنى أن يتم اطلاق رصاصة من مسدس في بناية سكنية في وسط البلد في القاهرة؟ أمة لا إله إلا الله ستجتمع فورًا في النقطة التي تم اطلاق النار فيها لتعرف ما الذي حدث."

وحتى تلك النقطة كنت قد استوضحتها من سلامة البواب وقلت لمحمود: "طبقًا لكلام سلامة البواب لي الليلة فإن ما نبه الشرطة لحدوث حادثة الانتحار هو اتصال زوجة المرحوم بهم بعدما وجدت الجثة. لم يسمع أحد أي صوت لإطلاق رصاص. المسدس أصلاً فيه كاتم للصوت. هو أصلاً جاء من بلد المنشأ بأمريكا وهو مزود بكاتم للصوت كجزء من المسدس نفسه. هو من نوع حديث من المسدسات. صناعة أمريكية يا أخي."

ورد محمود: "ولماذا يستعمل الرجل مسدس كاتم للصوت إن أراد الانتحار؟ هل يريد أن ينتحر في صمت حتى لا يضايق الجيران؟"

وقلت له: "وما أدراك. لعله أحضره من الخارج مزودًا بكاتم للصوت عمدًا لأنه كان يخطط لقتل شخص ما."

ورد محمود: "أفكارك أصبحت شريرة يا يوسف."

ورددت عليه: "أو كان يريد أن يقتل امرأته وكان الأمر دفاعًا عن النفس من جانبها."

ورد محمود: "كيف يكون الأمر دفاعًا عن النفس والرصاصة دخلت إلى رأسه من فوق أذنه. كل ما أخشاه أن يكون البواب قد شعر بشيء."

ورددت عليه ساخرًا: "شعر بشيء مثل ماذا! هرش مثلاً. وهل يمكن أن يشتبه سلامة البواب مثلاً في أنني قد عدت لتوي من جلسة قالت فيها الوسيط أن زوجة ساهر القصاص قد قتلته وقامت بتعديل الأمر بحيث يبدو الأمر كأنتحار. هل يمكن أن يشتبه البواب في أمرٍ كهذا؟"

ورد علي محمود: "لا أدري فيم يمكن أن يشتبه ذلك البواب. الأمر كله سيعتمد على ما قلته أنت له وعلى الكلمات التي سقطت منك وأنت لا تدري."

ورددت عليه بخشونة: "لم يسقط مني شيء. كنت حذرًا للغاية وأنا أحدثه. البواب عرف أنني قد حدثت جارنا الذي قال لي المعلومات الأولية عن الحادثة. طبعًا البواب سلامة هوايته الأساسية هي الحديث عن الناس ورواية القصص عنهم، ولم يستطع بالطبع أن يكتم حرفًا مما سألته عنه الشرطة أو مما سمعه أو رآه عندما دخل إلى الشقة والشرطة فيها. وطبعًا عندما سألت البواب استنتج أن بعض ما قاله هو للسكان لابد وأنه وصلني."

وسألني محمود بقلق مرة أخرى: "لعلك ابديت فضولاً زائدًا وسألت سؤالاً في غير موضعه عندما حدثت البواب؟"

وقلت له ثانية وأنا أطمئنه ثانية من هذا الجانب: "وفيم يشك البواب؟ أنا كنت خارج البناية كلها عندما حدثت الحادثة، ولو كنت أنا الذي قتلت الرجل لما سألت البواب كل هذه الأسئلة لأنني كنت وقتها سأعرف أكثر من البواب ومن الشرطة ما الذي حدث. لو أنني كنت أنا من قتل ساهر القصاص، كنت وقتها سأسكت وأتظاهر أنني من بنها ولن أسأل عن شيء. البواب يعرفني جيدًا جدًا فقد

كان رفيقي أيام صباي. بالنسبة له أثار الأمر فضولي وأنا أسأل عن الأشياء التي سمعت ملخصًا مختصرًا لها من شخص أخر غيره. أنا أصلاً لم يكن لي أي أحتكاك بالمرحوم."

وسألني محمود بصرامة: "وماذا عن علاقتك بزوجة المرحوم؟"

وأجبته: "كل علاقتي بها أنني كنت أقابلها بالصدفة في السوبرماركت أو في مدخل البناية ووقتها تكون معها الخادمات والأطفال وتحييني كما تحيي أيًا من جيرانها. وهل تنظر لي إمرأة كهذه يا محمود؟ ماذا أقول يا محمود؟ إمرأة مال وجمال. أخوك غلبان."

وطبعًا كان محمود مازال متشككًا. هكذا كان هو. متشكك متشكك. متشكك إلى الأبد. قال محمود: "رغم كل هذا قد تكون أنت فقط متأثرًا بما قيل في جلسة اليوم ويكون الأمر كله صدفة."

وأجبته أفحمه هذه المرة: "عندما صعدت إلى شقتي بعدما تحدثت إلى البواب، صعدت كعادتي في المصعد ولكني ما إن بلغت الطابق الذي نقيم فيه حتى نزلت إلى الطابق الذي يوجد تحته مباشرة. هناك توجد شقة ساهر القصاص رحمه الله. المكان كان صامتًا تمامًا، وكان من الواضح أن الجيران إما ناموا أو أنهم كانوا خارج بيوتهم في هذه الليلة. كانت هناك مشاية أمام باب شقة المرحوم. قلبتها وحركت يدي عليها ووجدت شقًا أدخلت فيه أصبعي ودفعت أصبعي داخل الشق بقوة حتى اصطدم بجسم معدني .. مفتاح الشقة."

وشهق محمود من المفاجأة وهو يقول: "هل دخلت إلى الشقة؟"

وقالت له: "كلا. أنا لا أعتبر نفسي جبان، ولكن أصدقك القول. أنا لا أحب أن أدخل إلى تلك الشقة في هذه الليلة وحدي."

ورد علي محمود: "لا تدخل الشقة وحدك. إبق مكانك وبعد قليل سأكون عندك."

بعد أقل من نصف ساعة كان محمود جالسًا معي في شقتي في الطابق الرابع من البناية التي نسكن فيها.

وسألني محمود: "كي أبدأ في فهم الموضوع. ما الذي تعرفه عن جارك الذي انتحر الليلة؟"

وأجبته مبتسمًا: "كل شيء تقريبًا."

وطبعًا واجهتني ابتسامة محمود غير المصدقة وقال: "إذن فهو في البناية منذ فترة طويلة. هل كان رفيق صباك مثل البواب؟"

وأجبته: "كلا. لقد جاء ليسكن بالبناية قبل أقل من سنتين."

وحملق في محمود وهو يقول: "إذن، فكيف تعرف كل شيء عنه؟"

وأجبته: "إبنة خالتك هدير."

وأجاب: "ماذا عنها؟"

وأجبته: "أنت لا تعرفها. هي تشتبه بأن زوجة المرحوم واسمه ساهر القصاص كانت لها علاقة عاطفية، أو لنقل .. علاقة مشينة مع رجل غير زوجها وطبعًا كانت هدير، بدون أي مناسبة لذلك، قد بدأت تقلق على سمعة البناية كلها، بل والشارع كله، على حد تعبيرها فسمعة الشارع ستتأثر لو أن هناك شخص سيء أقام فيه. ولهذا فهي في وقت فراغها الذي لا أعرف من أين تجيء به قد جندت أم يسري الخادمة التي تأتينا وكذلك سلامة البواب الذي يستمتع بإفشاء أسرار سكان البناية التي يعرفها عنهم بصفته البواب وبصفته يتردد عليهم. وطبعًا سلامة يحكي لكل إنسان يمر بالشارع كل ما يعرفه عن أي إنسان أخر، فيما عدا الشرطة، فما أستنتجته أنا من حديثه أنه لم يقل للشرطة أي شيء على الإطلاق،

وكأنه لم يعرف عن ساهر القصاص وزوجته أي شيء البتة. لو كان البواب قد قال للشرطة بعض ما يقوله لإبنة خالتك هدير عن زوجة ساهر القصاص لما قيدت الحادثة انتحارًا."

وسألني محمود: "ألم تسأل الشرطة عن سبب الانتحار؟"

وأجبته: "بالطبع، ولكن يمكن تقديم تبرير معقول للانتحار من سلوك ساهر القصاص نفسه ومن خلفيته. قال لهم البواب ما يعرفه الجميع عن ساهر القصاص وهو أنه كان معروفًا أن المرحوم كان ثريًا شديد الثراء ثم أفلست الشركة التي كان يملكها وتم الحجز على أملاكه وهو يمر بمشاكل مالية وأنه كان دائمًا متوترًا وغاضبًا ويتشاجر مع ذباب وجهه. ببساطة كان معروفًا أن المرحوم لم يكن راضيًا عن حياته."

وسألني محمود: "وطبعًا هدير كانت تعرف ذلك عن المرحوم من البواب والخادمة."

وأجبته: "ليس البواب والخادمة هما مصدرا معلوماتها الوحيدين. هناك كذلك مدام هناء جارتنا التي تسكن في الشقة التي توجد تحتنا وكانت كذلك تتجسس على جارتها التي تسكن بجانبها زوجة ساهر القصاص، وهي بدورها تؤكد أن مدام ملك زوجة ساهر القصاص كانت على علاقة برجل شديد الثراء. ملياردير تقريبًا."

وسألني محمود: "ملياردير يتردد على بنايتكم هذه!!"

وأجبته معترضًا: "ومالها بنايتنا. بناية أنيقة في منطقة حيوية في وسط البلد. صحيح المبنى قديم ولكن أنت تعرف أنه لولا أنها شقة أبي التي اشتراها منذ أكثر من ثلاثين سنة لما كان لرجل له مثل دخلي أن يسكن في بناية كهذه."

وقال محمود: "أنت تعرف ما أقصده."

وأجبته: "المرحوم ساهر القصاص كان هو نفسه ملتي مليونير أو ملياردير في فترة ما من حياته. الكل في البناية هنا يعرف أن ورث عن والده ثروة طائلة وأنه ضيع هذه الثروة في المضاربة في البورصة وفي مجموعة من المشروعات الفاشلة، وفي النهاية عندما تم الحجز على الفيلا التي يملكها في منطقة مرتفعة مستوى المعيشة من العاصمة وتم انتزاعها منه، أضطر أن يأتي ليعيش في بنايتنا هذه. جاء ليعيش هنا وأحضر حياته السابقة معه. تخيل من يأتي ليزوره في هذه البناية التي تعتبر عادية ومعظم سكانها من الطبقة الوسطى؟ مشاهير كبار. رجال أعمال أغنياء تشاهدهم في التلفاز وفنانين وفنانات صاعدين وقدامى كذلك ومقدموا برامج وأشخاص مشهورون ونصف مشهورين. منذ سنتين وكل من يقيم بهذا الشارع ينظر إلى بنايتنا هذه منبهرًا مما يحدث فيها."

وقال محمود: "لم تحدثني بهذا من قبل."

ورددت عليه: "لم يكن هذا الأمر مهمًا بالنسبة لي فأنا مشغول وقبل زواجي عندما أتى ساهر القصاص ليقيم في هذه البناية، كنت منشغلاً في تأسيس شركتي وإيجاد عملاءٍ لها وكنت أقضي معظم وقتي خارج هذا البيت."

ورد محمود: "استمر في وصفك."

وأجبته: "منذ سنتين وكل أنظار الشارع موجهة نحو بنايتنا. كان ساهر القصاص يقيم حفلاً أو حفلين في كل أسبوع ويكون بيته وقتها ملتقى المشاهير. وأثناء تلك الحفلات تتوقف أمام بنايتنا سيارات فارهة مختلفة الألوان والأشكال وينزل منها أشخاص يلبسون أشياءًا مختلفة الألوان والأشكال. رغم ذلك كله، أنا كنت أشعر بالرثاء لساهر القصاص، على الرغم من سوء سلوكه مع جميع سكان العمارة حيث كان يعاملنا باعتبارنا أقل منه في المكانة الاجتماعية، فقد كان يحاول جاهدًا بكل الطرق الامساك بجزء من حياته السابقة حياة المال والشهرة ولكنك تشعر بسهولة مع مرور

الوقت أن ذلك الجزء كان يفلت من يده شيئًا فشيئًا، حيث أنه مع كل ذلك الإنفاق الباذج، لم يكن ليستطيع المحافظة على مستوى معيشته والذي يمكنه من اجتذاب كل هؤلاء الناس لبيته. رغم ذلك هو وزوجته لديهما طفلان وكل طفل منهما له مربيته الخاصة وما ينفق على كل طفل منهما يساوي ميزانية بيتنا كله."

وسألني محمود: "والطرف الثالث في العلاقة."

وأجبته: "الطرف الثالث في العلاقة أنت بالتأكيد تعرفه بسبب مشروعاته وأخبار الأعمال التجارية الخاصة به التي تتناولها مواقع الانترنت والصحافة كل يوم. إنه الحاج حسني السباعي بجلالة قدره. كان يزورهم كثيرًا وحين يحضر يأتي حاملاً الهدايا والهبات وأنواعًا مختلفة من الحلوى وطالما هو في شقة ساهر القصاص يظل السائق الخاص به يحضر هدايا ويصعد بها إلى شقة ساهر القصاص. هذا هو الجانب المعلن. أنه كان صديقًا لساهر القصاص. أما ما تتداوله الخادمة والبواب ومدام هناء فهو أن الحاج حسني كان كثيرًا ما يزور الشقة حين يكون ساهر غائبًا عن بيته وتكون الزوجة ملك وحدها في البيت."

وقال محمود متعجبًا: "الحاج حسني السباعي يترك أمواله ومشروعاته وقصوره ويقضي وقته في زيارة زوجة ساهر القصاص."

وأجبته أنا: "أنت تقول هذا لأنك لم تر زوجة المرحوم."

وانتقلنا إلى الجزء العملي. الاستعداد للدخول إلى شقة المرحوم في الطابق الأسفل.

وسألني محمود: "وكيف سننير الشقة في الأسفل عندما ندخل. بالطبع لن يمكننا أن نفتح الضوء الكهربائي."

وأجبته: "أنا لدي هنا كشافات نستعملها عندما ينقطع التيار الكهربائي، ويمكن تخفيض اضاءتها بحيث نرى بالكاد ما يوجد حولنا في شقة المرحوم. فلننزل أولاً ونتصرف طبقًا للظروف."

واعترض محمود: "قل شيئًا معقولاً يا يوسف. هل سأنزل أنا وأنت ونحن نحمل كشافات في أيدينا إلى شقة رجل انتحر الليلة وأخذت الشرطة جثته منذ قليل. وإذا رآنا أحدهم ونحن نحمل الكشافات ونفتح الشقة بمفتاح فماذا سيقول؟ سيظن طبعًا أننا نزلنا لنسرق الشقة، خاصة وكما تقول أنت هم أثرياء."

وأجبته أنا: "يمكننا أن نضع الكشافات في أكياس نايلون سوداء تخفي ما فيها؟ ولكن لا أظن أننا يجب أن نكتفي بأضواء الموبايلات فقط. ولكن في جميع الأحوال المخاطرة ضرورية وإلا فكيف سندخل إلى الشقة!"

ودخلت أنا إلى الداخل حيث كانت هدير تخزن الكشافات في طرف دولاب المطبخ وتذكرت شيئًا فدخلت إلى إحدى الغرف الداخلية وأحضرت حقيبة سفر صغيرة وضعت فيها الكشافين."

وخرجت للصالة حيث يوجد محمود وقلت له: "هذه الحقيبة بها الكشافان. حين نزلت إلى الطابق الأسفل منذ حوالي الساعة لم يكن هناك أحد ولا صوت في المكان. لدي المفتاح وفي خلال دقيقة من الممكن أن نفتح باب الشقة وندخل إلى الداخل."

أخرج محمود من جيبه قفازين كبيرين من النوع الذي يستخدم في تنظيف الأطباق ولبس أحدهما ثم ثبت الجزء العلوي من القفاز إلى ذراعه بطوقين مطاطين عريضين "استك مما يستعمل في ربط رزم النقود ولكنه عريض" ثم أعطاني أحد القفازين وطوقين مطاطين عريضين وضحكت وأنا أقول: "يبدو أنك محترف يا محمود."

وأجابني هو مبتسمًا: "افترض أن الشرطة قررت لسبب ما إعادة رفع البصمات من الشقة. لا يجب وقتها أن يجدوا بصماتنا وإلا فسنجد نفسينا في موقف لا نحسد عليه. إنه ألف باء هذا العمل."

وسألته أنا: "أي عمل؟"

ورد علي: "سرقة البيوت طبعًا، فمع الكشافين والقفازات التي نلبسها، فمن يمسك بنا الآن سيتهمنا حتماً في البداية بمحاولة سرقة البيت، هذا إن لم يجدوا شيئًا يربطنا بجريمة القتل."

وطبعًا محمود كان من النوع الذي يحب أن يطمئن الناس هكذا. السيد متشكك متشكك كما كنت أطلق عليه، وطبعًا كان من النوع الذي يتأكد مرتين من كل تفصيلة من تفاصيل أي عمل يقوم به لضمان عدم خروج أي شيء عن السيطرة. كان الله في عون من ستتزوجه. لو أنه هو تأكد مرتين وتأكدت هي مرتين لانتهى الأمر بكارثة.

ونزلت أنا ومحمود على أطراف أصابعنا وأنا أحمل الحقيبة التي بها الكشافان. عندما نزلنا ونحن على السلالم المتجهة إلى الطابق الأسفل، أشار لي محمود بيده للتوقف ووقفنا نتسمع للحظات. لم يكن هناك أي صوت صادر عن اليمين ولا على اليسار حيث كانت شقة المرحوم ساهر القصاص هي الشقة في المنتصف. عندما وصلنا إلى باب الشقة، أعطيت الحقيبة لمحمود وأخرجت المفتاح ودخلنا إلى الشقة في أقل من دقيقة.

كانت جغرافية شقة القصاص تشبه تمامًا جغرافية بيتنا ولكنهم فتحوا المنطقة التالية للصالة التي يفتح عليها باب الشقة وأزالوا الجدار الذي يصنع الغرفة على اليسار وقلصوا حجم المطبخ والحمام إلى اليمين ليزيدوا من حجم منطقة الاستقبال حتى تتسع للحفلات والسهرات التي كانوا يقيمونها بشكل منتظم. في النهاية وبعدما تعبر الصالة المتسعة كانت هناك غرفتان متجاورتان

إحداهما أصغر من الأخرى وقبلها طرقة تؤدي إلى اليمين بها غرفتان صغيرتان وطرقة إلى اليسار بها غرفتان صغيرتان. سمعت مرة من قبل أن الشقة في المنتصف أكبر من الشقتين عند الأطراف أي أن شقة ساهر القصاص كانت أكبر من الشقتين عن اليمين وعن اليسار، وطبعًا بنايتنا كانت من البنايات القديمة وكانت الشقق فيها ذات مساحات كبيرة جدًا مقارنة بشقق اليوم.

كان الآثاث الذي يملأ منطقة الاستقبال في بيت ساهر القصاص شديد الفخامة وكان من الواضح أن منطقة الاستقبال كلها تم فرشها كغرفة واحدة واسعة للغاية وكل الآثاث له نفس اللون والطراز. تركت الحقيبة عند باب الشقة من الداخل طبعًا، وحملت أنا الكشاف الأول وأعطيت الكشاف الثاني لمحمود. بمجرد دخولي إلى الصالة من باب الشقة فتحت الكشاف قليلاً وفكرت أن تلك الغرفة لا تطل على الشارع وبالتالي فتحت نور الكشاف على أعلى ضوء كي نرى بوضوح ما يوجد حولنا.

تجولنا في الغرف حتى وجدنا ما نبحث عنه. غرفة صغيرة مفروشة بشكل رجالي جدًا وخالية تقريبًا من الزينة وقد تم عمل رسم بالطباشير على الأرض يوضح الوضع الذي أخذته الجثة وتحت الرأس كانت هناك آثارًا لدماء ليس غزيرة نسبيًا وقد جفت، وكانت تلك طبعًا هي غرفة ساهر القصاص.

كانت الغرفة مقسومة إلى نصفين أو قل هي كانت غرفتان في نفس الغرفة دون وجود فاصل بينهما. كان كل آثاث الغرفة أبيض والجدران زرقاء وكانت سجادة الأرضية بنية اللون مزخرفة بنقوش ورسومات مختلفة وقدرت أنا أن هذا الآثاث الفخم لابد وأنه ما أتوا به من الفيلا التي كانوا يسكنونها حين كان المرحوم ساهر أكثر ثراءًا.

في أحد نصفي الغرفة كان هناك ترتيب يستغل هذا النصف لغرفة نوم بها سرير لفرد واحد على يمينه كومود صغير ثم في أقصى

اليمين هناك دولاب ملابس وعلى اليسار كانت توجد مسافة بعد السرير ثم بعدها باب الغرفة. أمام السرير طوليًا كانت توجد مسافة بعد السرير ثم بعدها منضدة عليها شاشة تليفزيون كبيرة وبجانبها أدوات عرض سينمائية وأجهزة الكترونية.

النصف الأخر من الغرفة كان مصممًا كي يكون غرفة مكتب وكان يوجد به في أقصى اليمين مكتب كبير خلفه كرسي كبير ثم كرسيين متوسطي الحجم أمام المكتب وفي الجانب الأيسر من الغرفة كانت توجد أريكة على جانبيها عدد اثنين من الفوتيهات تصنع حدوة حصان حول منضدة طويلة نسبيًا ومنخفضة. بين المنضدة المنخفضة وبين الكرسيين أمام المكتب كانت هناك مسافة موجود عليها رسم بالطباشير على الأرض يبين مكان الجثة وتحت موقع الرأس طبقًا للرسم كانت توجد بقعة كبيرة من الدماء الجافة وكان من الواضح أنها لم تمس أي أنه لم يكن عند أطرافها أماكن بها نقص في كثافة الدم مثلاً بمعنى أن الدم قد تم مسحه. كان من الواضح أن السجادة بنية اللون قد امتصت بقعة الدم بشكل كبير، وكان هناك دم على الجانب الأخر من السجادة مما يدل على أنه كان هناك الكثير من الدم وأن السجادة السميكة قد تشربته ولكن لم يكن هناك دم على الأرض تحت السجادة.

وقال محمود تعليقًا على قلبي للسجادة لمعرفة كمية الدم التي أريقت: "إذن أنت تفكر فيما أفكر فيه. من الواضح أن بقعة الدم لم تمس وأنه لم يتم إزالة أي جزء منها، إذن فما هذا الحديث الذي قالت فريدة عن مياه ساخنة ومياه باردة. لا يبدو أن أحدًا قد مس بقعة الدم التي خرجت من رأس المرحوم."

وهززت أنا كتفي وأنا أقول: "لا أعرف، ولكنك سمعت ما قالته الوسيط مثلي تمامًا. أليس كذلك؟"

وأومأ محمود برأسه موافقًا.

طبعًا كان من الواضح أن الرجل يقيم في تلك الغرفة بمفرده وقد تم إعداد الغرفة كي تخدم كغرفة نوم وغرفة مكتب في نفس الوقت أي بحيث لا يخرج الرجل منها إلا عندما يريد أن يأكل مثلاً أو يقابل الناس."

كان هناك حمام في طرف الغرفة وقلت لمحمود معلقًا على الأمر: "الخادمة أم يسري ومدام هناء جارة المرحوم قالتا لهدير أن الحمام الرئيسي للشقة قد تم إدخاله كجزء من غرفة ساهر القصاص وأنهم قد أنشأوا حمامات أخرى داخل الشقة. أنا وهدير لدينا حمام واحد فقط في أقصى يمين الشقة مطل على الشارع مثل هذا الحمام."

دخلنا إلى الحمام. كان مظلمًا بالطبع ولكن كانت به بعض الإنارة حيث انعكست عليه إنارة ضوء الشارع. كان هناك زجاج معتم موجود على الشباك الوحيد في الحمام والذي كان يفتح لأعلى بزاوية بحيث لا يستطيع أحد من الساكنين بالمبنى المقابل رؤية ما بداخل الحمام حتى عندما يكون النور الكهربائي مضاء ويكون الشباك مفتوحًا وقد كان الشباك مفتوحًا في تلك اللحظة.

وقلت لمحمود: "لنغلق هذه الكشافات ونفتح الضوء الكهربائي للحمام. معظم الناس الذين سيرون الأنوار في مثل هذه الساعة من الليل سيكونون في المبنى المقابل أو في الشارع وسيظنون أن هذه الغرفة هي جزء من الشقة المجاورة حيث أنها في أقصى يمين الشقة في الطرف تمامًا."

وأغلقنا أنوار الكشافات وفتحنا الضوء الكهربائي للحمام. كان حمامًا واسعًا به بانيو كبير ومستدير مثل ذلك الذي نراه عادة في الأفلام وكان هناك حوض صغير بجانب باب الحمام.

ونظر محمود وقال: "ما هذا؟ الحمام نظيف جدًا وهل هناك حمام نظيف إلى هذه الدرجة في الأوقات العادية؟"

وتعجبت مما قاله محمود وقلت له: "لديهم مربيتان للأطفال لاشك أنهما كانتا تساعدان في أعمال المنزل وتتردد عليهم عدد من الخادمات للتنظيف في كل يوم، إذن فلابد أن يكون حمام صاحب البيت نظيفًا."

ورد محمود: "هذا الحمام تم تنظيفه حديثًا جدًا. كيف لم تشتبه الشرطة في هذا الأمر؟"

وقلت لمحمود: "تخيل ضابط الشرطة يدخل على الناس ويقول: "الحمام نظيف. لابد أنها جريمة قتل." وهل تشتبه الشرطة بأن الوفاة غير طبيعية لأن الحمام نظيف؟ الحمام نظيف. وماذا في هذا؟"

ثم قلت له وأنا مستمر في الهزل: "قد تكون زوجة المرحوم قد قالت للشرطة أنها لكي تتجنب الشعور بالحرج عند حضور الشرطة والحمام غير نظيف، قامت بتنظيف الحمام بشكل جيد حتى تأتي الشرطة فتجد الحمام نظيفًا ويصبح منظرها أمام الشرطة مشرفًا."

وقال محمود: "لعل هذا ما فعلته الزوجة فعلاً. لا تستغرب على النساء شيئًا كهذا. بعض النساء تفعلن أي شيء ليبدو مظهرهن مشرفًا أمام الغرباء، ولكن لو تم إبلاغ الشرطة بما نعرفه نحن فقد توجه للزوجة تهمة القتل؟"

وضحكت وأنا أقول لمحمود: "وفي مثل هذا الظرف الافتراضي، هل تظن أنهم سيوجهون لها تلك التهمة أم سيقدرون موقفها؟"

وضحك محمود وهو يقول: "إذا كانت زوجة المرحوم جميلة للحد الذي تصفه أنت، لابد أنهم سيتفهمون موقفها."

وأردف محمود جادًا هذه المرة: "قالت فريدة أن المرحوم كان يحلق ذقنه عندما مات. هل من الممكن أن يكون قد تم تنظيف

الحمام بعدما مات الرجل؟ هل يمكن أن يعرف الطبيب الشرعي هل تم تنظيف الحمام قبل أو بعد وفاة المرحوم؟"

وأجبته: "هم يعرفون متى مات الرجل من حالة الجثة ومن درجة حرارتها وحالة تخشبها ولكني لا أعتقد أن فحص الجثة سيخبر الطبيب الشرعي بأي شيء عن متى تم تنظيف الحمام."

نظر لي محمود شزرًا فقد كان يتحدث جادًا. وذكرته أنا بأن وضعنا أنا وهو مختلف، فقد حضرنا نحن جلسة استدعاء الموتى أو ما ظننا في بدايتها أنها ستكون جلسة لاستدعاء الموتى في بداية تلك الليلة وقلت له: "أصلاً لو أننا شخصان لا نعرف شيئًا عن هذه العائلة مثل محققوا الشرطة عندما جاءوا للتحقيق الليلة، ولو لم نحضر أنا وأنت الجلسة التي حضرناها الليلة ولو قيل لنا مثلما قيل لرجال الشرطة أن رجلاً ضرب نفسه بالرصاص في غرفته بمسدسه والطلقة دخلت رأسه فوق أذنه، ولو كنا مثل رجال الشرطة لم نجد بالبيت سوى زوجة المرحوم والتي كانت بالطبع منهارة بسبب اكتشافها لجثة زوجها، وقيل لنا وقتها أن المرحوم كان يعاني من مشكلات مالية وأنه كان شديد الحزن لفقدانه لوضع مالي مميز سابق، لكنا قد تقبلنا الأمر ببساطة وتقبلنا أن الرجل ولابد أنه قتل نفسه وانتحر ولم نكن وقتها سنهتم هل الحمام نظيف جدًا أو أنه في العادة لا يكون نظيفًا هكذا."

ونظر محمود حوله وقال: "إنها حقيقة. الحمام نظيف جدًا أكثر من اللازم."

وأجبته: "نحن مختلفان. اعترف لنفسك أنه لولا الجلسة التي حضرناها الليلة لما كنت أنا وأنت لنفكر مجرد التفكير في التسلل ودخول شقة المرحوم هكذا، ولكننا بسبب الفضول الشديد الذي أثارته جلسة استدعاء الموتى تلك التي حضرناها الليلة جئنا هنا كي نعرف هل ما سمعناه في الجلسة حقيقة أم لا."

رد علي محمود: "حالة الحمام لا تدلنا هل كان الرجل يحلق ذقنه حقيقة عندما أطلقت عليه الرصاصة التي قتلته. هل يمكن للطبيب الشرعي عند رؤية ذقنه معرفة أنه كان يحلق؟"

وتذكرت أنا شيئًا ما. كان حوض الحمام الموجود في حمام ساهر القصاص مشابهًا تمامًا في تركيبه ومادته للحوض الموجود لدي في غرفة الحمام في شقتي. عندما انتقلوا إلى هذه الشقة لم يهتموا بتغيير حوض الحمام كما يبدو. كان هناك عيب ما في قاعدة حوض الحمام في شقتي وأردت أن أعرف إن كان هناك نفس العيب في قاعدة حوض الحمام في بيت المرحوم ساهر.

وقلت لمحمود: "أريد منك شيئًا يا محمود. حاول أن تمسك الحوض حتى لا يسقط إذا حركت أنا قاعدة حوض الحمام وبحثت خلفها أو تحتها. في شقتنا قاعدة حوض الحمام غير ثابتة تمامًا وهناك فجوة خلفها عندما تسقط فيها الأشياء تسقط إلى ما تحت قاعدة حوض الحمام حيث توجد حفرة صغيرة وتختفي الأشياء وقتها هناك. عندما تسقط مني صابونة من فوق الحوض إلى ما وراءه، فإنني عادة أستعيدها من تحت قاعدة الحوض."

أمسك محمود بالحوض بقوة وبدأت أنا أحاول تحريك قاعدة الحوض. حركتها قليلاً ومددت يدي إلى المنطقة خلف الحوض وتحته. أخرجت بالقفاز الذي كنت ألبسه قطعة اسفنج كان عليها لون بني غامق كلون الطوب كأنه لون دم جاف وأخرجت كذلك شفرة حلاقة من النوع البلاستيكي الذي يتم الاستغناء عنه بعد استعماله.

ونظرت مليًا إلى شفرة الحلاقة وتحسستها وقلت له: "انظر إلى الشعر في الشفرة. إنه شعر تم احتجازه بواسطة شرائح الشفرة في وقت قريب، ربما الليلة. شفرة الحلاقة هذه استخدمت الليلة وقد أخفوها تحت قاعدة حوض الحمام."

ثم تشممت قطعة الاسفنج وقلت لمحمود مهتاجًا: "رائحة دم جديد. هذه هي قطعة الاسفنج التي استخدموها الليلة وحاولوا بها إزالة بقعة الدم التي تركها القتيل. تلك المرأة قتلته يا محمود. لقد قتلته."

وقال محمود يهدئني: "هديء من روعك. هديء من روعك. حتى إذا كانت الاسفنجة بها رائحة دم جديد فهذا لا يعني أن زوجته بالذات قد قتلته أو حتى أنه قد مات مقتولاً. كيف أزالوا الدم بالاسفنجة ومسحوا بقعة الدم والمرحوم تحت دماغه طبقًا للطباشير المرسوم به وضع الجثة على الأرض هناك دم. دماغه تحتها دم. إذن فما هو الدم الذي أزالوه، ومن أين أتى الدم الموجود في هذه الاسفنجة؟ هناك تناقض في الأدلة يا يوسف."

وأجبته: "لا أدري، ولكن الدم على هذه الاسفنجة ليس قديمًا. إنه دم طازج بمعنى أنه قد أريق الليلة على أكثر تقدير، ثم إن قطعة الاسفنج الكبيرة هذه لا يمكن أن تنزلق من تلقاء نفسها وتدخل في الحفرة تحت قاعدة حوض الحمام. هناك من حشرها في ذلك المكان عمدًا لإخفاءها."

تشمم محمود الاسفنجة وقال: "فعلاً. رائحة دم طازج، لكن ليس هذا دليلاً على أنها قتلته. تذكر أن فريدة قالت الليلة أنه هو من قتل نفسه ونفت أن تكون زوجته قد قتلته."

وأجبته: "قالت لها لو جاءت الشرطة الآن فسيكون مصيرك هو حبل مشنقة أو أن تقضي بقية حياتك في السجن. ما معنى هذا؟"

ورد علي محمود: "هذا ليس دليلاً على شيء. ربما كانت تتحدث إلى شخص أخر غير زوجة المرحوم. ربما كانت زوجة المرحوم بريئة وكان هو من قتل نفسه. كلام الوسيط لم يكن واضحًا."

وقلت لمحمود: "نحن في جميع الأحوال سنبلغ الشرطة. أليس كذلك؟"

ونظر لي محمود وكأنني مجنون وقال مهتاجًا: "وماذا سنقول للشرطة حين نبلغهم بالأمر؟ هل سنقول لهم حضرنا جلسة لاستدعاء الموتى والوسيط قالت لنا أن المرأة قد تكون قد قتلت زوجها وأن الرجل قد يكون قد مات مقتولاً. طبعًا سيفترضون أن الوسيط تعرف أشياءًا أكثر مما أخبرتنا به، وسوف يتم التنكيل بالمرأة زوجة ساهر القصاص. تخيل ما يمكن أن تفعله الشرطة بفريدة وزوجة المرحوم لو أبلغنا الشرطة عما نظن أننا نعرفه. والأمر كله قد يكون خيالاً ولا أساس له من الصحة، ونتسبب في إيذاء أشخاص أبرياء تمامًا بسبب حماقتنا."

وأردف محمود وهو لازال مهتاجًا ولكنه كان يهمس بعدما أحس بوضعنا الحرج: "ثم تخيل ما ستفعله الشرطة معنا نحن. مجرد دخولنا إلى هذا المكان الليلة جريمة. أين سنقول لهم اننا وجدنا قطعة الاسفنج هذه وما شأننا نحن كي ندخل إلى المكان ونفتشه؟ أعد الاسفنجة وشفرة الحلاقة مكانهما."

وأخرجت هاتفي المحمول من جيبي الخلفي وقلت له: "على أي حال سأقوم بتصوير كل شيء للتوثيق وتسجيل اللحظة فقد نحتاج إلى مثل هذا التسجيل فيما بعد."

وصاح محمود مهتاجًا وهو يمسك بيدي يمنعني من التصوير وفي نفس الوقت كان يخفض صوته: "تصور ماذا! أنت هكذا تسجل علينا أننا قد دخلنا إلى هذا المكان وكنا نفتش فيه. ماذا لو سُرق شيء ثمين من الشقة بعد ذلك وبشكل ما تسرب هذا التسجيل. لن يصدق أحدًا أننا دخلنا الشقة بدافع الفضول. الشيء المنطقي أكثر بكثير أننا قد دخلنا لسرقة الشقة. إياك أن تصور أي شيء أعد هاتفك المحمول إلى مكانه في جيبك الخلفي. هيا سنعيد كل شيء إلى ما كان عليه."

وصرخت به: "وهل سنسكت تمامًا؟ هل سنتستر على القتلة؟"

وصاح محمود: "وما الذي نعرفه نحن؟ كلها تخمينات وقد يكون عكسها هو الصحيح. بالطبع سنسكت تمامًا. ما يدفعنا نحن هو فضول بشري طبيعي نتيجة الجلسة التي حضرناها الليلة ولن يصدق أحد ذلك. لو تسرب أي شيء عما نفعله الآن في هذه الليلة في شقة المتوفي، فسوف نكون نحن أول المتضررين. لو كان الرجل قد مات مقتولاً فنحن ندخل نفسينا في جريمة قتل، وقد تكون الزوجة بريئة ولم تقتل زوجها وحتى علاقتها بالحاج حسني قد تكون علاقة بريئة وغير مشينة بالمرة. أعد الاسفنجة وشفرة الحلاقة تحت قاعدة الحوض ولنعد كل شيء إلى ما كان عليه."

وقمت أنا ومحمود بالتعاون وأعدنا الشفرة والاسفنجة تحت قاعدة حوض الحمام ثم خرجنا من الحمام وأغلقنا الباب وراءنا.

خرج محمود من الحمام ودخل إلى الغرفة الشخصية لساهر القصاص وقال: "لقد انتهينا من هذه الغرفة. لا شيء يستحق الرؤية هنا."

وقلت له: "كلا. أريد أن استكشف موضوع الصلصال الأبيض الذي يغطي الفتحة التي صنعتها الرصاصة الثانية في السقف طبقًا لحديث فريدة الليلة. اتركني أنا هنا قليلاً وتجول أنت في الشقة كما تريد. أنا أحضرت سكينًا كي أحفر به الصلصال وأستخرج الرصاصة من سقف الحجرة."

أخذ محمود أحد الكشافين وغادر الغرفة. كنت قد خفضت ضوء الكشاف الأخر الذي بقي معي في الغرفة حتى أصبحت بالكاد أبصر في ضوءه الضعيف على الرغم من أنه كانت هناك ستائر سميكة زرقاء اللون مسدلة على النافذة في الغرفة.

حركت المكتب الثقيل نسبيًا من مكانه ووضعته تحت المصباح الكهربائي المُعلق في سقف الغرفة. كان ذلك المصباح هو مصباح عادي للغاية ولكنه قوي، مما دلني على أن المرحوم كان في الواقع

رجلاً عمليًا لا يهتم كثيرًا بالزينة، وأدهشني ذلك نفسيًا، حيث أنه كان في حياته كلها يسعى لزيادة الزينة المحيطة به، وما كل هؤلاء المشاهير الذين كانوا يأتونه وما كل هذا الآثاث الغالي الثمن الفخم في بيته إلا زينة فقط، بينما كانت غرفته تدل على شخص يهتم فقط بالقيمة الجوهرية للأشياء ومدى منفعتها، فلم أر أي تابلوهات فاخرة على الجدران مثلاً ولا صور ولا رسومات ولا حتى أشياء غالية الثمن بسبب شكلها الجميل فقط. كان سريره عاديًا ومكتبه عاديًا والكرسي الذي يجلس عليه وراء المكتب عاديًا. ربما كان الشيء الوحيد الذي جنح للترف فيه هو شاشة التليفزيون الكبيرة أمام سريره.

كان المصباح محاطًا بكرانيش كزينة للسقف. المهم وضعت المكتب تحت المصباح ثم أخذت كرسيًا ووضعته فوق المكتب وصعدت فوق الكرسي مما جعلني أستطيع أن أمد يدي لتصل إلى السقف. أخرجت السكين من جيبي ومددت نصلها أتحسس به المنطقة حول المصباح، ثم زحفت بالسكين على الكرانيش وأنا أتحاشي أن أترك أثار غائرة بالسكين تدل على أن هناك من جاء وكان يختبر السقف. كنت أبحث ببصري، حتى على ضوء النور الخافت للكشاف، عن منطقة لونها مختلف أو تبدو وكأنها ذات تركيب مختلف، وكنت أضغط بالسكين وأحركها حول المكان أبحث عن منطقة رخوة تم وضع الصلصال الذي قالت الوسيط فريدة أنه قد استعماله لتغطية الثقب الذي صنعته الرصاصة داخل سقف الحجرة.

كان السقف صلبًا في كل الأماكن ويبدو وكأنه قد تم وضع كل أجزاءه في نفس الوقت من نفس المادة. حاولت أن أنظر بشكل أعمق وأكيف عيني في الظلام كي أرى فارقًا أو مكان دخلت منه رصاصة إلى السقف. لم أجد فارقًا في اللون أو الملمس وأنا أمسك بالسكين وأحركها أحاول أن أجد الجزء الرخو داخل الكرانيش المحيطة بالمصباح في السقف.

أحسست فجأة وكأن يدًا تطرق الأرض فوق رأسي في الطابق الأعلى في الشقة العلوية فوق شقة ساهر القصاص. توقفت لأن حركة السكين على السقف كانت تحدث صوتًا خفيفًا وبعدها سمعت صوتًا وكأن شيئًا ما يزحف، وبعدما أنصت لدقائق، أحسست بأن الصوت وكأن هناك سجادة يتم تحريكها على الأرض في الشقة العلوية. أحسست فجأة أن شيئًا ما ينظر إلي وأنا واقف هكذا قريبٌ من السقف. نظرت إلى جانبي وإذا كتلة مصمتة مظلمة سوداء أو رمادية على هيئة مجسم رأس وكأن الوجه ينظر إلي. لم أر عينان وكان الظلام يكاد يكون كاملاً، وفجأة بدأت تلك الكتلة تتحرك نحوي وبدت فجأة وكأنها تتسارع نحوي.

الفصل الخامس: ما بعد دخول الشقة

توقف قلبي عن النبض فجأة من شدة رعبي. سقطت السكين من يدي. أختل توازني ووجدت نفسي أهوي على الأرض. اصطدمت رأسي بطرف المكتب وأنا أسقط .. اظلمت الدنيا في عيني ولم أدر بشيء.

لم أدرك كم غبت عن الوعي ولكني أحسست أن هناك من يضربني على وجهي وآتاني صوت محمود يقول: يوسف. يوسف. ما الذي حدث لك؟ هل سقطت من فوق الكرسي؟ استيقظ يا يوسف.

أحسست بيدًا تثبت قدمي على الأرض وتلصقها بالأرض في وضعي الراقد على الأرض، وصوت محمود يقول: "كف عن الرفس. يوسف، استيقظ وتذكر أين نحن. كف عن الرفس. ستنبه الجيران بالطابق السفلي أن هناك أحد بالشقة فوق شقتهم. هناك رجل مات في هذه الشقة الليلة والله أعلم ما هو وضع الشقة بالنسبة لاحتياج الشرطة لها. كف عن الرفس. هيا. أفق وسنخرج من هنا. سأساعدك على الصعود إلى بيتك. لا يمكنني أن أحملك وأنا خارج من شقة المتوفي في هذه الليلة. أفق يا يوسف."

وفتحت عيني. كنت راقدًا على الأرض وكانت رأسي على الأرض وكان بجانبي الكشافان مضاءان، وصرخت بصوت مرتعب: "لقد رأيت شبحًا يا محمود. هناك شخص كذلك في الطابق العلوي. إنه يتحرك وقام بتحريك السجادة والطرق على الأرض، وهناك شبح. أنا رأيت شبحًا. صدقني. نظرت إلى جانبي ورأسي قرب السقف ورأيت شيئًا ما يتحرك. لابد أنه شبح المتوفي ظهر لأنه قتُل غدرًا. أنا سمعت أن الانسان لو قتُل غدرًا فإن شبحه لا يغادر المكان، بل يبقى ويظهر للناس متى شاء. هناك شبحٌ موجودٌ هنا يا محمود. صدقني."

ورد علي محمود بأسلوبه المنطقي: "لا يوجد شيء. طبيعي أن تسمع حركة من الطابق العلوي، فطبيعي أن يتحرك الناس في شقتهم في الطابق العلوي. نحن في وقت متأخر من الليل ولكن هذا الأيام أيام إجازات والناس فيها يسهرون. الناس يتحركون في بيتهم في الطابق العلوي. هذا هو الصوت الذي سمعته. إهدأ."

وصرخت به: "أي سكان هؤلاء الذين يتحركون ويسهرون في أيام الإجازات! الشقة في الطابق العلوي هي شقة عم سعيد. توفاه الله منذ أكثر من عشر سنين. له إبن يعيش في الإسكندرية وإبن أخر مهاجر إلى كندا منذ فترة طويلة. لا يوجد سكان في الشقة العلوية. هناك شيء يحدث في شقة عم سعيد. قد يكون هو أيضًا قد ظهر له شبح، فالأماكن التي تترك مهجورة لفترة طويلة تظهر فيها أشباح، وكذلك فإن عم سعيد قيل عندما مات أنه مات مقتولاً بعدما دست له إحدى الخادمات السم في طعامه بعدما سرقت ماله. ظلت الشرطة تبحث عن الخادمة لفترة طويلة دون جدوى. لم يعثر لها أحد على أثر ولم تهتد الشرطة لمكانها."

وقال محمود متحسرًا: "لا حول ولا قوة إلا بالله. لا حول ولا قوة إلا بالله. هل هذه البناية مسكونة أم ماذا؟ يبدو وكأن كل من مات فيها مات مقتولاً. لا حول ولا قوة إلا بالله."

وصحت بمحمود: "المشكلة ليست في شقة عم سعيد. المشكلة هنا. كان هناك شيء ما يتحرك بجانبي وأنا واقف فوق الكرسي بالقرب من السقف. صدقني يا محمود."

وصاح محمود: "أي شيء هذا الذي يتحرك! لقد جبت أنا الشقة من أولها لآخرها ونظرت فيها في كل مكان. لا يوجد شيء. أنا واثق من ذلك. أنت فقط قد أتعبت أعصابك الجلسة التي كنا فيها في بداية الليلة ثم دخولنا هنا الآن. ربما أنت فقط خائف لعلمك أن هناك من مات في هذه الغرفة الليلة. هون عليك. أنا هنا بجانبك."

وللتأكيد على ما يقول، رفع محمود من إضاءة الكشاف ثم رفع الكشاف وسلط ضوئه على مختلف الأماكن في الغرفة، وقال: "انظر حولك في ضوء الكشاف. لا يوجد شيء على الإطلاق. هيا بنا سأساعدك على الصعود إلى شقتك."

كنت أشعر بالدوار الشديد عندما وقفت على قدمي. كانت الغرفة تدور بي ووضع محمود يده حول جذعي يسندني وقال: "هيا بنا."

وقلت له وأنا أشير إلى الفوضى التي أحدثناها والسجادة التي أزحتها بعيدًا عن مكانها والمكتب في غير مكانه والكرسي فوقه والكشافان على الأرض وكذلك السكين التي سقطت مني: وماذا عن هذه الأشياء؟"

وأجابني: "في الغد، تأتي أنت بإذن الله لتعيد كل شيء كما كان وتأخذ أشيائك. عليك أن تعيد هذا المكتب إلى مكانه وتعيد كل شيء إلى ما كان عليه بحيث لا يشتبه أحد في دخولنا هنا. أنا أيضًا أحس بأني مرهق. لنغادر الشقة الآن."

قال محمود هذا وساندني، بل قل تقريبًا حملني خارج الشقة وساندني حتى صعدت السلالم حتى شقتي في الطابق العلوي.

في الطابق الأعلى في شقتي ذهب محمود للثلاجة وأفرغ عددًا من قطع الثلج من المستطيل الذي يُستخدم في الفريزر لعمل قطع الثلج ووضع قطع الثلج تلك في كيس بلاستيكي وأغلقه وأحضره لي وقال: "ضع كيس الثلج على مكان الألم من رأسك وإلا فسيتورم ويظهر أمام الناظرين بوضوح في الصباح."

وشكرته على ذلك ودعوت الله أن يجزيه خيرًا وحمدت الله أنه قد وفقني لكي أخذ محمود معي عند دخولي إلى الشقة في الطابق السفلي فلولاه فربما كنت قد قضيت الليلة مكومًا بجانب المكتب في غرفة المرحوم ساهر القصاص إما فاقدًا لوعيي أو غير قادر على الحركة.

وسألني محمود: "هل أدخل إلى المطبخ وأعد لك شيئًا تشربه؟ أنا لست غريبًا عن البيت ويمكنني أن أعد لك مشروبًا ساخنًا به كمية معقولة من السكر يعيد إليك قوتك."

وقلت له: "كلا يا محمود. لا داعي لأن تتعب نفسك. أنا لا أدري ما هو ذلك الشعور الذي سيطر علي في غرفة المرحوم، لعلها بالفعل تهيؤات خطرت لي بسبب المكان. لو أنك تريد أن تعود إلى بيتك، يمكنك أن تغادر الآن. للأسف أنا لم أقدم لك ضيافة ولم أعد لك شيئًا تشربه في هذه الليلة."

وصاح محمود ضاحكًا: "ماذا ستعد لي؟ هذا ما ينقصنا. لقد شربنا كثيرًا منذ بداية هذه الليلة يا يوسف. كانت ليلة لا أظن أنني سأنساها قريبًا. ربما كنت متعبًا الآن ولكن عندما أفكر في هذه الليلة غدًا وربما في أيام تالية فسأعتبرها ليلة مثيرة وكذلك أظن أنك أنت أيضًا لن تنساها قريبًا."

وضحكت وأنا أقول له: "المهم أن نتذكرها بالخير.

وودعني محمود ورحل.

بعدها بعدة أيام كان محمود نائمًا في فراشه وفجأة أحس بضربة شديدة وكأن عصا قد ضربت اللوح العريض عند آخر السرير حيث توجد قدماه. انتفض محمود مذعورًا وأنار الضوء الكهربائي للغرفة وراح يفحص المكان. لم يجد شيئًا حتى أنه أرتاب بعد قليل أن ما أحس بها كان جزءًا من حلم يحلمه، وإن كان ظل يشعر أن تلك الضربة كانت حقيقية.

بقية المقدمة في بداية الرواية:

من هنا لابد أن نعود لاستكمال المقدمة التي كانت في بداية الرواية حتى نفهم الأحداث التالية.

أرجو الرجوع لقراءة المقدمة في بداية الرواية:

وطبعًا تذكرت وقتها أنني لم أخبرها بشيء عن أن مسألة جلسة استدعاء الأموات هذه لها علاقة من قريب أو بعيد بحادثة "انتحار" ساهر القصاص، ولم أخبرها أنني قد دخلت مع محمود إلى شقة ساهر القصاص ليلة وفاته ولا بما حدث لي في تلك الليلة من رؤيتي للشبح. كنت أشعر بالاستغراب من ذلك الموضوع وأتساءل بيني وبين نفسي منذ تلك الليلة عما إذا كان ما سمعته ورأيته في بيت ساهر القصاص قد حدث لي فعلاً أم كان مجرد تهيؤات. بدا لي الأمر في الصباح التالي بعد دخولي شقة المرحوم ساهر القصاص وكأن هدير فيها ما يكفيها ولا داعي أن أثقل عليها بحكاية أنني دخلت الشقة، كما أنني كنت أشعر أنه لا ينبغي علي أن أحكي لها عن مقابلتي للشبح في تلك الليلة، فمن شأن ذلك أن يشعرها أنني شخص غير منطقي أو مهزوز وأنا لا أحب أن أبدو كذلك أمامها، كما أنني كنت واثقًا أنني لو حكيت لها لوجهت لي اللوم على شيء ما، فبالنسبة لأي إمرأة متزوجة فإن أي خطأ هو بالضرورة خطأ زوجها وأي شيء غير مرغوب فيه يحدث بالضرورة ناتج عن خطأ قام به الزوج.

كذلك، كنت أنا من النوع الذي يؤمن بأنه لو لم يتحدث عن شيء ما يضايقه فإن هذا الشيء يذهب ولا يعود يلاحقه، بينما لو حكى عن شيء وحدث به واستغرق في تفاصيله فإن هذا الشيء يحيطه ويظل عالقًا به، وكنت أعتقد أن ذلك ينطبق خاصة على المشكلات، فكلما تحدثت عن المشكلة كلما زادت وتشعبت وأصبحت أنت مسئولاً عنها ومُلامًا بسببها أما إذا سكت عنها ولم تحكها لأحد وكانت هي مشكلة غير مسيطرة على حياتك فإنها تنتهي من تلقاء نفسها ولا تعود تؤرقك.

بعد رؤيتي للشبح سيطر علي وعلى هدير جو غريب. لم نعد نتشاجر كما كنا نفعل من قبل ولكننا كذلك لم نعد نتحدث ونضحك معًا. كان كلٌ منا غارقٌ في عالمه وحده. لم يعجبني هذا وكنت أفتقد ذلك الجو الدافيء الحميم الذي كان يسود بيني وبينها وحديثنا معًا طوال الوقت عندما نتواجد في البيت. لم يعجبني أن أعيش في عالمي وحدي وأن تعيش هي منغلقة على نفسها بعيدة في عالمها وحدها، فذلك يسبب التعاسة للطرفين، ولكني أحسست في تلك الفترة أنني مشلول أو الحقيقة أحسست أنني ملتصق في مكاني أو ملتصق في نفس الظروف ولا أستطيع فعل شيء.

تذكرت فجأة أنني لم أخبر هدير بشيء عن علاقة الشبح بساهر القصاص، ولهذا قلت لها: "أي مرحوم. جدك مثلاً الله يرحمه؟"

وأجابتني هدير وهي تضحك مستغربة: "جدي أنا!! وكيف لي أن أعرف؟ كلا. لا أظن أن جدي كان يلبس أشياءًا كهذه."

وبدا لي أن هدير قد كانت منشغلة عني بأفكارها وتركتني لتذهب لتصلي ولكن يبدو عليها أنها فجأة تذكرت شيئًا ما.

عادت إلي وقالت: "مالك يا يوسف؟ أنت تتحدث بحديث غريب وتتصرف تصرفات غريبة ولست مندهشًا من أنني رأيت شبحًا، بل أنت تطلق الفكاهات. ما الذي تخفيه عني؟"

وطبعًا قلقت لأنها قد بدأت تفكر وتحولت من الدفاع إلى الهجوم ولهذا قلت لها: "أنا أتصرف تصرفات غريبة! مثل ماذا! هل أمسكت بي وأنا أحاول أن أنتحر مثلاً؟"

وأجابت هدير: "أمسكت بك!!"

وطبعًا لابد أنها كانت تراني وترى حالي غير السعيد، فقد كنت أبقى في البيت طوال الوقت هذه الأيام وكذلك كانت تفعل هي، ولابد أنها كانت تحس بأنني تقريبًا لا أفعل أي شيء بل أنا فقط منشغل بأفكاري التي تدور في عقلي وحدي ومنكفيء على نفسي ولكني كابرت وأجبتها: "أنا في أفضل حالاتي، وفي قمة سعادتي وكل ما ينغص علي مشاعري السعيدة تلك هو أن زوجتي لسبب ما قررت أن تنتحر. لاشيء أخر. أنا كالفل نقاءًا ونضارة. المشكلة لديك أنت."

وبعد حوالي الأسبوع من ذلك التاريخ بدأت أحداث أخرى.

كان محمود نائمًا في فراشه والنافذة مغلقة. فجأة تنفتح النافذة من تلقاء نفسها. نسمع أصوات خبط وأصوات متفرقة من مختلف أنحاء الشقة.

محمود يحكي:

استيقظت من نومي ولكني لم أتحرك من مكاني. فتحت عينّي. كانت هناك أصوات كثيرة تأتي من أماكن متفرقة في شقتنا. لم تكن الأصوات تأتي من الخارج. أنا كنت واثقًا من ذلك. جلست في الفراش ثم مددت يدي أحاول فتح ضوء المصباح الصغير المركب فوق عمود صغير وموضوع على الكومود بجانب سريري وتعلوه مظلة صغيرة تخفض من ضوءه. لم يستجب المصباح. ضغطت على مفتاح فتح المصباح وأغلقته مرتين ولكنه لم يستجب. قمت من فراشي وبحثت بقدمي عن الشبشب الذي كنت ألبسه في قدمي أثناء تواجدي في المنزل ولم أجده في الظلام.

مشيت حافي القدمين إلى مفتاح الضوء في غرفتي. حاولت اضاءته بلا جدوى. يبدو أن الكهرباء كانت مقطوعة عن البناية التي أقيم فيها. لم يكن هناك ضوء حتى من الشارع. كان الظلام دامسًا وكنت أتحرك بتحسس الأشياء. خرجت من غرفة نومي إلى الطرقة. أحسست بشيء ما ونظرت من مكاني في الطرقة خارج غرفتي إلى داخلها. عند عتبة النافذة والتي كانت مفتوحة تمامًا كان يجثم شيء ما. كان بيتنا من البيوت القديمة وكانت النافذة كبيرة جدًا بالنسبة للنوافذ الموجودة في البيوت العادية اليوم وكانت حاجز النافذة منخفضًا كما يوجد في الكثير من البنايات القديمة. النافذة كانت مفتوحة تمامًا على الرغم من أنها عند نومي كانت مغلقة سواء الزجاج الذي يغطي الجزء الداخلي أو الشيش الخشبي تحته، وأحسست أن ذلك الشيء الموجود عند قاعدة النافذة ليس بشريًا وليس حيوانيًا من نوع معروف. كان كتلة ما لها ذراعان وكان محتبيًا على ساقيه ولكني أحسست بقوة أنه غير بشري.

أحسست بقوة وكأن الدم يتجمد في عروقي على الرغم من العرق الذي قد بدأ يحتشد على جبهتي ولكنه كان عرقًا باردًا وأحسست فجأة وأنا أراقب حركة ذلك المخلوق أن شعر رأسي يقف وأن الرعب يسيطر علي. لابد أن أخرج من هنا بسرعة. اتجهت نحو باب الشقة المؤدي إلى السلالم خارج الشقة. مددت يدي إلى مقبض الباب وأدرته محاولاً فتحه. الباب لا يريد أن يفتح. لا يريد أن يفتح. كانت هناك قوة ما مساوية تقريبًا لقوتي أو أقوى مني تجذب الباب إلى الناحية الأخرى لتبقيه مغلقًا. بذلك قصارى جهدي وركزت قوتي وأنا أجذب مقبض الباب. انفتح الباب قليلاً ولكن القوة الموازية في الجانب الأخر أغلقته.

أحسست بالرعب الشديد. أنا محبوس مع كيان ما معادٍ لي ولماذا يريد إبقاءي داخل الشقة؟ ماذا سيفعلون بي؟ أحسست بالفزع. لابد أن أخرج. لابد أن أخرج بسرعة الآن وفورًا .. فجأة وأنا أجذب الباب هناك يد وضعت على كتفي .. التفت نحو مالك تلك اليد لأجد

جمجمة وكأن أسنانها مصورة بالأشعة السينية .. كانت أسنان الجمجمة تتحرك. الفك السفلي كان يقول شيئًا ما. كان هيكلاً عظمياً لكنه يبدو مختبئًا في غمامة أو غلالة ما وكان يرتدي ملابس سهرة كأنها تعود إلى منتصف القرن العشرين كما كنت أراها في الأفلام القديمة، وكان الهيكل يعتمر قبعة كتلك التي يرتديها العم سام في صوره التي ترمز إلى دولة الولايات المتحدة الأمريكية.

الفصل السادس: ماذا يريد الشبح؟

كان الرعب في قلبي قد بلغ منتهاه وصرخت: "لا حول ولا قوة إلا بالله. لا حول ولا قوة إلا بالله. سلامٌ قولاً من ربٍ رحيم. سلامٌ قولاً من ربٍ رحيم."

تركت يد الشبح وأنطلقت أجري نحو المطبخ. فتحت أحد الأدراج التي نضع بها الأدوات البسيطة التي أستخدمها لإصلاح الأشياء في البيت حين تتعطل. كان هناك شاكوش كبير في ذلك الدرج. حركت يدي داخل الدرج بسرعة أبحث عن الشاكوش وكانت يدي الأخرى تبقي الدرج مفتوحًا لأنني خشيت من أن تغلق قوة ما الدرج على يدي الممدودة داخله.

وجدت الشاكوش. أمسكت به بقوة وانطلقت أجري خارج المطبخ .. اصطدمت بجسم الشبح واخترقته .. اخترقت جسم الشبح .. لم أعد أشعر أين أنا أو ماذا أفعل أم هل لبدني حدود أم لا.

انطلقت نحو باب الشقة وأخذت أضرب مقبض الباب بالشاكوش بأقصى ما أوتيت من قوة وأنا أصرخ: "الله أكبر. الله أكبر. الله أكبر." وسرعان ما تدلى المقبض .. مددت يدي أفتح الباب .. رميت الشاكوش من يدي وانطلقت أهبط السلالم جريًا وأنا حافي القدمين أرتدي منامتي الليلية. .. كان هناك شيء يجري خلفي على السلالم .. كتلة سوداء مصمتة معتمة تتحرك بسرعة خلفي

على السلالم .. كأنه بشر ولكنه ليس بشرًا .. كنت أجري كالمجنون .. وصلت إلى نهاية السلالم حيث الصالة المؤدية من المصاعد والسلالم إلى مدخل البناية الذي يؤدي إلى الشارع. وصلت عند مدخل البناية .. الشارع غارق في الظلام .. لا يوجد ضوء .. ألا توجد نهاية لهذا الكابوس .. وفجأة أضيء الضوء الكهربائي .. وقفت أمام باب البناية استعيد أنفاسي اللاهثة ..

أنا لا يمكنني أن أعود في هذه الليلة إلى شقتي .. لن أعود .. وأنا هكذا إلى أين أذهب .. فكرت في أن بيت يوسف وهدير لا يبعد أكثر من ربع ساعة مشيًا على الأقدام .. كنت حافي القدمين أرتدي ملابس النوم وليس معي بطاقة هوية ولا أي شيء .. مما قد يؤدي إلى نتائج كارثية أسوأ حتى من الشبح لو قابلت أي شخص ممن يعملون بإنفاذ القانون. ولكني لم أستطع أن أقنع نفسي بالعودة .. اتجهت كما أنا إلى بيت هدير ويوسف.

وصلت إلى بيت هدير ويوسف. وضعت اصبعي على الجرس وتركته هناك وسرعان ما جاءني صوت يوسف يصرخ: "قادم. قادم. ما الأمر وهل يضرب أحد الجرس هكذا في وقت كهذا؟"

نظر إلي يوسف وأنا أقف أمام باب الشقة بمنامتي حافي القدمين وقال بصوت غير مصدق: "محمود"

وأجبته: "هناك شبح يطاردني."

وأجابني: "هل هذا معناه أنك مشيت هكذا من بيتك وحتى بيتنا؟"

وقلت وأنا ألومه على عدم تقديره لموقفي: "المسافة ليست بعيدة والأمر لا يتحمل تجملاً في الظروف التي أجد نفسي فيها الآن. أقول لك أنني كنت أحارب شبحًا. كان يجذب باب الشقة في الإتجاه المعاكس لي وأنا أحاول فتح الباب. كان يريد أن يُبقي الباب مغلقًا ويبقينا محبوسًا داخل الشقة. اضطررت لكسر مقبض باب الشقة حتى أستطيع الهرب وبعدها طاردني على السلالم. أنا أصدق الآن

أنك رأيت شبحًا في الليلة التي دخلنا فيها شقة المغدور ولابد أنك تفهم شعوري الآن."

وهمس يوسف بتلقائية: "اخفض صوتك وأنت تقول "شقة المغدور." محمود، أرجوك انتظر لحظة. سأحضر لك مداسًا تلبسه في قدميك حتى تدخل إلى الشقة. لو دخلت هكذا فستترك قدماك آثارًا على الأرض والسجاد ووقتها سوف تشنقنا هدير أنا وأنت. أنت تعرف النساء وجنونهن."

بعد دقائق آتاني محمود بمداس شتوي وضعت قدمي فيه وجاكت ثقيل كي ألبسه حيث أن الوقت كان متأخرًا وكان الجو باردًا نسبيًا. مشى يوسف أمامي وتبعته حتى غرفة المطبخ. كنت معتادًا على الجلوس في غرفة المطبخ لديهم حين يدعونني لتناول طعامٍ أو مشروب ما. جلست على الكرسي بجانب المنضدة التي يتناول عليها عادة يوسف وهدير الطعام داخل المطبخ وقال يوسف: "سأصنع لك شايًا كي تتدفأ قليلاً. هل تحب أن تشرب شيئًا أخر؟"

طبعًا كان يوسف يعرف أنني تقليدي ولا أشرب تقريبًا سوى الشاي والقهوة المحمصة السادة. وأجبته وأنا أشعر بالحرج الشديد: "الشاي ممتاز في ظرف كهذا. أنت لا تفهم ما اصابني يا يوسف. أنت تراني هادئًا أمامك الآن ولا يمكنك أن تخمن كيف كان حالي منذ حوالي عشرين دقيقة مثلاً. أنا بالطبع آسف على الإزعاج الذي أسببه لكم وعلى أنني جئتكم هكذا."

صب لي يوسف الشاي وأحضر لي قطعة كعك كبيرة من الثلاجة ووضعهما أمامي وأجابني وأحسست أنه متحرج من أنه جعلني أنتظر وجعلني أرتدي مداسًا عند باب الشقة: "لقد نورت بيتنا يا محمود والله. أنت تعرف كم أحبك. لم يحدث شيء. أنا وهدير لم ننم بعد. أنا آسف أنني تركتك تنتظر حتى أحضر لك مداسًا لكن لابد أنك تعرف هدير إبنة خالتك وكيف تحب أن تتحكم في كل شخص حولها."

وأجبته: "لم يحدث شيء. أنا فقط كنت متوتر ومرعوب ولم أكن في وضع يمكنني من إيجاد أي شيء ألبسه في قدمي قبل مغادرة الشقة. أنا كنت أحاول أن أنجو فقط بجلدي. كنت وكأنني أفر من حريق ولكن أنا طبعًا أفهم أنني الآن شكلي غريب وتصرفاتي كذلك."

وصاح يوسف آسفًا: "نحن كذلك هذه الأيام تحدث لنا أشياء غريبة. أي أن حالنا كحالك تقريبًا. كان الله في عونك. ما هي أخبار طنط سامية؟ كيف تواجه ما تتعرضون له الآن؟"

وأجبته: "أمي ذهبت إلى الإسكندرية منذ ثلاثة أيام. إبنة خالي توشك على أن تضع مولودها الأول وأمي ذهبت لتكون إلى جانبها حيث أن زوجة خالي ليست بصحة جيدة وأنت تعرف أن أمي صاحبة واجب وأن الجميع يعتمد عليها في مثل هذه الظروف وطبعًا هذا أفضل كثيرًا لها. منذ أسبوع وأنا أشعر بأشياء غريبة تحدث في شقتنا وكنت خائفًا من أن يحدث لها شيء."

وفجأة رأيت هدير. كانت تقف عند باب المطبخ تتفحصني وقد تدثرت بالجاكت الصوفي الذي أحضره لي يوسف والمداس في قدمي المتسختين. بدا لي أن هدير قد تغيرت. كانت تبدو وكأنها مشوشة أو هناك شيء ما مختلف في مظهرها. من الواضح أنها كانت في الداخل ولم يخبرها يوسف بقدومي لبيتهما حين دخل إلى الداخل وأحضر لي الجاكت والمداس.

وقلت لها كمن يحدث أسدًا يكاد أن ينقض عليه محاولاً تخفيف وقع مظهري عليها: "مرحبًا يا هدير."

وسألتني وفي عينيها نظرة اشفاق وقلق: "ماذا حدث؟"

وقررت أنا أصارحها. أنا أريد أن أتحدث وقد شجعتني نظرة الإشفاق في عينيها، ثم ماذا يمكنها أن تفعل إذا عرفت أنني رأيت شبحًا، ولهذا قلت لها: "لو أخبرتك لظننت أنني مجنون. هناك شبح

يطاردني ويبدو أنه قد سكن شقتنا وقد أفلت منه بصعوبة في هذه الليلة. تركت الشقة وأنطلقت أجري على السلالم بعدما كسرت مقبض باب الشقة كي أستطيع الخروج من الشقة وكان الشبح يجري على السلالم خلفي محاولاً الإمساك بي. للأسف لم أجد مكانًا أهرب إليه إلا هنا."

وأجابتني هدير: "ماذا تقول يا محمود. أنت في بيتك هنا. البيت هنا بيتك. أهلا ومرحبًا بك."

وأجبتها وقد بدأت أقدر الدفء والصحبة: "شكرًا. أنا كنت أعرف أنك ستتفهمين موقفي."

وقالت هدير بصراحة: "في الواقع يا محمود أنا سعيدة أنك آتيت الليلة بقصة الشبح هذه. لا تفهمني خطأ فأنا لست سعيدة لأنك تواجه شبحًا ولكن أنا كذلك يأتيني شبح وقد حاولت إقناع يوسف بذلك دون جدوى. هو لا يصدق موضوع الشبح هذا."

ونظرت إلى يوسف مليًا وكان يوسف يطرق برأسه إلى الأرض. طبعًا أنا كنت أعرف أن يوسف قد رأى هو نفسه شبحًا منذ حوالي الأسبوعين في شقة المرحوم ساهر القصاص. ألم يخبرها بذلك؟"

وقالت هدير متحسرة: "فكرة جلسة استدعاء الأموات تلك كان فكرة خطرة للغاية. سامحك الله يا خالتي سامية. منذ تلك الليلة وأنا لا أحلم إلا بكوابيس. كلما نمت أتتني كوابيس متداخلة تحرمني النوم. أكاد أفقد عقلي ولكني لست وحدي في هذا. كلمني مصطفى اليوم وأخبرني أن أنجي حالتها سيئة للغاية. ما الذي حدث لك الليلة؟"

وأجبتها: "كان هناك شبح يحاربني ويحاول أن يبقيني داخل الشقة. عندما نمت كانت النافذة مغلقة سواء الجزء المركب به الزجاج أو الشيش الخشبي تحته. أنت تعرفين بيتنا. عندما استيقظت كانت النافذة مفتوحة على مصراعيها بجزئيها الزجاج والشيش. اضطررت لكسر مقبض الباب كي أفلت وأخرج من الشقة. نزلت

السلالم جريًا بأسرع ما استطعت وكان هو ورائي يطاردني. لا أعرف كيف سأعود للشقة ثانية."

وأجابني يوسف يشتكي حاله وهو يشير إلى الداخل: "أنا تقريبًا لم أعد أنام قلقًا مما يمكن أن تفعله هدير بنفسها. المخاوف يتم عرضها بأسلوب عرض أفلام السينما في رأسي، وهو عرض مستمر، ولقد ثبتت كل نوافذ البيت بالمسامير حتى لا يمكن فتحها لأن هدير تستيقظ من النوم وتحاول أن تقفز من النوافذ."

وصدمت وهالني ما يقوله. هذا أخطر شيء سمعته حتى الآن عن تأثير الأشباح. هدير تحاول القفز من النوافذ عندما يوقظها شبح.

وصرخت أنا: "تقفز من النوافذ!!"

وقالت هدير شارحة موقفها: "كلما نمت أجد كوابيس توقظني ثم شيئًا ما يدفعني نحو النافذة والتي عادة ما تكون مفتوحة على مصراعيها وعند النافذة أرى عادة شخصًا يلبس بدلة سهرة تشبه تلك التي كان الرجال يلبسونها في الأفلام القديمة غير الملونة."

وصحت بها: "هل كان يلبس قبعة ذات إطار ضيق وعنق مرتفع."

وأجابتني: "نعم. نعم. قبعة تنتهي بقمة مسطحة مثل تلك التي كانوا يرتدونها في الأفلام الأبيض وأسود القديمة."

وصحت بها: "إذن فهو نفس الشبح يزورنا نحن الاثنين. اليوم كان ذلك الشبح واقفًا بجانبي وقد وضع يده على كتفي ورأيت أسنانه وكأنها مصورة بالأشعة السينية. كان هيكلاً عظميًا يرتدي بدلة سهرة من النوع الذي تصفينه. قماش ظهر البدلة طويل من الخلف، وكانت يده الأخرى تشير بطريقة آمرة إلى غرفة النوم حيث رأيت حين غادرتها أن هناك شيئًا قد دخل إليها وهو رابض عند قاعدة النافذة."

وسألت هدير مرتعبة: "ما هذا الشيء؟"

وأجبتها: "أنا لمحته لمحة واحدة فقط. جسم مشابه لأجسام البشر ولكنه غير بشري. المكان كان مظلمًا. انقطع الضوء ليس عن شقتي فقط ولا عن البناية كلها بل عندما نزلت عند باب البناية الذي يطل على الشارع بدا لي وكأن الضوء قد انقطع عن الشارع بأكمله. لم يعد الضوء إلا عندما وصلت أنا لباب البناية. أنا أعتقد أن الشبح كان السبب في قطع التيار الكهربي."

ورد يوسف: "ليس لهذه الدرجة يا محمود."

كنت لا أزال أحدث هدير التي كانت ترى نفس الشبح الذي رأيته أنا وكانت تشعر بما أشعر به ولهذا قلت لها: "في كل مرة أرى فيها ذلك الشبح تأتيني رسالة في عقلي تقول لي أن هذا الشبح هو شبح ساهر القصاص، جاركم الذي توفاه الله منذ فترة قصيرة. هل كنت تعرفينه؟"

وأجابتني هدير: "الله يرحمه. كان جارنا ولكني لم أتحدث معه قط سوى بإلقاء السلام عليه أو الرد على سلامه مثلاً. لم أكن أعرفه جيدًا. كنت فقط أراه يأتي ويذهب، وأنت كيف يكون لك معرفة به؟"

وأجبتها: "ساهر القصاص كان الرجل الذي كانت تتحدث عنه فريدة حين كانت الوسيط في تلك الجلسة التي عقدناها أنا وأمي في بيتنا. لقد دخلت شقة ساهر القصاص مع يوسف في تلك الليلة بعدما رحلت الشرطة عن الشقة."

وفجأة انتبهت إلى أن يوسف يقف خلف هدير ويشير لي من خلفها ومن فوق رأسها بإشارات. كان يرقص رقصة مسرحية غريبة فهمت بعد دقيقة أو نحوها أن هدفها كان أن أسكت. تلفتت هدير نحوه بسبب أنني ركزت نظري عليه حتى أفهم ما يقصده، وتوقف هو عن رقصته تلك فورًا ونظر خلفه وكأنه يبحث عن شيء ما. ولكني مع ذلك أردت أن أعرف ما الذي تعرفه هدير فعليًا وما الذي فعلته ليجعل ذلك الشبح يزورها هي بالذات ولهذا لم أبال بإفشاء

سري وسر يوسف لهدير فهي واحدة منا كما أنها ليست من النوع المتهور.

وطبعًا يوسف كان يعرف زوجته، كما يبدو، أفضل كثيرًا مما أعرفها أنا، فقد تحولت هدير وعقدت ذراعيها على صدرها ووجهت نظرها ليوسف في نظرة بها من التهديد ما بها وقالت: "ماذا! دخلتم شقة المرحوم!!"

وأحسست وقتها أنني أخطأت التقدير فمن الواضح أن هدير أخطر مما كنت أظن ولهذا قلت لها محاولاً التهوين من الأمر: "نحن لم نفعل أي شيء في تلك الشقة. أعني أننا لم نأخذ شيئًا من الشقة ولم نر شيئًا ليلتها. فقط يوسف قال أنه رأى شبحًا وأرتطم رأسه بمكتب خشبي كبير كان موجودًا في غرفة المرحوم. ارتطم رأس يوسف بالمكتب وهو يسقط من فوق المكتب حيث كان يقف عليه."

وطبعًا يوسف كان يوجد على وجهه تعبيران، تعبير يحمل الاعتذار لزوجته والثاني كان موجهًا لي وكنت أرى فيه تعبير الغضب الشديد وأشار لي إشارة لم أفهمها بذراعه وكأنه يريد أن يضربني أو يلقيني خارج الشقة.

بعد دقائق، اضطر يوسف إلى تجاهل زوجته وصرخ في يوسف: "يا أخي حرام عليك. أسكت. أسكت. ألا تراني أشير لك بأن تسكت."

وصاحت هدير وقد عقدت ذراعيها على صدرها وهي تنظر تلك النظرة الغاضبة اللائمة ليوسف: "ولماذا لم يخبرني أحدٌ بذلك."

ورد عليها يوسف وهو يصرخ فيها لكي يدحض حجتها وإن كنت أظن أن الصراخ عادة لا يكون لها تأثير كبير على هدير: "وماذا يمكن أن يقال عن شيء كهذا. كما قال لك محمود لم نأخذ أي شيء من الشقة ولم نفعل شيئًا فيها. أنا قلقت من أنك قد تهولين الأمر وتصنعين من الحبة قبة كعادتك. هذا هو كل ما هنالك."

وصاحت هدير: "هكذا. ذهبتما كالصبيان الصغار تقوما بمغامرات وأحضرتما لنا الشبح وراءكما."

وصاح يوسف وهو يشير بيده معترضًا لي: "هل رأيت تفسيرها للأمور!! هل يسرك الأمر الآن؟ أنت عادة كتوم. لماذا تخبرها بالأمر الآن؟ هذا سيسقط على رأسي وحدي."

وصاحت هدير: "رد علي أنا."

وأجابها يوسف مجادلاً كعادته: "عندما دخلنا إلى شقة ساهر رحمه الله ربما كنت قد شاهدت شبحًا وربما خُيل إلي أنني فعلت. حدث الأمر في بضع ثواني ثم فقدت الوعي. لم يمر وقتٌ كافٍ لاستوعب هل ما رأيته حدث حقيقة أم لا. كذلك كان المكان حولي مظلمًا بشكل يجعل الخيالات تتخذ شكلاً مجسمًا في بعض الأحيان. قد لا أكون قد رأيت شبحًا ثم إن دخولي أنا ومحمود في تلك الشقة لم يكن السبب في متابعة الشبح لنا. أنت لم تدخلي إلى الشقة ويأتيك شبح. إنجي لم تدخل إلى الشقة وما يُذكر عنها أنها في حالة تعب عصبي ونفسي شديدين. أنا رأيي أنها ترى شبحًا ولكنها تخاف إن أعلنت ذلك أن يتركها خطيبها مصطفى. كما أن حضور جلسة استدعاء الأموات تلك ليس له علاقة برؤية الأشباح. طنط سامية في الاسكندرية تستمتع بوقتها ولا تعاني من أي شيء. أنت تحدثت إلى مصطفى وطبعًا هو لا يعاني من أي شيء ولم ير شبحًا أو أي شيء أخر."

وردت هدير ساخرة: "وهل تنتظر أن يرى مصطفى شبحًا؟ كما قالت خالتي سامية، أنت تحتاج إلى درجة ما من الحساسية كي ترى تلك الأشباح. مصطفى ليس لديه إحساس أصلاً." ثم أردفت هدير بحدة: "لا أدري كيف ستتزوجه إنجي. كان الله في عونها. المشكلة أنك دخلت الشقة بعد جلسة استدعاء الموتى تلك وهذا ما أدى إلى جذبك للشبح إلى بيتنا مما جعل الشبح يطاردني."

وقلت لها بهدوء وقد ساءني أن أكون سببًا في زيادة الخلاف بين الزوجين: "لا أظن يا هدير أن لومك لزوجك والنكد الذي ستتسببين به في بيتكما سوف يحل مشكلة زيارة الأشباح لنا."

وصاحت هدير: "أنت لا تفهم. إن يوسف يقترح عمل جلسة أخرى لاستدعاء الموتى."

ونظرت إلى يوسف استطلع الأمر ورأيته يهز رأسه وصرخت به: "ماذا! بعد كل ما حدث!!"

ورد يوسف بتؤدة: "أرجو أن تهدئا وتفكرا بشكل عقلاني. إذا كان شبح ساهر القصاص هو من يطاردنا، إذا فلابد أنه يريدنا أن نفعل شيئًا ما. لابد أن نعرف ماذا يريد شبحه منا. الأشباح عادة ما تكمن وتقيم في مكان ما وتظهر للبشر العاديين الأحياء عندما يتم اختراق النطاق الذي حددته لنفسها مثلما تفعل بعض الحيوانات مثلاً، وهذا معروف في جميع الأماكن التي ظهرت فيها أشباح، ولكن بالنسبة لنا هذا الشبح ينتقل كما هو واضح. من الواضح من وصفكما للشبح أنه نفس الشبح ولكنه ينتقل من مكان لآخر. إنتقل إلى شقتنا هذه وهو يطارد هدير وانتقل إلى شقة محمود وهو يطارده، وربما كان كذلك قد انتقل إلى حيث توجد إنجي إن كانت ترى أشباحًا. يجب أن نتساءل لماذا يتتبعنا الشبح نحن بالذات."

وردت عليه هدير: "ولماذا تظن أن يتتبعنا؟"

وأجابها يوسف: "كما قلت الآن، هو يريدنا أن نفعل شيئًا ما. هو لا يتابعنا لينتقم منا، فنحن لم نؤذي الرجل في حياته قط وحتى في ذلك اليوم الذي حدث فيه احتكاك بيني وبينه أنا الذي تراجعت وركنت السيارة بعيدًا عن مدخل العمارة إرضاءًا له. ربما كان الشبح يتابعنا كوسيلة تهديد لأنه يريد أن يجبرنا على فعل شيء ما لا يستطيع الشبح فعله دون الاستعانة بنا. ربما أرادنا أن نقبض على من قتله ونسلمه للعدالة. أيًا كان ما يريده الشبح، لابد أن نفعله بسرعة. لو

لم نفعل أي شيء ولم نحاول معرفة الحقيقة بسرعة فربما تم تأجير شقة ساهر القصاص ولم يعد بإمكاننا زيارة الشقة والتحري لمعرفة القاتل الحقيقي."

وردت عليه هدير: "هذا معناه أنك تخطط للعديد من السهرات السعيدة داخل شقة المرحوم؟ أنت هكذا تزعج شبحه وطبعًا شبحه سيأتيني أنا وربما، طبقًا لأفكارك وما قلته الآن، كان يفعل ذلك كي أنغص عليك عيشك وأمنعك من زيارة شقة المرحوم."

ونظرت لها شزرًا وقلت لها: "يا هدير. كفي عن هذا أرجوك. لو زار أي منا الشبح فلن يفعل ذلك في الليل بالتأكيد. يكفينا ما أصابنا في المرة الأولى من توتر ورعب. أنا أرى أن وجهة نظر يوسف بها بعض الوجاهة. لنتركه يتحدث لعله يشرح وجهة نظره بشكل أفضل. لا تقاطعيه أرجوك."

وقال يوسف: "أنا أشدد على أننا يجب أن نتحرك بسرعة. لو أن الشبح يريدنا أن نجري تحقيقًا لمعرفة من قتله وتسليمه للعدالة فالفترة المتاحة لنا لدخول الشقة ربما كانت تقل. سلامة البواب قال لي أن أرملة ساهر رحمه الله سوف تعيش في الإسكندرية عند اسرتها هناك، ووقتها طبعًا قد تلجأ لتأجير الشقة. الكثيرون قد يرحبون بتأجير شقة في عمارتنا هذه ووقتها قد نفقد قدرتنا على إرضاء الشبح، ومن الواضح أنه بسبب أننا نعرف الحكاية عن طريق جلسة استدعاء الموتى تلك فالشبح يستهدفنا نحن بالذات، وعندما نفقد قدرتنا على إرضاءه قد يظل ملتصقًا بنا. لابد أن نجد وسيلة نتخلص بها من هذا الشبح."

وقلت لهما ما فكرت به منذ فترة: "أنتما تعرفان أنني وأمي نمتلك شقة في مدينة الإسكندرية، وفكرت أن نترك بيتنا هنا ونذهب لنقيم في بيتنا في الإسكندرية. كذلك أنتما تعرفان أن لدي مشكلات في إيجاد عمل في القاهرة، ولدي أسرة ممتدة في الإسكندرية، وقد

تكون فرصتي في الحصول على عمل في الإسكندرية أفضل من حصولي على عمل هنا."

ورد علي يوسف وقد بدا لي رافضًا تمامًا للفكرة: "ماذا. تترك القاهرة، وما هي أخبار فريدة في تلك الحالة؟"

يوسف يحكي

لم يهتم محمود بأنني ألمح إلى حبه لفريدة أو ربما لم يفهم ما أقصده ولهذا قال، وقد لاحظت أنه يتعمد عدم الحديث عن فريدة وتحويل مسار أي حديث عنها إلى وجهة أخرى: "وما علاقة فريدة بالموضوع؟ هي كانت مجرد وسيط ولكنها لا تذكر أي شيء عن جلسة استدعاء الموتى تلك. في آخر مرة تحدثت معها كانت طبيعية تمامًا ولم تكن لديها مشكلات. لاحظ أن فريدة لديها خاصية رؤية الأشباح حتى التي تكون غير مرئية لمعظم الناس ورؤية مثل هؤلاء الأشباح هي كرؤية الناس العاديين بالنسبة لنا لا تقلقها. لو أن هناك شيئًا ما يطاردها أو يدخل بيتها فستعرف فورًا ولن تكون بانتظار أن يشعرها بوجوده وهي لن تخاف إذا رأته."

ورددت عليه: "على العموم أنا أظن أن تركك للقاهرة لن يفيدك في شيء. الشبح قد يستهدفك بالإسكندرية كما يفعل في القاهرة. الشبح يطاردنا في شقتنا التي لم يحدث بها شيء ولم يحدث بها جلسة استدعاء للموتى وهو يطاردك في شقتك البعيدة عن شقة ساهر رحمه الله. واضح أن مشكلة التنقل هذه قد تم حلها بالنسبة للشبح."

ونظر لي محمود وقد ضاقت عيناه وقال: "لأجرب وأرى."

وأجبته: "كن واقعيًا يا محمود. سوف تدفع مبلغًا كبيرًا جدًا لنقل نفسك ووالدتك وحياتك إلى الاسكندرية، وماذا لو استقررت هناك وأنفقت مبالغ كبيرة ثم بدأ الشبح يطاردك من جديد. هل ستدفع مبلغًا كبيرًا أيضًا وتعود لتستقر في القاهرة من جديد؟ أنا رأيي أن

الشبح قد بدأ يربط نفسه بنا نحن الثلاثة. قد يكون يزور إنجي ولعله لا يزورها. لا يمكن أن نشرك معنا أخرين فيما سنفعله في شقة المرحوم. نحن الثلاثة الذين يستطيعون أن يحققوا في حادثة موت الشبح ويعرفوا الحقيقة. الهرب لن ينفعنا. الأفضل استغلال فرصة خلو شقة المرحوم وأن لدينا مفتاحها قبل أن يتصرفوا فيها."

وقالت هدير: "لا أدري كيف تفكر يا يوسف! جلسة استدعاء موتى واحدة أوصلتنا إلى ما نحن فيه. إذن الحل في جلسة ثانية!! جلسة أخرى قد تجعل كل شيء ينهار."

ورددت عليها: "ما معنى ينهار؟ هل سيصبح أسوأ مما نحن فيه الآن؟ انظري إلى النوافذ الخاصة بنا. كلها مثبتة في أماكنها بالمسامير بحيث لا تستطيعين فتحها وإلا فستقفزين من النافذة. أنا توقفت عن الذهاب إلى العمل من شدة خوفي من أن تؤذي نفسك أثناء غيابي بإيعاز من ذلك الشبح. ماذا لو استمر هذا الوضع لعدة أشهر تالية؟ سأكون حطام إنسان وستكونين أنت بدورك حطام إنسان. لا يمكن أن تستمر الحياة هكذا. لماذا لا نهتم بتحقيق العدالة؟ ساهر القصاص قد قتل والشبح، كما أظن، يحاول أن يدفعنا لإثبات أنه قتل. الشبح لن يرتاح حتى يثأر لنفسه."

وتوقفت عن الحديث لأن محمود وهدير كانا ينظران إلى بعضهما البعض وقد توقفا عن النظر لي وبدأت أحاول مدخلاً أخر لشرح ما أريد قوله، فقد قلت نفس الأشياء عدة مرات حتى أنهما لم يعودا يستمعان لي.

وقلت لهما: "ما الفارق بين الشقق التي تظهر فيها أشباح وتلك التي لا تظهر بها أشباح. هيا، أخبراني."

ونظر إلى الاثنان، واستكملت حديثي: "هو الفارق بين الشقق التي يموت فيها الناس بسكينة وهدوء ميتة طبيعية وتلك التي يكون من

مات فيها قد قتُل غدراً. هناك من قتله ولم تكن ميتته طبيعية، ووقتها يظهر له شبح ليعلن على الناس أنه لم يمت ميتة طبيعية وأنه يجب أن يتم الثأر له. لو تم الثأر لساهر القصاص وإعدام من قتله أو من قتلته، فسوف يختفي شبحه ويكف عن مضايقتنا."

وردت علي هدير: "هذا كلام فارغ. الشبح كان يريد أن يجعلني أقفز من النافذة وأنا لم أضر ساهر في شيء قبل موته، ولم أسع لزيارة الشقة التي كان ساهر يقيم فيها أو التي ظهر بها الشبح بعد وفاته، بل انني لم أعرف سوى الليلة أن لساهر القصاص صلة بجلسة استدعاء الأموات التي حضرتها. كان الشبح كذلك يحاول دفعك يا محمود للقفز من النافذة رغم أنك لم تكن تعرفه أثناء حياته. أنا رأيي أننا أقلقنا راحة شبح شرير وأيقظناه وأنه يريد أن يدمرنا."

وقلت بصوت عالٍ: "أنا لا أعرف إن كان ساهر القصاص شريرًا في حياته أم لا."

ورد علي محمود: "كان شريرًا. قالت فريدة عندما كانت الوسيط في تلك الجلسة أنه كان يعامل زوجته بشكل سيء، وكررت ذلك أكثر من مرة."

ورددت عليه: "ليس هذا دليلاً على أنه بالضرورة شرير. لعله كان يعامل زوجته فقط بشكل سيء. هذا لا يجعل منه شخصًا شريرًا."

ونظرت إلى جانبي لأرى زوجتي هدير تنظر إلي شزرًا. يجب أن أنتبه لنفسي ولا أعلن آرائي بمنتهى الأريحية هكذا وأنا أتحدث في وجودها.

وصاح محمود: "كل هذا التساؤل عما كان عليه المرحوم قبل موته هو أمر عقيم. لنفترض أنه كان شخصًا طيبًا ولكن شبحه غير طيب. افترض أنه كان أثناء حياته يخفي شره ولكن شبحه يظهر شره. ما هذا الكلام الفارغ. المهم أن هناك شبحًا شريرًا يطاردنا."

طبعًا أنا كنت أخطط لكي أصل إلى اثبات وجهة نظري من جانب أخر، ولكني انتبهت إلى أن حديثه ذاك يمكن أن يدعم حجتي في طلب جلسة استدعاء موتى جديدة وقلت له: "المغزى من هذا الحديث كله أننا لا نعرف شيئًا عن هذا الشبح ولا عن الأشباح عمومًا. لا توجد لدينا وسيلة لتحريك الأحداث نحو إيجاد قاتل ساهر القصاص وكذلك معرفة المزيد عن هذا الشبح إلا لو طلبنا جلسة استدعاء موتى أخرى ووقتها سنعرف أكثر. فكروا أنه ربما كان بإمكاننا في جلسة استدعاء الموتى تلك استدعاء ساهر القصاص نفسه وسؤاله عما يريده."

وأجاب محمود بشكل منطقي: "أنت رأيت جلسة استدعاء الموتى الأولى. كانت الوسيط تتحدث عما كان مُقدرًا لنا أن نعرفه، ولم تكن لدينا فرصة لاستدعاء أي شخص."

وردت هدير: "أنا كذلك لا أظن أن جلسة أخرى ستمكننا من استدعاء ساهر القصاص."

ورددت عليهما: "في جميع الأحوال، قد يعطينا ما يقال في الجلسة ولو بصيص أفضل من الضوء عن كيف سنتصرف. نحن لا يمكننا أن نحتمل الوضع على ما هو عليه. الوضع حاليًا غير محتمل بالمرة ولن نحتمل استمراره لأية فترة زمنية مستقبلية. تخيل أن يطاردك في كل ليلة شبح ويجعلك تهرب من بيتك بدون مداس في قدميك. لابد أن نفعل أي شيء. أنا أقول لنعقد جلسة استدعاء موتى أخرى."

ورد محمود معترضًا: "أنت رأيت بنفسك كم تتعب فريدة في تلك الجلسات."

وأجبته أنا متوسلاً: "جلسة واحدة أخرى لن تضر كثيرًا. ليلة الجمعة القادمة بعد ثلاثة أيام. على الأقل، اعرض الأمر على فريدة وتعرف على رأيها في إمكانية عقد مثل تلك الجلسة."

الفصل السابع: فريدة

محمود يحكي

للأسف بعدما فكرت في الأمر لفترة وجدت أنه من الضروري أن أعرض على فريدة عقد جلسة استدعاء موتى جديدة.

جلست وحكيت لها عن كل شيء وعن دخولي أنا ويوسف إلى شقة المرحوم ساهر القصاص وعن الشبح الذي قد يكون يوسف قد رأه في الشقة ليلتها وعن زيارة الشبح لهدير وعن زيارته لي وعن محاولة هدير الانتحار، وإن لم تكن تريد قتل نفسها فعلاً. أنا كنت اعرف جيدًا أنه للأسف فإن فريدة من النوع الذي يضحي بنفسه كثيرًا من أجل الأخرين ولم أكن أريد أن تضحي من أجلي وكنت أعرف كم يتعبها حضور جلسات استدعاء الموتى تلك ولكني مع كل ذلك كنت أعرف أنه لم تكن بيدي حيلة فقد كان يجب حل مشكلة ذلك الشبح بأي وسيلة كانت حيث أن وجوده أصبح يهدد حياتنا أنا ويوسف وهدير. وكما توقعت، أبدت فريدة تعاطفها الشديد معي بسبب معاناتي من ذلك الشبح ومعاناة هدير منه ووافقت فورًا على أن تكون الوسيط في جلسة جديدة لاستدعاء الموتى.

أنا كنت أحب فريدة بشغف منذ زمن بعيد وكنت أستمتع كثيرًا بالوجود معها، ولكن مؤخرًا لم يكن حظي جيدًا. منذ تخرجت من كلية الهندسة وتجاربي في البحث عن عمل والشركات التي عملت بها لم تكن تجارب جيدة وواجهت الكثير من العقبات حتى أنني كدت أن أدخل إلى السجن بسبب التجاوزات التي قام بها أحد المقاولين واحتياله علي حيث جعلني أوقع عن أنني المهندس المسئول عن الموقع بينما كنت أنا حديث التخرج من الكلية ولا خبرة لي على الإطلاق في الإشراف على مواقع العمل وبالتالي لم أفطن للورطة التي كان يدفعني نحوها وهو يتظاهر بترقيتي، وفي النهاية والحمد لله تم اثبات براءتي ولكن هذا الأمر كلفني سنوات من حياتي لم أكن أستطيع أن أعمل مهندسًا خلالها.

في نفس الوقت، كانت فريدة قد التحقت بالعمل كمحاسبة في شركة ووفقت توفيقًا كبيرًا حيث أنه ما إن أدرك صاحب الشركة مدى أمانتها الشديدة وتفانيها في عملها وطريقتها اللبقة في الحديث هذا طبعًا بالإضافة إلى جمالها وأناقتها حتى بدأ يجعلها تلتحق بدورات دراسية لتحسين مهاراتها كمحاسبة ثم يرقيها ويُسند إليها المزيد من المسئوليات داخل شركته وخلال فترة قصيرة جدًا أصبحت فريدة إحدى المديرات المرموقات في شركة كبيرة، وطبعًا كانت فريدة من النوع الذي يلفت النظر بسبب جمالها.

حاولت فريدة أن تجعلني ألتحق ببعض الأعمال المكتبية الصغيرة في الشركة التي تعمل بها كناسخ مستندات وكاتب في القسم القانوني، وعندما التحقت بالعمل سمعت اشاعات عن أن أحد عملاء الشركة وهو شاب وسيم ذا أخلاق ممتازة بشهادة الجميع كان مهتمًا بها. ذلك الشاب كان كذلك إبنًا لعضو نافذ من أعضاء البرلمان وعندما نظرت لكل تلك المعطيات وقارنت فرص فريدة في السعادة مع شابٍ كهذا بفرصها في السعادة معي وأنا في الحالة المالية والمجتمعية التي كنت فيها، قررت أن أنسحب من حياتها وبالفعل تركت العمل في القسم القانوني للشركة التي تعمل بها فريدة، حيث أنني لم أعد احتمل كثرة تردد ذلك الشاب الوسيم على مكتبها كل يوم.

وجدت أعمالاً صغيرة بالقطعة في مكتب هندسي حيث كنت أقوم بعمليات التصميم المعماري للوحدات الصغيرة التي يتم تصميمها بشكل خاص وكنت أعمل ليلاً في تصميم بعض أغلفة الكتب وأعمال الدعاية لصالح مطبعة وكنت أتقاضى مبلغًا زهيدًا عن كل غلاف أصممه لكتاب أو جزء من أجر المطبعة عن أعمال الدعاية. كانت تلك المبالغ التي أحصل عليها من عملي في تلك الفترة كافية لتغطية مصاريفي الشخصية ولكنها بالطبع لم تكن كافية لكي أتقدم لفريدة وأطلب الزواج منها. كان دخل فريدة، طبقًا لحساباتي الشخصية لذلك، يتجاوز ثلاثة أضعاف دخلي ولم يكن ذلك بالطبع

يصلح كأساس للزواج. وعلى الرغم من أنني كنت أحب كثيرًا الجلوس مع فريدة وعلى الرغم من كثرة ترددها على بيتنا حيث أنها كانت تحب أمي كثيرًا إلا أنني كنت أجلس في غرفتي ولا أخرج لمجالستها عندما تأتي إلى بيتنا. قررت أن مستقبلها سيكون أفضل كثيرًا لو تزوجت ذلك الشاب الغني وقررت أن أضحي من أجلها كما تضحي هي من أجل الجميع، ولكني اضطررت في ذلك الوقت لزيارتها وأن أطلب منها أن تكون الوسيط في جلسة استدعاء موتى أخرى.

في اليوم الموعود لجلسة استدعاء الموتى تلك، قمت بإحضار بعض المأكولات والمشروبات للضيافة واستدعيت أم علي التي كانت تقوم بتنظيف بيتنا في وجود أمي. طبعًا كان البيت قد اتسخ كثيرًا أثناء غياب أمي عن البيت ولم أكن أنا أحب أعمال التنظيف ولهذا كنت أقوم بها على نطاق ضيق يكفيني ولكن طبعًا كان لابد من تنظيف البيت بشكل جيد لأنني كنت سأقيم تلك الجلسة في بيتنا، ولهذا طلبت من أم علي أن تحضر إلى بيتنا للقيام بتنظيف البيت وطبعًا لم يكن يمكن أن أبقى مع أم علي طوال النهار وحدنا ولهذا طلبت من هدير وإنجي إبنتي خالتاي أن تأتيا للإشراف على أم علي والتأكد من تنظيفها للبيت بشكل جيد والقيام بجميع الأعمال المناسبة لعقد الجلسة في بيتنا.

ذهبت إلى بعض شأني في النهار ولما عدت إلى البيت، وجدت أن فريدة قد انضمت لهدير وإنجي وأن الثلاثة قد اتخذن لأنفسهن مكانًا في المطبخ مع أم علي. جلست أتحدث معهن لفترة أثناء تنظيف أم علي للمطبخ ثم انتقلت معهن للجلوس في الصالة حيث كن تساعدن أم علي في رص الطعام على الطاولة الصغيرة الملاصقة للجدار في غرفة السفرة. كانت طاولة السفرة لازالت في غرفة السفرة وكنت أنتظر يوسف ليساعدني في حمل الآثاث كي أقوم بعمل نفس الديكور الذي نظمته أمي في جلسة استدعاء الموتى الأولى.

لم يكن مصطفى قد حضر بعد عندما عدت إلى بيتنا. طبعًا أنا شخصيًا لم أكن أحبذ حضور مصطفى لجلسة استدعاء الموتى في تلك الليلة لأن أمي لم تكن موجودة، وبالتالي لم يكن هناك من يستطيع ضبط سلوك مصطفى. طبعًا أنا تذكرت تعليقات مصطفى السخيفة على فريدة أثناء جلسة استدعاء الموتى الأولى، وعلى الرغم من أن فريدة لم تسمعها إلا أنني كنت أتحسب للمزيد من تعليقاته السخيفة وفريدة في حالة وعي، ومع غياب أمي لم أكن أريد أن أشركه في الجلسة. ولكن هدير اعترضت وأصرت على أن نبلغه ونترك له خيار الحضور إن أراد، وطبعًا مصطفى كان رجل أعمال من النوع المشغول وكان من المحتمل جدًا أن يريحنا من نفسه بنفسه وألا يرغب في الحضور.

شددت هدير على أن مصطفى من النوع صغير العقل الذي يشعر بالإهانة لأضعف الأسباب رغم أن حديثه للناس عادة ما يفتقر إلى الكياسة، وبالتالي فقد يغضب ويشعر بالاستياء إذا عرف أننا قد عقدنا جلسة أخرى وتجاهلناه. قالت هدير أنها كثيرًا ما تخرج عن طريقها للحديث مع مصطفى وإرضاءه لأن علاقتنا بمصطفى أصبحت تساوي علاقتنا بإنجي إبنة خالتنا حيث أنه بصفته زوجها طبعًا سيكون جزءًا هامًا من حياتها، وذكرتني هدير بالقول المعروف أنه لكي تسقي الورد فقد تضطر إلى أن تروي نباتات أخرى طفيلية غير مرغوبة بجانبه.

وأبديت أنا امتعاضي: "ومن سيخبره أننا سنعقد جلسة استدعاء موتى أخرى. إنجي نفسها قد لا ترغب في الحضور ومن الأفضل ألا نخبرها. لقد تعبت جدًا في الجلسة الأولى ومن الأصوب تجنيبها جلسة أخرى قد تمثل خطرًا على أعصابها إن لم يكن حياتها نفسها."

وردت هدير: "أنا لا زلت لم أفهم تصرف إنجي في الجلسة الأولى. إنجي من النوع الصلب هاديء الأعصاب، وهي لا تتوتر لهذه

الدرجة أبدًا. أنا كنت دائمًا أنظر لإنجي إبنة خالتي، وأنا أعرفها جيدًا فقد تقاربنا معًا لفترات طويلة خلال حياتنا، على أنها شديدة الصلابة ولا شيء يخيفها أو يقلقها عادة، ولم أتخيل مدى هشاشتها إلا عندما سمعتها تتقيأ كلما تحدثت فريدة عن موقف ما أثناء دورها كوسيط."

وقلت لهدير: "الأفضل ألا نخبر لا إنجي ولا مصطفى."

وردت هدير: "من الضروري إخباره. لو عرف بالصدفة بعد ذلك أننا أقمنا جلسة استدعاء موتى بدون إخباره، فسوف يظهر استيائه وقد يقاطعنا ويجبر إنجي على عدم التواصل معنا. بالنسبة لسخافاته، إطمئن. أنا سأعرف كيف أضبط تعليقاته. سأنبهه قبل الجلسة إلى أن فريدة هي جارتكم وأنها متطوعة لكي تقوم بدور الوسيط ولا تعمل بالأجر كما كان يظن هو في الجلسة الأولى، وأنها يجب أن تُشكر على ما تفعله لا أن يتم التنمر عليها وسأنبهه إلى أنه يجب أن يراعي مشاعرها ومن الأفضل ألا يصدر تعليقات مسيئة بصوت عالٍ في أي جزء من الجلسة."

طبعًا كانت تلك المحادثة التي أوردتها أعلاه هي محادثة سابقة على إجراءات الإعداد الفعلي لجلسة استدعاء الموتى بعد أن حصلت على موافقة فريدة على أن تصبح الوسيط. طبعًا أنا كنت أعرف أن هدير قادرة تمامًا على ضبط سلوك أي إنسان تقرر ضبط سلوكه، وفي النهاية وبعد محادثتنا تلك، سمحت لهدير بإخبار مصطفى وقال مصطفى وقتها أنه لن يخبر إنجي لأن إنجي تعبت كثيرًا في الجلسة الأولى ولكنه طبعًا أخبرها وطبعًا جاءت إنجي وهدير كلتاهما إلى بيتنا قبل مجيء مصطفى.

أتت إنجي في ذلك اليوم في كامل زينتها وكانت منتعشة ومبتسمة بخلاف الجلسة الأولى، وكذلك كانت هدير في كامل زينتها حيث غيرت ملابسها بعد أن قضت اليوم في الإشراف على أم علي أثناء تنظيف الشقة، ووضعت هدير ماكياج كامل كعادتها وبدت مبتسمة

ومنتعشة وفي قمة أناقتها على الرغم من أنني كنت واثقًا أنها حاولت منذ عدة أيام إلقاء نفسها من النافذة في بيتها. لم تكن أي من ابنتي خالتاي من النوع الهش أو الضعيف وكانت تلك إحدى الصفات المميزة لعائلة أمي والتي بقيت في الإسكندرية طوال تلك الفترة.

آتاني يوسف بعد صلاة المغرب وكان هو كذلك منتعشًا يلبس ملابس كاجيوال أنيقة.

كانت النساء قد جلسن معًا في إحدى الغرف الداخلية وعندما دق يوسف الباب فتحت له الباب ووقف مبتسمًا ينظر للمكان حوله ثم سأل: "أين هدير؟"

وأجبته: "في الداخل ومعها فريدة وإنجي."

وسألني وكأنه يشعر بالأسف وهو يدير بصره في المكان: "ألا زالت طنط سامية في الإسكندرية. متى تحضر؟"

وأجبته: "بعد حوالي أسبوع، وهذا طبعًا ما لم تقرر أن تمد إقامتها بالإسكندرية. وما هذا الذي تحمله في يدك؟"

كان يوسف يمسك شيئًا طويلاً مغلفًا بغلاف ورقي، ودفعه إلي وقال: "افتحه."

نزعت الغلاف الورقي لأجد عصا سوداء طويلة، وشممت رائحة خفيفة جعلتني أقرب العصا من أنفي. كانت تنبعث منها رائحة عطرية جميلة تشبه رائحة عشب ما لم أتذكر ما هو في تلك اللحظة.

وابتسمت ليوسف وأنا لازلت أتشمم العصا وسألته: "ما هذه الرائحة الجميلة! ما هذا؟"

ورد يوسف مختالاً: "كما ترى عصا يستخدمونها في المشي من أجل الأناقة والوجاهة الاجتماعية."

في تلك الليلة كانت هناك حالة من السعادة والحبور والنشاط تسري بيننا جميعًا، لا أدري لماذا. وكان يوسف يكاد يتقافز في مكانه من فرط نشاطه. ما شاء الله لا قوة إلا بالله.

وسألته معاكسًا إياه: "وهل تمشي بعصا في هذه الأيام؟"

وأجابني: "كلا طبعًا. هذه ليست ملكي."

وسألته: "ملك من إذن؟"

وأجابني يوسف بزهو لا مبرر له: "إنها عصا المرحوم ساهر القصاص."

وخفضت صوتي وأنا أسأله: "ومن أين أتيت بهذه العصا، وكيف آتيت بها؟"

ورد علي يوسف: "لقد فكرت أن عندنا في البيت شبح لا يتردد مطلقًا في زيارتنا كلما أراد أن يلقي علينا تحية المساء ليلاً وهو يفضل أن يلقيها علينا بشكل ما ونحن نيام، ولهذا قررت اليوم أن أدخل إلى شقة ساهر القصاص وأتعرف إلى بقية الأشباح الموجودة ولو على سبيل الجيرة فقط. دخلت الشقة وأخذت أتفقدها وفتحت دولاب قريب من باب الشقة ووجدت هذه العصا، وفكرت في أن نفعل مثل أفلام السينما ونحضر أثرًا ما من آثار المرحوم بما أننا لا نستطيع أن نحضره هو بشخصه، ولهذا أخذت هذه العصا من شقة ساهر القصاص لأضعها أمام فريدة أثناء الجلسة لعل تلك العصا توحي لفريدة بشيء، ولما كان من الممكن أن يكون شخصًا ما قد رأى ساهر، رحمه الله، وهو يحمل تلك العصا فقد غلفتها بورق أبيض حتى أخفي مظهرها."

وهالني ما قاله يوسف ببساطة. إذن هو دخل الشقة للمرة الثانية، بل قل للمرة الثالثة بما أنه لابد أنه قد دخل الشقة في صبيحة الليلة التي دخلنا فيها أنا وهو إلى الشقة لإعادة كل شيء إلا ما كان عليه وليخفي أثر أنني وهو قد تركنا الشقة، وكأن شقة ساهر القصاص أصبحت بلا حرمة والمفروض أنها مكان ليس مملوكًا لي ولا ليوسف وموت صاحبها لا يبرر لنا دخولها كلما أردنا، كما لم يعجبني حقيقة أنه أخذ شيئًا يخص ساهر القصاص من منزله وكأن ممتلكات ساهر القصاص ومتعلقاته التي من المفروض أنها ملك الآن لزوجته وولديه وينبغي أن تحُفظ لهم قد أصبحت مشاعًا يحق لكل من أراد أن يأخذها لنفسه وأن يستعملها فيما يشاء.

وصحت بيوسف لائمًا وأنا أستنكر استهانته بالأمر: "هل دخلت شقة رجل ميت وسرقت ممتلكاته."

وصاح بي يوسف مستنكرًا: "توصيفك للأمر خطأ كله. المرحوم لم يعد يحتاج مثل تلك العصا. الله يرحمه قد مات، ثم إنني لم أخذها كي أبيعها وآكل ثمنها أو أستعملها لنفسي. أنا أستعملها في هدف نبيل حيث أننا نبحث عن قاتل ساهر القصاص، ثم إنني بالتأكيد سأعيدها إلى المكان الذي أخذتها منه بعدما لا نكون محتاجين لها."

وصحت بيوسف وأنا أرى استهتاره بالأمر: "وماذا تفعل لو قاموا بتأجير الشقة أو بيعها؟"

وهز يوسف كتفيه باستهانة وقال: "وماذا يمكنني وقتها أن أفعل؟ سأعطيها لجمعية خيرية أو لشخص فقير يحتاج إلى عكاز وأهب ثواب ذلك للمرحوم. أنت دائمًا تقيس كل شيء بالشعرة. بصراحة، أنت متعب يا محمود."

وسألته: "وكيف دخلت إلى الشقة؟"

وأجاب ببساطة: "بنفس المفتاح الذي فتحنا به أنا وأنت الشقة في المرة السابقة حين دخلنا معًا إلى الشقة."

كنت أعرف أنني قد دخلت معه قبل ذلك إلى الشقة ولكن ذلك كان مختلفًا. كان لدي أنا وهو فضول غير معقول يجذبنا لدخول الشقة في تلك الليلة ولم ندخلها لعلنا نجد شيئًا ما كما فعل يوسف في هذه المرة.

وصحت به وأنا لا أصدق ما يقوله: "ماذا!! هل احتفظت بالمفتاح؟"

وصاح بي يوسف وكان من الواضح أنه لا يتفق معي في وجهة نظري: "ولم لا!! أنا لم أدخل لأسرق الشقة. دخلت من أجل التحقيق في جريمة القتل ومعرفة القاتل، ثم فكر معي في الموقف بلا تعنت. الشقة خالية من السكان. حتى الآن لم يجدوا لها مستأجرًا. الرجل توفاه الله، وزوجته على حد علمي، طبقًا لحديث سلامة البواب، ذهبت تعيش بشكل نهائي ودائم في مدينة الاسكندرية عند أهلها. البواب يحاول أن يؤجر الشقة مفروشة ولديه مفتاح لها، وما لم تكن هناك مصادفة غريبة، أشك في أن يحتاج المستأجرون للشقة إلى عصا المشي هذه. أهل المتوفي تركوا هذه العصا بالشقة وسيؤجرون الشقة والمستأجرون الجدد في الأغلب الأعم لن يحتاجوا إليها، وهي في النهاية مجرد عصا يا محمود. لا تكن هكذا متصلبًا. يا ساتر على تعنتك يا أخي. لو تم تأجير الشقة سأرمي المفتاح بمنتهى البساطة. لو تركت المفتاح في المشاية أمام الشقة فقد يعثر عليه شخص غير أمين ويسرق الشقة. أنا أسدي إليهم معروفًا على فكرة، ثم تذكر أنني وأنت وهدير قد قررنا أن نحقق في وفاة ساهر القصاص وأن نفعل ذلك بسرعة قبل أن يؤجروا الشقة أي أننا قد اتفقنا نحن الثلاثة على دخول الشقة وإلا فكيف سنحقق في الوفاة؟"

ورددت عليه: "بعدما نستعمل عصا المشي هذه في هذه الليلة يجب أن تعيدها غدًا صباحًا إلى مكانها ورأيي أنك يجب أن تجد وسيلة تسلم بها مفتاح الشقة للبواب أو شيء كهذا."

ورد علي يوسف وهو يمزح كعادته: "نعم! لم يروهم وهم يسرقون ورأوهم وعرفوا أنهم سرقوا عندما أعادوا المفتاح. أنت عبقري كالعادة يا محمود. في الغد إن لم نكن محتاجين للعصا سأعيدها إلى مكانها وأرمي المفتاح."

وصحت به: "أنت حر. هيا لتساعدني في نقل الآثاث استعدادًا لجلسة استدعاء الأموات."

وصاح بي يوسف: "ماذا! هل نحن من سننقل الآثاث."

وأجبته: "كلا، بل سنستدعي النساء ونجعلهن هن تحملن الآثاث بينما نحن نراقبهن وهن تفعلن ذلك. هيا لتساعدني."

وبدأت أنا ويوسف عند غرفة السفرة حيث بدأنا بحمل طاولة السفرة الكبيرة المستديرة من الصالة المجاورة لباب الشقة حتى الغرفة الأخيرة من منطقة الاستقبال بشقتنا والتي يمكن الوصول إليها فقط عن طريق غرفة المعيشة.

وسألت يوسف وأنا أريد أن أطمئن على أنه لم يترك أثرًا في شقة ساهر القصاص: "وماذا فعلت في الشقة غير أخذ هذه العصا؟"

ورد علي يوسف وهو يحمل معي الطاولة الكبيرة: "لقد جئت وأنا أنوي أن أحكي لك كل شيء لأرى رد فعلك، ولكن بما أنك متعنت هكذا فلن أحكي لك أي شيء."

وصمتت أنا للحظة حتى انتهينا من وضع الطاولة في مكانها في الغرفة الثالثة من منطقة الاستقبال ثم قلت ليوسف: بل احك لي كل شيء وأنا لن أعلق على ما ستقوله."

يوسف يحكي

حكيت لمحمود كل ما فعلته في ذلك اليوم. طبعًا أنا دخلت الشقة وأنا متوجس خيفة لأنها طبعًا والمتوقع أنها منبع الأشباح وبمجرد أن

رأيت الستائر السميكة التي تغطي النوافذ في غرفة الزوجة وهي الغرفة المقابلة في البيت لغرفة الزوج ولكن في الاتجاه الأخر، حيث كانت غرفة الزوج في أقصى يمين البيت وكانت غرفة الزوجة في أقصى اليسار. أقول وبمجرد أن رأيت الستائر السميكة التي تغطي النوافذ في غرفة الزوج حتى قمت بتنحية كل تلك الستائر للجانب للسماح لضوء الشمس بدخول المكان حيث أنه كما فكرت فإن ضوء الشمس القوي مضاد طبيعي للأشباح، فأنا لم أسمع قط عن شبح يظهر نهارًا في ضوء الشمس.

كانت هناك فرضية ما فكرت فيها بالنسبة لوفاة ساهر القصاص وقررت أن أذهب إلى بيت ساهر لاختبرها. بعدما أدخلت الشمس إلى غرفة زوجة ساهر القصاص رحمه الله نظرت إلى الغرفة. كان غرفة واسعة للغاية مليئة بالزخارف والإطارات الأنيقة التي تحوي صورًا مختلفة في مختلف أنحاء الغرفة وقد اختير آثاث تلك الغرفة من أجل جماله وأناقته وليس من أجل مدى نفعه كما كان الحال في غرفة زوجها.

كانت الجدران كلها مطلية باللون الأصفر الفاتح للغاية وكان الآثاث كله باللون البني وإن كانت السجادة، ويا للغرابة، لونها أزرق فاتح. المعلم الأساسي للغرفة كان سريرًا كبيرًا وعريضًا king size يحتل المنطقة المركزية من الغرفة وكان أمامه شاشة كبيرة للغاية غالية الثمن ومعدات عرض سينمائية مشابهة لتلك التي كانت موجودة في غرفة زوجها. على جانبي السرير كان هناك ٢ كومود ودولاب كبير بعرض حائط الغرفة المجاور للباب وكان لون الدولاب بنيًا طبعًا، وهذا كله بخلاف طاولة للزينة أمامها كرسي قصير بلا ظهر منضد بالقطيفة البنية وكانت تواجه الكرسي مرآة كبيرة تسمح برؤية الإنسان بكامله هي جزء من مجموعة طاولة الزينة، وعند طاولة الزينة كانت توجد بعض أدوات الزينة المستنفذة التي تركتها صاحبتها وراءها دون ندم عليها كما أظن.

طبعًاً كان ترتيب تلك الغرفة يدلك على أن هذه المرأة كانت تعيش طوال حياتها خارج غرفتها، فقد كانت الغرفة مخصصة للنوم فقط، وربما شاهدت التلفاز قليلاً قبل النوم داخل غرفتها وربما قضت بعض الوقت في غرفتها للتزين وبدلت ملابسها قبل الخروج أو مقابلة الناس، بينما رتب زوجها ساهر القصاص حياته كلها لتكون داخل غرفته فقط.

من مجرد ترتيب الغرفتين تعرف أن العلاقة بين الزوجين لم تكن على ما يرام، وأنه كما كانت هي شخصية منفتحة تمامًا كان هو شبِّح منطوٍ إلى حد كبير على نفسه. لا أظن أن الحفلات المستمرة تلك كانت فكرته هو الرجل الذي رتب حياته بحيث يقضي معظمها داخل غرفته.

المهم .. لم أجد شيئًا أصعد عليه لأصل إلى السقف في غرفة الزوجة ولم أرد طبعًا أن أقوم بالتجول والبحث في كل غرف الشقة فتجربتي السابقة داخل تلك الشقة لم تكن سعيدة وكون الشقة كانت مهجورة لمدة عشرة أيام أو أكثر وقتها قد يكون قد سمح لها بأن تُسكن بشكل دائم وقتها بمخلوقات ربما كانت بشرية في وقت ما ولكنها وقت دخولي الثالث للشقة لم تعد كذلك وكان لدى تلك المخلوقات، كما يبدو، الاستعداد والميول لتظهر في أوقات غير مناسبة مثل الوقت الذي يكون فيه المرء واقفًا على كرسي فوق مكتب حين يكون المرء قريبًا من السقف في ظلام شبه دامس.

ولهذا حولت اتجاه السرير قليلاً ليبتعد قليلاً عن المكان تحت مجموعة الثريات التي كانت مخصصة للإضاءة في منتصف السقف، ثم جررت مكتب الزوج من غرفته بعدما فتحت الستائر في غرفة الزوج كذلك لأجعل الضوء يغمرها. أقول جررت المكتب حتى غرفة الزوجة ثم أحضرت كرسيًا من غرفة الزوج وضعته فوق المكتب الذي أصبح في غرفة الزوجة وصعدت على الكرسي

وأخرجت من جيب بنطالي الخلفي سكينًا صغيرة وشرعت أتفحص سطح السقف بين قواعد الثريات بالسكين.

كان واضحًا حتى بالنظر أن السقف كان صلبًا ذا لون متجانس تمامًا فيما عدا بقعة صغيرة منه كانت تبدو هشة ومن مادة مختلفة، وما إن لمستها بالسكين حتى تحولت الطبقة التي تغطيها إلى أجزاءٍ صغيرة ومسحوق تناثرت وسقطت على سطح المكتب في الأسفل وكشفت عن حفرة صغيرة من الواضح أنه قد صنعها شيء صغير كرصاصة أطلقت على السقف مثلاً. أدخلت السكين في الحفرة ودفعته إلى الداخل. كان مساره حرًا لا يعيقه شيء ولكن السكين دخلت بكاملها ولم يكن هناك شيء بعدها. إما أن أحدًا قام باستخراج الرصاصة بعد ذلك أو أن الرصاصة قد اخترقت داخل السقف لمسافات بعيدة لا تصل إليها السكين، ولم تكن لدي وسائل كي أنظر داخل السقف لمسافة بعيدة لكي أرى ولهذا اكتفيت بذلك القدر اليسير من استكشاف السقف.

وانتهيت من سرد قصتي على محمود وقد أنهينا إعداد الغرفة الثالثة الملحقة بغرفة المعيشة في بيت محمود لعقد جلسة استدعاء الموتى التي كنا ننوي عقدها في تلك الليلة في بيت محمود كما كانت بالضبط في الجلسة الأولى وقد أوصينا الجميع بإختيار الأشياء التي سيضعها كل منا على الطاولات الصغيرة في آخر الغرفة بعناية، وطبعًا أنا لم أحضر قلم حبر مثل ذلك الذي انكسر. أحضرت مسطرة بلاستيكية رفيعة وصغيرة.

وقلت لمحمود وأنا أنهي سردي: "دفعت بالسكين داخل الحفرة التي صنعتها الرصاصة وانتهى طول السكين إلى فراغ. كانت الحفرة ممتدة بما يتجاوز طول السكين ولكني لم أرد أن أبحث عن شيء أطول من السكين أدفعه داخل تلك الحفرة في السقف فقد أكتفيت أنني عرفت بمكان الحفرة التي صنعتها الرصاصة وعرفت كذلك أن ساهر القصاص رحمه الله قد توفاه الله في غرفة زوجته. هل يمكن

أن ينتحر المرء في غرفة زوجته؟ وأين كانت زوجته حين كان هو في غرفتها؟"

وسألني محمود: "وهل كان لون الصلصال المكون من الدقيق اكثر بياضًا من لون السقف أم ماذا؟"

وأجبته: "لم يكن السقف عاريًا تقريبًا سوى من بعض الكرانيش مثلما كان الحال في غرفة الزوج. كانت هناك ثريا كبيرة بها ما يقرب من دستة مصابيح مثبتة عند السقف وقد دخلت الرصاصة عند قاعدتها. الثريا طبعًا جعلت السقف غير مرئي بوضوح من الأرض، وكانوا قد قاموا بدهان السقف باللون الأبيض عندما سكنوا بتلك الشقة منذ سنتين أو أقول لك جددوا دهان السقف باللون الأبيض حيث أن معظم شقق العمارة التي نقيم فيها أسقفها الداخلية بيضاء وأحسب إما أن اللون الأبيض الفاتح جدًا للسقف قد استمر لم يلوثه شيء لمدة سنتين أو أنهم لسبب ما قد قاموا بإعادة دهان السقف مرة ثانية في غرفة الزوجة باللون الأبيض الفاتح خلال السنتين. لم تكن كرة الصلصال الأبيض بلون أفتح كثيرًا من اللون الأبيض لدهان السقف."

وسألني: "ألم تلحظ من الأرض عندما نظرت إلى السقف في غرفة الزوجة أن لون الصلصال أكثر بياضًا من لون السقف؟"

وأجبته: "لو لم أكن أنا أبحث عن شيء دخل إلى السقف لأنني قد حضرت جلسة استدعاء الموتى الأولى هنا في بيتكم لما لاحظت أي فارق، وفي جميع الأحوال كان اختلاف اللون طفيفًا جدًا إلى درجة تجعله غير ملحوظ."

وواجهني الأستاذ متشكك مرة أخرى حيث سألني محمود بحذره الزائد المعروف عنه: "وطبعًا بعدما قمت بكل هذا الذي حكيته لي قمت بإعادة كل شيء إلى ما كان عليه قبل دخولك إلى الشقة."

ورددت عليه اطمأنه: "طبعًا. أنا حتى صعدت إلى شقتي في الطابق الأعلى وقمت بطبخ كمية من الدقيق تكفي لتغطية الثقب الذي أحدثته في السقف وبعدما اكتمل الصلصال وضعت عليه بعض الدقيق من الخارج لأجعل لونه أفتح ثم نزلت إلى شقة ساهر القصاص وحشوت الصلصال الذي صنعته داخل ثقب السقف، وطبعًا أعدت كل شيء إلى مكانه."

وسألني محمود: "هل أنت متأكد؟"

وأجبته: "بالطبع، ثم أنا أريدك أن تطمئن. لو أن البواب دخل الشقة بالمفتاح الذي أعطته له زوجة المرحوم ورأى أي فوضى قد أكون نسيتها خلفي فلن يبلغ الشرطة. سيفترض أن الأمر كان هكذا حين دخل الشقة لأول مرة بعدما أعطته مدام ملك المفتاح وأنه فقط لم يلحظ الأمر وسيفترض طبعًا أن الشرطة هي من أحدثت هذه الفوضى أثناء تحقيقاتها."

وسألني محمود: "أنت تقول أنك قد أعدت كل شيء إلى مكانه!!"

وأجبته: "طبعًا. أنا أقول ما قلت لأنني فقط أفترض أنني نسيت شيئًا ولاحظه البواب."

وسألني محمود: "إذن، فأنت مطمئن تمامًا."

وأجبته مؤكدًا: "طبعًا. أنا متأكد مائة بالمائة."

وصاح محمود: "إن كلمة مائة بالمائة هذه هي ما يقلقني حين يقولها أي شخص، فعادة ما تعقبها كارثة. لا شيء في هذه الدنيا كلها يمكن أن يوصف بأنه كذا بنسبة مائة بالمائة. ماذا أخذت من الشقة بخلاف العصا؟"

وهالني سؤال محمود، وماذا يمكن أن أخذ أن من تلك الشقة، ثم إن ما بالشقة ليس ملكًا لي وأنا أمين جدًا ولابد أن محمود يعرف ذلك، وصحت به مستنكرًا: "لاشيء طبعًا. ماذا تظنني؟ لص مثلاً. أنا فقط

أردت أن أحضر أثرًا ما لساهر القصاص، رحمه الله، يساعد فريدة أثناء جلسة استدعاء الموتى هذه. ربما تحدثت فريدة عن الشبح الذي يأتينا وعما يريده منا، وفي جميع الأحوال سأعيد العصا مكانها غدًا إن لم نكن سنحتاج إليها بعد ذلك. وماذا أفعل أنا بعصا؟ من يهمه أمر تلك العصا قد مات، رحمه الله، وحتى إن كانت الشرطة قد سجلت العصا أثناء تسجيلها لمحتويات الشقة، وعادت الشرطة لأي سبب للشقة، لا أظن أنهم سيستنتجون أن أحدًا دخل الشقة بعدهم. بالتأكيد سيستنتجون أن أرملة المرحوم قد أخذت تلك العصا معها حين دخلت لأخذ متعلقاتها الشخصية ومتعلقات أولادها أو أنها قد تصرفت في العصا."

ونظر لي محمود بقلق وقال: "هل هناك احتمال أن تعود الشرطة للشقة ثانية؟ أنا ظننت أن الحادثة قد قيُدت بصفتها انتحار."

وأجبته: "نعم. أنا فقط أتحدث عن افتراض أن تعود الشرطة للشقة مرة ثانية وتفتح التحقيق ثانية في وفاة الله يرحمه ساهر القصاص. لا أظن أن هذه العصا فريدة من نوعها. لابد أن مثيلاتها تباع في متاجر عديدة وإن كنت أنا شخصيًا غير خبير بموضوع عصيان المشي. بمعنى أنهم لو عثروا على العصا لدينا، فلن يستطيع أحدٌ أن يتهمنا بأننا دخلنا الشقة. ما هذا الذي أقوله؟ لقد بدأت تثير قلقي يا محمود. كف عن هذه الوسوسة والقلق بلا مبرر أرجوك."

وأجابني محمود: "هذه العصا ليست من الأنواع التي تباع بكثرة في المتاجر. تبدو لي عصا فريدة من نوعها، وأظن أن هذه العصا مصنوعة من خشب خاص، فأنا لم أر من قبل عصا لها رائحة زكية كهذه تنبعث من الخشب بشكل طبيعي. لابد أنها أحد الأشياء التي احتفظ بها ساهر القصاص من الأيام الغابرة، وأعني بذلك أيام كان ثريًا وكان بإمكانه شراء أفضل الأشياء."

وفي تلك اللحظة دخلت علينا هدير وإنجي وكانتا تبدوان في حالة نفسية ممتازة. سرني رؤية أن هدير تلبس ملابس أنيقة وهي تبدو

في حالة نفسية جيدة. كانت حالتها النفسية في البداية سيئة للغاية بعد محاولتها القفز من النافذة، ولكنها بعد ذلك وبعد أن عادت للذهاب إلى المدرسة والعودة لتنظيف البيت والطبخ وانشغالها الشديد بحياتها العملية وحياتنا المنزلية قد بدأت تعود لتفاءلها وضحكها ثانية. أنا لم أكن قابلتها منذ الصباح. خرجت هي من الصباح الباكر لكي تشرف على أم علي المرأة التي كان من المفروض أن تنظف شقة محمود وتركتني نائمًا وأنا استيقظت وذهبت إلى مكتبي وكان من الواضح أنها قد قامت بالاستحمام وتغيير ملابسها بعدما أنهت الإشراف على أم علي التي كانت تنظف الشقة. وقفت هدير لبرهة تفحص الديكور الغريب المشابه لذلك الذي ابتكرته خالتها سامية استعدادًا لجلسة استدعاء الموتى والتي قالت طنط سامية أنها رأته في فيديو ما على يوتيوب.

وابتسمت هدير وقالت لنا وهي تحدثنا: "هل حضرتم للجلسة بشكل جيد يا أولاد؟"

ورفعت يدي وكف يدي ناحيتها ويدي موضوعة على جانب صدغي وكأني أؤدي التحية العسكرية وقلت لها: "تمام يا أفندم. كل شيء جاهز يا أفندم."

وابتسمت المرأتان. من الذي قال أن الإنسان يمكنه أن يعتاد على أي شيء؟ كنا على أعتاب جلسة استدعاء الموتى الثانية ولكننا كنا نمرح ونضحك وقد غاب تمامًا عنا حالة التوتر العصبي التي لازمتنا منذ الجلسة الأولى. حقًا. يمكن للإنسان أن يعتاد على أي شيء.

في تلك اللحظة دق جرس الباب ودخل مصطفى وهو يحمل علب التورتات اللذيذة والحلوى الذي أحضره في جلسة استدعاء الموتى الأولى، وبمجرد سماع صوته جاءت فريدة من الداخل للسلام عليه.

وقفت في جانب الغرفة بجانب هدير بعد دقائق وأنا أرى إنجي توكز مصطفى بيدها في صدره حيث يبدو أنه قد قال شيئًا غير مناسب، وراعني رؤية مصطفى وإنجي ثانية. تذكرت كم كانت إنجي متوترة في المرة الأولى وأنني وهدير كنا قد قررنا ألا نخبرها بعقد جلسة استدعاء الموتى الثانية. وقلت لهدير هامسًا: "ما الذي أتى بإنجي هنا؟ ألم نتفق على أننا لن نأتي بها لهذه الجلسة. لقد تعبت كثيرًا في الجلسة الأولى وكانت مذعورة للغاية."

وردت علي هدير: "أنا لم أخبرها بموعد هذه الجلسة. مصطفى اتصل بها وأخبرها. أنا ومحمود اتفقنا على أن مصطفى قد يغضب ويقاطعنا إذا عرف أننا عقدنا جلسة استدعاء للموتى أخرى دون أن نخبره، ولهذا اتصلت أنا بمصطفى وأخبرته وقلت له ألا يخبر إنجي لأنها كانت تقوم بإفراغ ما في معدتها في الجلسة السابقة وكانت تبدو مرتعبة للغاية مما تسمع، ولكن يبدو أن مصطفى قد أخبر إنجي بعدما عرف بالأمر، وبعدما قال أنه لن يخبر إنجي لأنها قد تتعب في أثناء الجلسة وسوف يحضر وحده. في الواقع، كنت أنا ومحمود لدينا أمل في ألا يأتي وأن يعتذر بأنه مشغول. المهم. ما إن عرف مصطفى بالأمر وقال أنه لن يبلغ إنجي حتى اتصل بها وأبلغها."

ورددت على هدير: "نعم. كل أنثى تعرف كيف تسستم رجلها، أي تدخله في السيستم الخاص بها بحيث يفعل فقط ما يسعدها. في الجلسة الأولى كانا متخاصمين. إنظري إليهما الآن."

وفي تلك اللحظة كان مصطفى وإنجي يقفان متجاورين ويهمسان لبعضهما البعض. كان من الواضح أن هناك خلاف ما بينهما ولكن كان من الواضح كذلك أنهما يقومان بتسويته على طريقتهما وحدهما كما يفعل كل رجل وامرأة مرتبطين وبينهما مشاعر. هما في حالة خلاف ولكن كلاً منهما حريص على استمرار علاقته بالأخر وعلى عدم إدخال الأخرين في الخلافات بينهما.

وقالت هدير: "لا أظن أنها ستكرر ما فعلته في المرة الأولى، فهي تبدو في حالة معنوية ممتازة بخلاف المرة السابقة."

وسألتها: "نحن يأتينا شبح. هي لو أنها في حالة معنوية ممتازة، ما الذي يأت بها إلى جلسة استدعاء الموتى هذه ويعرضها لأن تسوء حالتها المعنوية. كان من الواجب أن تقترحي عليها أن تحافظ على حالتها المعنوية ولا تحضر الجلسة."

وأجابت هدير: "هي حرة. إنها بالغة وتختار لنفسها. بالتأكيد ما أحضرها هو الفضول الشديد لمعرفة ما سيحدث. لابد أنها فكرت في الإثارة التي ستشعر بها أثناء الجلسة ووجدتها فرصة لا يجب أن تضيعها."

الفصل الثامن: جلسة استدعاء الموتى الثانية

يوسف يحكي

مثل المرة السابقة كانت الوسيط فريدة جالسة بين إنجي وهدير وكانت أعصاب كل منا مشدودة كالوتر. دخل شيء ما وملأ الستارة المعلقة على ظهر الكرسيين الكبيرين وبدأت الأشياء تتطاير ولكنها في هذه المرة كانت أشياءًا آمنة وكان كل من يدخل إلى الغرفة يتأكد أولاً أن كل الأشياء الموضوعة على الطاولات الثلاث الصغيرة عند بداية الغرفة هي أشياء آمنة، حيث أننا عرفنا ما ستفعله هذه الأشياء عند بداية الجلسة. كانت كل الأشياء الموضوعة على الطاولات الثلاث الصغيرة هي أشياء بلاستيكية لا يمكن أن تحدث ضررًا عندما تصطدم بالجدار أو تهاجم الجالسين حول الطاولة كما فعل قلمي الحبر عندما هاجم مصطفى في الجلسة السابقة. عند بداية الجلسة طارت المسطرة الصغيرة البلاستيكية التي وضعتها أنا على إحدى الطاولات الصغيرة واصطدمت بالجدار وسقطت على الأرض. مصطفى وضع محفظة جلدية قديمة ليس بها شيء طارت واصطدمت بالجدار. إنجي وضعت منديلاً قماشيًا لم يتحرك من

مكانه. الوسيط فريدة وضعت زجاجة مياه بلاستيكية صغيرة أنهت شرب محتوياتها لتوها ولم تتحرك من مكانها، بينما وضع محمود طبقًا صغيرًا مصنوعًا من البلاستيك المرن أحضره من مطبخهم وعند بداية الجلسة طار الطبق البلاستيكي واصطدم بالجدار ثم سقط على الأرض.

بعدما أصبحت الوسيط في حالة غيبوبة، أخذت أنا العصا التي كنت قد وضعتها بجانب الكرسي الخاص بي على الأرض بحيث لا تراها فريدة عند بداية الجلسة، ثم وضعت العصا على الطاولة بحيث تكون في متناول يد الوسيط فريدة.

أمسكت فريدة وهي في حالة غيبوبة بالعصا وضربت بها الطاولة التي كنا نجلس حولها بقوة أفزعتنا جميعًا. لم أكن أظن أنها ستضرب سطح الطاولة بقوة هكذا.

وبدأت أنا في سؤالها: "هل تعرفين من من هو مالك هذه العصا؟"

وأجابت فريدة: "نعم. أعرف. العصا كانت تكتب."

وردد مصطفى قولها: "العصا كانت تكتب!!"

وأجابت: "نعم. كانت تكتب على الرمال وأتت المياه وقامت بمسح ما كتبته العصا."

وقالت هدير موضحة للجالسين وهي تسأل: "هل كانت العصا تكتب شيئًا ما على شط البحر ثم جاءت مياه البحر ومسحت ما كتبته العصا."

ولم تجب فريدة

وسألها محمود: "متى كان هذا الأمر؟"

وأجابت فريدة: "في الصيف الماضي."

وسألها مصطفى: "وماذا كتبت العصا؟"

وأجابت فريدة: "الساعة الثامنة."

وسألت هدير: "وأين حدث هذا كله؟"

وأجابت فريدة فورًا: "في منتجع سياحي اسمه الموجة السابعة."

وقالت هدير للوسيط: "صفي لنا المشهد."

وأجابت الوسيط: "كان هناك الكثير من الأولاد يلعبون والكثير من الضجة وكتبت العصا عبارة "الساعة الثامنة" على رمال البحر عند الشاطيء ثم جاءت المياه ومسحت الكتابة التي كتبتها العصا."

وسألتها أنا: "هل هناك رصاصة في السقف؟"

وأجابت الوسيط: "نعم. مكانها جيد. لا يمكن الوصول إليها في سقف الشقة. لن يستطيعوا استخراجها سوى بالحفر في أرضية الشقة في الطابق الأعلى."

وسألتها أنا: "المسدس الذي قتل المرحوم عثُر عليه بجانب الجثة وقد أطلق ذلك المسدس طلقة واحدة فقط. كيف يمكن أن تكون هناك رصاصة أخرى في السقف؟ هل هناك مسدس أخر؟"

بدأت فريدة تحرك العصا على الطاولة جيئة وذهابًا لمسافة قصيرة في كل اتجاه ولم تجب.

وسألها محمود بشكل مباشر: "من الذي قتل ساهر القصاص؟"

وأجابت فريدة بصوت غريب: "لن أجيب إجابة تعتبر دليلاً ضدي. أنا لا أعرف."

وسألها مصطفى: "فكري ثانية من من الممكن أن يكون قد قتل ساهر القصاص؟ هل هي زوجته؟"

استمرت فريدة في تحريك العصا على سطح الطاولة ولم تجب.

وسألها مصطفى: "هل قتل ساهر القصاص نفسه؟"

وتوقفت فريدة عن تحريك العصا ولكنها لم تجب.

وصاح محمود: "انتهى الأمر. لقد توقفت عن إجابة اسئلتنا. أنيروا الضوء الكهربي."

قامت هدير بسرعة واتجهت نحو مفتاح الإنارة وتمت إضاءة المكان.

ظلت الوسيط فريدة في حالة غيبوبة رغم إنارة النور الكهربي ورغم محاولات هدير القوية لإيقاظها بالتربيت عل خديها وهزها بقوة مع ذكر إسمها بشكل متكرر. وتدرج تربيت هدير على خدي فريدة من الخفة إلى الشدة، ثم أحضرت إنجي منشفة مبتلة وبدأت في بل وجه فريدة بالماء بلا جدوى.

وصاحت هدير وقد أيتها الحيل:" فريدة. هيا استيقظي يا فريدة."

وطبعًا محمود كان ملتاعًا وخائفًا على فريدة مما شاهده وصاح: "تبدو وكأنها لن تستيقظ. سأذهب لأحضر دكتور كريم جارنا."

وصحت به: "كلا. هكذا سنفتضح وسيعرف القاصي والداني أننا نعقد جلسات لاستدعاء الموتى وماذا لو تكلمت الوسيط في وجود الطبيب!!"

قمت أنا من مكاني وبدأت في إيقاظ فريدة بعنف شديد، فلو لم تتنبه من غيبوبتها بسرعة فسوف يقوم محمود باستدعاء الطبيب والله وحده يعرف ما يمكن أن يحدث، وصحت بفريدة: "فريدة. تنبهي يا فريدة."

وصاحت هدير بي وهي ترى عنفي في هز الفتاة وضربي لها على خديها: "كن رفيقًا بها. هل جننت؟ ماذا تفعل يا يوسف؟"

وجاء محمود من خلفي بقوة وبدأ في دفعي بعيدًا عن فريدة بينما كنت أنا أهز فريدة بعنف حتى أنها كانت ستسقط عن كرسيها وقد بدأت بالتشبث بالكرسي بقوة وأنا أهزها، وفجأة فتحت فريدة عينيها وقالت: "كف عن ذلك يا يوسف. لقد تنبهت."

وتوقفت أنا عن هز الفتاة ونظر لي محمود بلوم شديد وتحركت هدير تربت على كتف الفتاة وتواسيها وهي تنظر لي بدورها بلوم شديد.

وقال محمود بصوت خجول وهو ينظر لي بغضب: "أنا آسف جدًا يا فريدة أنني عرضتك لشيء كهذا. لن نعقد جلسات استدعاء موتى أخرى مهما حدث، وهذا وعد مني بذلك. أنا آسف جدًا."

وقالت فريدة بصوت هاديء بلا مشاعر وكأنها لازالت في غيبوبتها على الرغم من أن عينيها مفتوحتين: "لم يحدث شيء. أنا بخير وقد تنبهت أخيرًا والحمد لله على ذلك. أنا واعية بأنه مؤخرًا عند نهاية مثل تلك الجلسات أصبحت بشكل متزايد أجد صعوبة في التنبه من الغيبوبة التي أكون فيها بصفتي وسيط. وأنا أقدر موقف يوسف تمامًا. هو فقط أراد إيقاظي وقلق من أن أستمر في الغيبوبة. لم يحدث شيء."

بعد الجلسة اعتذرت فريدة عن البقاء في شقة محمود وذهبت إلى شقتها لتنام، وكانت إنجي تبدو في حالة غير جيدة تمامًا وإن كانت متماسكة تمامًا وليست كما كانت عند نهاية جلسة استدعاء الموتى الأولى، ولكنها طلبت من مصطفى أن يصحبها حتى نزل الفتيات المغتربات التي تقيم فيه، وبقيت أنا ومحمود وهدير في شقة محمود.

كان محمود ينظر لي شزرًا منذ أيقظت فريدة من غيبوبتها بذلك الأسلوب الخشن وفي النهاية قلت له: "أنا آسف يا محمود ولكني فكرت في أنك في حالة اضطرارك لاستدعاء الطبيب على ما يكتنفه

ذلك من مخاطر بانفضاح أمرنا، وفي حالة عدم قدرته هو على أن ينبه فريدة من غيبوبتها، فسوف يصل الأمر لنقلها للمستشفى وهناك بالتأكيد سيصبح سرنا وما فعلناه من دخول شقة ساهر القصاص رحمه الله سرًا مذاعًا ووقتها الله وحده يعرف ماذا يمكن أن يحدث لنا. ولهذا كله، أنا فكرت أن من حقي أن أحاول ايقاظ فريدة بقوة، فالبدائل كانت سيئة للغاية وكانت مخاوفي تكبر مع كل لحظة تستمر فريدة فيها في غيبوبتها. قلت لنفسي أنه لو أنني كنت خشنًا قليلاً فسوف أتمكن من تنبيهها من غيبوبتها ووقتها لن يحدث شيء."

وصاح محمود غاضبًا: "أنا ظننت أن ما بيننا أنا وأنت يجعلك تتعامل مع فريدة بشكل أفضل كثيرًا مما فعلت وأنت تعرف أن مشاعرها تهمني وأن سلامتها تهمني. لم يكن من حقك أن تضايقها هكذا."

وصاحت هدير: "يا محمود. على الرغم من أنني أختلف تمامًا مع يوسف فيما فعله، فإن ما فعله يكاد يكون الحل الوحيد. فكر في البدائل. بدا فجأة وكأننا غير قادرين على إيقاظ فريدة من غيبوبتها. استدعاء طبيب معناه أنه لو عرف الطبيب شيئًا فقد يرى أن من واجبه إبلاغ السلطات المختصة، وربما كان عليه استدعاء الشرطة. أما النقل للمستشفى فمعناه أن يعرف الكثير من الناس بموضوع استدعاء الموتى ذلك وعلاقته بساهر القصاص ودخولك أنت ومحمود لشقة المتوفي .. إلى آخر الأمر."

وسكت محمود غاضبًا وإن كان يبدو عليه وكأنه قد بدأ يقدر موقفي.

وقال محمود في النهاية: "إذا كانت تحقيقاتنا في هذا الأمر تعرضنا للحرج فلا داعي لها. لا داعي لأن نستمر في التحقيق في هذا الأمر. منذ بدأنا التحضير لجلسة استدعاء الموتى هذه ألاحظ أن

الشبح قد كف عنا ولم يعد يظهر لنا إطلاقًا وأنا رأيي أن نوقف جميع التحقيقات في هذا الأمر ونوقف علاقتنا به."

وردت هدير: "وأنا لدي نفس الرأي من البداية. لا داعي لأي تحقيقات. لقد انتهى هذا الأمر وتم إغلاق الشقة وذهبت زوجة المرحوم ساهر القصاص للعيش في الإسكندرية، وبصرف النظر عما يعتقده كل منا، فليس هناك أي شيء يدل على أن الزوجة قد قتلت زوجها ولا نملك أي دليل على أنه لم يقتل نفسه بنفسه. لقد انتهى الأمر تمامًا ولا داعي لأن نتدخل في هذا الأمر مرة أخرى."

وهززت رأسي بأنني موافق على ذلك.

ونقلت هدير الحديث من موضوع التحقيق في وفاة ساهر القصاص لموضوع أخر تمامًا حيث قالت: "محمود. الجميع قد لاحظوا الآن أنك معجب بفريدة، وحتى مصطفى قام بالتعليق على هذا الأمر في هذه الليلة."

وكان رد فعل محمود غريبًا، حيث قال غاضبًا: "مصطفى يتكلم علي. هذا شيء جميل جدًا."

وردت هدير: "لم يكن يتكلم عليك وكأنها غيبة مثلاً."

ورد محمود: "هو أصلاً مصطفى لا يتحدث عن الناس إلا غيبة. أولا أعرفه أنا؟ هو لا يتحدث عن الناس بشكل إيجابي أبدًا."

وقالت هدير: "حسنًا. دعك من مصطفى فهو غير مهم. أنا ألاحظ أن فريدة تميل إليك بشدة ويبدو عليها أنها تحبك. ماذا تظن مستقبل هذا الأمر؟"

وهز محمود كتفيه بمعنى أنه لا يبالي ورأيت هدير تنظر إلي نظرة معينة.

وقلت لها: "هل هذه النظرة معناها أنني يجب أن أترك المكان لتتحدثا على إنفراد مثلاً؟ أنا زوجك وصديقه وأحسب أنني بالنسبة لكما شخص مأمون بما يكفي كي تتحدثي أمامي بما تريدين."

وهزت هدير رأسها على مضض وقالت تحدث محمود: "حدثتني فريدة اليوم أنها تريدك أن تتقدم لها وتطلب يدها للزواج."

أحسب أن هذا الأمر قد أدهش محمود كما أدهشني تمامًا.

ونظرت إلى محمود في تعجب وبادلني هو بنظرات تعجب مماثلة.

وقالت هدير: "هي تقول أن العمر يمر وأنه من الأفضل أن تسرع بطلب يدها وتقول أن لديها شقة جيدة ويمكنك أن تقيم معها في شقتها بعد الزواج وطبعًا لو أردت أنت أن تقيم هي معك ومع والدتك بعد الزواج فهي لن تمانع."

ورد محمود ردًا وددت معه لو قمت وضربته لكي يوقف تشنجه وحياته تلك التي لا مرونة فيها: "من يحب شخصًا يجب أن يحب مصلحته كذلك. أنا أعرف جيدًا أن هناك شاب محترم للغاية وأبوه رجل مهم للغاية مهتم جدًا بفريدة وكان يبدو عليها أنها تبادله نفس المشاعر."

وسألته: "وكيف عرفت أنها تبادله نفس المشاعر. هل رأيتها تقبله مثلاً؟"

ورأيت الاثنين محمود وهدير ينظران إلى بنظرات لوم لكوني قد استخدمت ألفاظًا غير لائقة طبقًا لتفكير الاثنين طبعًا وقرأت في نظراتهما تعبير "ألن يكف يوسف عن حماقته أبدًا! كيف يتحدث هكذا؟" وصحت بهما وأنا أضرب كفًا بكف: "إنه شيء يفلق الحجر نصفين. رجل تتقدم إليه إمرأة، أي أنها قد نحت جانبًا كبريائها كأمرأة وكرامتها والتقاليد المجتمعية التي تقول أن على الرجل أن يبادر بطلب يد المرأة وليس العكس، وهذه المرأة هي إمرأة يقدرها

ذلك الرجل جدًا ويحترمها جدًا، بل ويحبها ثم يقف هو هذا الموقف المتصلب بدون أي مناسبة. يا أحمق. فريدة تقول لك تزوجني وأنت تضع العراقيل على اعتبار أنها ولابد تحب رجلاً أخر. لو كانت تحب الرجل الأخر، ما الذي منعها من أن تستجيب له وتتزوجه هو؟ هل رأى أحدٌ من الناس شيئًا كهذا؟ حقًا إن الدنيا مليئة بالعجائب."

وقالت هدير: "على الرغم من أن الكلمات غير المناسبة التي استخدمها يوسف في البداية، فإن لديه حق. إذا كان الرجل الأخر يشعر بمشاعر نحوها وهي تبادله نفس المشاعر، إذن لماذا تقضي فريدة جزءًا كبيرًا من وقت فراغها في بيتكما ومع والدتك ومعك. أنا أعرف أن من يحب أحدًا يحب أن يقضي الوقت معه، وفريدة معروف أين تقضي وقتها خارج العمل، فطنط سامية تقريبًا لا تغادر البيت ليلاً إلا في صحبة فريدة وطالما كانت طنط سامية موجودة بالبيت مؤخرًا في الليل فإن فريدة تكون بصحبتها. أنا منذ البداية وقبل أن تحدثني فريدة برغبتها في أن تتقدم لها كنت أقول لنفسي أنها كانت تلازم بيتكم حتى تراك وتجالسك، بينما أنت متحصن في غرفتك وكأنك تخاف أن تقابلها."

وقلت أنا: "كذلك لا تنس يا محمود أنه ليس كل شخص يقبل أن فريدة لديها جانب أخر وأنها تستطيع رؤية الأموات بسهولة بخلاف بقية الناس. ربما كانت هي تتحسب لزواج شخص لن يقبل منها ذلك في المستقبل؟"

ورد علي محمود: كلا. من المعروف تقريبًا لكل من يعمل مع فريدة في الشركة التي تعمل بها أن لها جانبًا أخر وأنها شديدة الحساسية للاشياء التي لا نراها ولا نحس بها عادة، وقد اشتركت فريدة كوسيط في العديد من الجلسات التي أعدت لاستدعاء الأموات بداية والتي عقدها زملاء لنا من موظفي الشركة وعائلاتهم في بيوتهم في تجمعات عائلية. الجميع يعرف عنها حساسيتها لعالم الأموات وطبعًا فريدة تتصرف كشخص طبيعي تمامًا بخلاف كونها وسيط

في تلك الجلسات مما يجعل الجميع يتصرف معها بشكل طبيعي. بالعكس، ربما كانت قدراتها الخاصة تلك أحد أسباب تحميلها لمسئوليات كبيرة في العمل. في العمل هي معروفة بانضباطها الشديد وكل من يتعامل معها يقدر ذلك ويحترمه. طبعًا هذا نابع أساسًا من تقدير المهندس وليد صاحب الشركة لعملها."

ثم قال محمود مغيرًا الموضوع: "على العموم من الواضح أن مشاركة فريدة في مثل هذه الجلسات أصبحت محدودة للغاية حيث أن المسكينة لم تعد تحتملها."

وردت هدير: "أنا رأيي أنها تشارك معنا في هذه الجلسات من أجلك أنت."

وهز محمود رأسه وكأنه يبعد عن نفسه خاطر غير مرغوب وقال: "لا. إن شاء الله أنا لن أسمح بأن تعقد جلسات أخرى لاستدعاء الأموات."

وردت هدير محاولة ابقاء الموضوع الذي أثارته قيد النقاش: "على الرغم من أنها تتعب من مثل تلك الجلسات، فإنها توافق فورًا عندما نطلب منها أن تشارك كوسيط في جلساتنا لأنها مهتمة بك وهي تبحث عن الفرص لمقابلتك والاجتماع بك."

ورد محمود مغيرًا الموضوع مرة أخرى: "كلا. هذا الحديث انتهى. أنا لن أسمح لها بالمشاركة في مثل هذه الجلسات مرة أخرى، بل ولن أسمح حتى بعقد مثل هذه الجلسات مرة أخرى. لقد انصرف الشبح ونحن لا نحتاج لمثل تلك الجلسات."

وأردت أنا أن أحافظ على استمرار مناقشة موضوع زواج محمود وفريدة، فأنا كنت قلقًا على محمود وحالة الوحدة التي يفرضها على نفسه بدون مناسبة منذ بدأت مشكلاته القانونية مع ذلك المقاول الذي أراد الغدر به وتحميله مسئولية أخطاء المقاولات

التي ارتكبها ذلك المقاول ولهذا قلت أسأل هدير أمام محمود: "ومتى قالت لك فريدة أنها تريد أن يتقدم محمود للزواج منها؟"
وأجابت هدير: "أتتني في الصباح، فقد ارتفع صوتي في المنورحيث كنت واقفة في المطبخ أدلي بتعليماتي لأم علي، وسمعت فريدة صوتي في شقتها المجاورة وجاءت لتحدثني وقالت لي ما قالته. قالت أنك في الفترات الأخيرة كنت وكأنك تتجاهلها. قبل أن تحدث تلك المشكلات القانونية مع ذلك المقاول، كنت تعدها بأنك ستتزوجها بمجرد أن توفق في عملك ويصبح لك دخل محترم ولكنك بعد أن مررت بتلك المشكلات القانونية، نكصت عن عهدك لها. هي تقول أنها لا يهمها حالتك المالية. هي تحبك أنت وتريد أن تقضي معك بقية حياتها وتقول أنه بالتأكيد ستأتيك فرصًا في المستقبل فأنت لازلت شابًا كما أنك مهندس جيد وفي النهاية ستوفق وتحقق إنجازات جيدة، ولكن لو انتظرت هي حتى تحقق أنت نجاحًا في عملك فقد يضيع شبابكما حتى يتحقق لك مثل ذلك النجاح. هي تقول أنه يكفي ما ضاع من عمركما وأن الوقت قد حان لتتقدم لها."
وقلت أنا معلقًا ومشجعًا لمحمود على اتخاذ القرار الذي آراه أنا صائبًا: "يا سلام. يا سلام. وهل يترك المرء فرصة كهذه إلا لو كان أحمق تمامًا. تذكر أنك قد وعدتها بالزواج وهي تطلب منك أن تفي بعهدك. هي انتظرتك وأنت لم تتقدم ولديها كل الحق في أن تتعجل الزواج. يجب عليها أن تتزوج سريعًا لكي تستطيع انجاب أطفال أصحاء."
ولما صمت محمود وهو واجم، قمت أنا بسؤال هدير والتي سكتت بدورها: "وماذا قالت فريدة أيضًا."
وطبعًا هدير كانت تريد أن تدفع الأمر في اتجاه أن يتقدم محمود لفريدة طالبًا الزواج منها ولهذا قالت: "أنا أرى أن فريدة معها كل الحق. مادمت تحبها يجب أن تحسم الأمر وتتزوجها خاصة وأن لديك شقة ولديها شقة ويمكنكما بسهولة الزواج. أما بالنسبة لشراء آثاث جديد ومثل هذه الترهات، فيمكن تأجيل ذلك حتى

تتحسن أحوالك المالية. أما إذا كنت تتحسب لأوضاعكما المالية حال إنجاب أولاد مثلاً، فهذه علمها عند ربي والرزق في جميع الأحوال سواء كان الولد أو المال بيد الله وحده. هي ترى أنه لا يوجد شيء يعيق زواجكما لو كنت ماتزال تريد الزواج منها، وأنك يجب أن تتقدم لها بأسرع ما يمكن."

ورد محمود طبعًا برد لا يرد به إلا محمود من بين كل خلق الله العقلاء، حيث قال: "المرء لا يجب أن يكون أنانيًا وعندما تكون حالة المرء المالية سيئة للغاية مثل حالتي المالية، فإنه يجب عليه أن يترك من يحبهم ليكون لهم مستقبل وليكونوا سعداء في حياتهم."

وأجبته أنا وقد ذكرت نفسي أنني يجب أن أنتقي كلماتي بعناية: "أنا أرى يا محمود أن السعادة هي وجهة نظر. ربما رايت أنت أن الرجل الأخر الذي تظن أنت أنه يحبها يمتلك كل مقومات جعلها سعيدة، بينما هي بعدما تعرفت عليه لم تعد ترى ذلك. ربما كانت هي ترى فيه جانبًا لا يخطر على بالك أنت خاصة وأنها إمرأة وأنت رجل. أي علاقة تعتمد على طرفين قابلين لتلك العلاقة. وإذا كانت فريدة تفضلك وترى مستقبلها معك أنت، إذاً فهارد لك للرجل الأخر مهما كان وسيمًا وخلوقًا وغنيًا ومهما كان نفوذ والده، فنحن نختار شركاء حياتنا بمشاعرنا تجاههم ولا نقيس حالتهم المالية بميزان الذهب. لو كانت هي تريدك كزوج لها وقد اختارتك أنت فالقلب وما يعشق."

وردت هدير مؤكدة كلامي: "بالضبط. هناك نساءٌ تهمهن جدًا الحالة المالية لمن تحبه، وهناك أخريات لا تفكرن إلا بمشاعرهن. ولو كنت تقلق من مشاعرها تجاه ذلك الرجل الذي تراه قد اجتذبها إليه، فأنا أرى أنك يجب أن تحدثها بصراحة في الأمر وتتوصل معها إلى تفاهم يرضيك بشأن علاقتها بالرجل الأخر. معروف عن فريدة أنها انسانة منضبطة جدًا كما قلت أنت لتوك، وطبعًا لا أظن أنها ترضى أن تكون على علاقة برجلين في نفس الوقت وإذا اطمأننت إلى أنها تريدك أنت، كما سمعت أنا منها اليوم، فمن العدالة أن تتركها تتخذ

قرارها بنفسها ولا تتخذ أنت القرار نيابة عنها. هي أمرأة راشدة ولابد أنها تعرف ما تريده ومع من ترى سعادتها في المستقبل."
وعلقت أنا بدوري على ما قالته هدير وقلت: "ثم إنك تحبها حقًا وتهتم بأمرها وتتمنى بشدة أن تتزوجها ولكنك فقط تحس أنك حاليًا غير كفءٍ لها بسبب حالتك المالية، وصدقني الأوضاع في هذه الدنيا تتغير بسرعة كبيرة. أن تتزوج المرأة رجلاً يحبها ويتمنى لها الخير فهذه ميزة عظيمة بالنسبة لأي امرأة وهذا هو أهم شيء بالنسبة للمرأة الحكيمة التي تفهم الدنيا. يا فرحتي أن تتزوج المرأة برجل غني جدًا يبدو خلوقًا وطيبًا وأبيه ذو نفوذ كبير ثم يحول زوجها حياتها بعد الزواج إلى جحيم نتيجة لعيب ما في شخصيته. هل ترضى أنت ذلك لها؟ هي بالتأكيد لا ترضاه لنفسها. المهم أن يكون الإنسان الذي تختاره هي شخصًا مناسبًا لها ولا يهم بعد ذلك حالته المالية، خاصة وأنك لديك دخل، وإن كان قليلاً نسبيًا، وبالطبع يمكن لهذا الدخل أن يتحسن في المستقبل، وفي جميع الأحوال الحالية المادية للناس تتغير. المهم الشخص نفسه ومدى اقتناع المرأة به."
محمود يحكي
كنت جالسًا في بيتنا في غرفة المعيشة أشاهد فيلمًا يُعرض على التلفاز. في الواقع كنت قد أبقيت التلفاز يعمل وبقيت غارقًا في أفكاري أحاول أن أصل لحل في داخلي للعديد من المشكلات التي تؤرقني.
كانت الساعة حوالي السابعة مساءًا ودق جرس الهاتف.
كانت شاشة الموبايل تقول أن يوسف هو المتصل .. لكني لم أسمع صوتًا.
وقلت: "يوسف! أهذا أنت يا يوسف."
كان هناك لهاث وكأن احدًا ما يجاهد كي يتحرك او ليقوم بحركة ما وفي النهاية آتاني صوت يوسف وهو يبدو وكأنه يئن ويلهث.

يوسف: "أنا في الشقة التي بجانب شقتنا. شقة عمو سعيد. أنا أعاني من دوار شديد ولا أستطيع أن أتحرك. فقط أزحف على الأرض بصعوبة .. أنقذني يا محمود."
وطبعًا كنت في داخلي أضرب كفًا بكف. ألم يوافق يوسف على أننا يجب أن نترك هذا الأمر وشأنه؟ هل كان يخدعنا ليذهب في مغامرة في شقق يملكها أناس لم يسمحوا له بأن يدخلها.
وقلت له مستنكرًا: "هل أنت في الشقة فوق شقة ساهر القصاص؟"
وسمعت ردًا خافتًا وكأنما يقول "نعم."
وصحت به وقد قررت أن أتجاهل ألمه وأنينه فلا سبيل للتساهل معه بعد الآن: "وماذا تفعل هناك؟ في النهاية ستقضي عليك مغامراتك تلك."
وأستعاد يوسف بعض القوة في صوته وأظن أن ذلك كان الغيظ حيث قال: "ليس هذا وقته."
وسألته: "وماذا فعلت هذه المرة؟ هل اصطدمت رأسك بمكتب أخر أم ماذا؟"
وقال يوسف وصوته يعكس بعض الأنين وكأنه يتألم: "كلا. هذه المرة هناك من هاجمني."
وصحت به من المفاجأة: "هاجمك!! من هذا؟"
وصاح يوسف وهو يلهث ويئن: "أرجوك يا محمود. كفاك تحقيقات على الهاتف. تعال وأخرجني من هنا."
ورددت عليه: "لا تقلق. أنا في الطريق."
ذهبت إلى البناية التي يسكن بها يوسف واتجهت إلى الشقة التي هي في منتصف الطابق والتي من المفروض أنها فوق شقة ساهر القصاص. كل ما أتذكره أن يوسف قال أن هذه الشقة غير مسكونة حاليًا. هل هي نفس الشقة التي كان يتحدث عنها يوسف وقتها أم أنه كان مضطربًا بسبب ارتطام رأسه بالمكتب؟
طرقت الباب بخفة ولم أسمع ردًا.

نظرت عن يميني وعن يساري وألصقت أذني بالباب. تخيل لو أن هدير فتحت باب شقتهم لأي سبب الآن ووجدتني هكذا. لعلها تستنتج أن حالتي المالية السيئة قد أصبحت الآن تدفعني لسرقة الشقق. تخيل لو أن الجار في الجانب المقابل فتح باب شقته في تلك اللحظة. وقتها هل يقبل تبريراتي أم لعلني أجد نفسي في السجن. سامحك الله يا يوسف. أهذا موقف تضعني فيه؟ وفي النهاية نحيت عني الهواجس وألصقت أذني بالباب وطرقت الباب ثانية. لا شيء.
ولم يكن امامي وقتها إلا أن أتحدث ولهذا قلت: "يوسف. يوسف. أنا محمود. هل أنت في هذه الشقة أم أن هذه ليست هي الشقة المقصودة؟"
سمعت وأنا خارج الشقة صوت شيء يتحرك ويحتك بالباب من داخل الشقة ثم آتاني صوت خبط ضعيف من الداخل. نظرت إلى موقع قدمي لأجد مفتاحًا يظهر طرفه من تحت عقب الباب وكأن شخصًا ما يدفعه إلى الخارج.
انحنيت بسرعة وأخذت المفتاح وأدرته في ثقب قفل الباب. هناك شيء خلف الباب يمنعني من فتحه. دفعت الباب ببطء وأدخلت رأسي وشقي الأيمن العلوي إلى داخل الشقة ورأيت جسمًا لشخص يبدو أن يوسف. كان الظلام دامسًا في البداية رأيت رأسه ثم بدنه وهو في وضع الجلوس ولكنه ساقط على الجانب أو على الجانب على بطنه. أعني أن مقعدته كانت ملتصقة بالباب ولكن بقية جسمه كان خلفها وكأنه لا يقوى على فرد جسمه.
دفعت الباب ببطء مرة أخرى وأزحت بدنه إلى الداخل لمسافة تسمح لي بالدخول بكاملي وأغلقت الباب خلفي. كان ضوء الطرقة أمام الشقة مفتوحًا ولكن بمجرد دخولي الغرفة إنغلق حيث أنه يستمر مفتوحًا لفترة قصيرة ثم ينغلق بسرعة توفيرًا للكهرباء.
وقلت له: "يوسف أهذا أنت؟ أنا لا أرى شيئًا بتاتًا."
وسمعت صوت يوسف يقول: "الشقة مقطوع عنها الكهرباء."
فتحت ضوء الكشاف الموجود في الموبايل الخاص بي ومكنني هذا من الرؤية.

كان من الواضح أن أبواب الغرف مغلقة ولهذا فضوء الشارع لا يتسرب إلى الصالة أو الممرات المؤدية إلى الغرف وبالتالي فالمرء لا يكاد يبصر كف يده.
وجهت كشاف هاتفي إلى يوسف. كان الدم يسيل من صدغه.
وصحت به: "ما كل هذا الدم؟ لابد أن نأخذك لطبيب."
ورد يوسف: "أنا بخير الآن ولا أحتاج إلى طبيب. تابلوه الكهرباء موجود في المطبخ بجانب باب المطبخ. جرب إن كنت تستطيع فتح الضوء الكهربائي للشقة. طبعًا من الممكن أن تكون الحكومة قد فصلت الكهرباء عن الشقة ولكني أرجح أن يكون أولاد عمو سعيد قد قاموا بفصل الكهرباء عن الشقة ليتجنبوا حدوث أي استهلاك للكهرباء."
وقلت ليوسف: "قد يرى الناس ضوء الشقة؟"
ورد يوسف: "كل إنسان في هذه البناية يهتم بأمر نفسه وحتى لو رأى شخص ضوء الشقة فهذا لا يهم. لم يُقتل أحدٌ هنا حديثًا."
اتجهت بالموبايل الخاص بي نحو المطبخ ووجدت بريزة الكهرباء ووضعتها مكانها ومددت يدي إلى مفتاح الكهرباء وسرعان ما سطع الضوء فجأة فأعشى عيني حتى أنني اضررت لإغلاقهما ثم فتحهما ثانية.
أغلقت ضوء المطبخ واتجهت بالموبايل لأفتح ضوء الصالة ووجدته وفتحته لأجد يوسف مكومًا عل الأرض والدم يسيل من رأسه أمام باب الشقة.
وصحت به: "يوسف. أنت تنزف."
ورد يوسف وهو يهون علي الأمر: "كلا. لقد جف الدم. أنا بخير. لم يحدث شيء. منذ دقائق كنت أشعر أنني قلق ومريض ولكني أحس الآن بالاطمئنان وبأنني أفضل."
وسألته: "من الذي فعل بك هذا؟"
وأجابني: "المكان كان مظلمًا وأنا لم أر سوى ظله ولكن يخيل إلي أنه الحاج حسني السباعي."

وصحت به مندهشًا: حسني السباعي!! وماذا يصنع حسني السباعي في شقة عمك سعيد. ما هي علاقته بالموضوع أصلاً؟"
ورد يوسف: "أظن أنه كان يستخرج الرصاص من أرضية الغرفة فوق غرفة عشيقته."
وقلت أنا غاضبًا: "إبن الحرام!! لكن هذا يجعله شريكًا في التستر على جريمة قتل. إخفاء أدلة الجريمة جناية قد تؤدي به إلى السجن. لكنك لم تر وجهه. أليس كذلك؟"

الفصل التاسع: شقة عمو سعيد

ورد يوسف: "لا."
وأجبته: "قد لا يكون هو؟"
ورد علي يوسف: "ومن غيره يفعل هذا؟"
وأجبته: "ليس بالضرورة أن يكون هو. النساء قد تكون لهن صلات بأشخاص قد يقوموا بهذا العمل لأسباب متعددة، وقد يكون من ضربك قريبها أو عشيقًا سابقًا أو حاليًا لها أو ربما شخص استأجرته بالمال. كيف استطعت أنت أن تدخل إلى هذه الشقة؟"
وأجابني يوسف بدون مواربة: "أعطيت سلامة البواب مبلغًا صغيرًا من المال. أنا أعرف أن معه مفتاح الشقة وأن لديه أوامر بأن يحاول تأجيرها. قلت له أنني أريد شقة لم تسكن منذ زمن بحيث يكون التراب قد تراكم فيها وتصلح لفيلم أشباح وقلت له أنني أريد هذه الشقة لأسبوع واحد وسأعرضها على مخرج سينمائي هو صديق لي وأن هذا المخرج يريد أن يقوم بالتصوير في شقة غير مسكونة، ولو أن صديقي المخرج رأى أن الشقة مناسبة بالنسبة لغرضه فسنتصل وقتها بإبن عمو سعيد الذي يسكن في الإسكندرية ووقتها سيستحق سلامة عمولة عن تأجير الشقة لذلك المخرج."
ورددت عليه: "ولماذا لم يقل لك البواب أحضر صديقك ووقتها سأفتح الشقة لكما، ووقتها يمكن لصديقك المخرج أن يعاين الشقة أثناء وجودي أي وجود البواب فيها؟"

ورد يوسف وبدا وكأنه قد نسى جرحه واستعاد بعض قوته: "البواب فهم بدون مساعدة مني أنني أعطيه المال كي يعطيني المفتاح ولا يقف عقبة في طريقي، وإلا فلماذا أعطيته المال؟ لو كان سيفتح الشقة فقط أثناء وجوده فيها لما أحتاج الأمر أن أدفع له أي من مالي. البواب يفهم بسرعة وهو ذكي وفطن ثم إنه يعرفني جيدًا ويعرف أنني لن أسرق أي شيء من الشقة. الشقة أصلاً ليس بها شيء ثمين يستحق السرقة. لو أن لدى البواب أي شكوك بشأن أي شيء فقد أخفى شكوكه وسكت. هو أعطاني المفتاح وأتفق معي على أنني سأستعمل الشقة لمدة أسبوع واحد ثم أعيد له المفتاح وأنني لا يجب أن أشعُر أحدًا من الناس أنني أدخل إلى هذه الشقة وأنه بعد ذلك الأسبوع فلن أدخل إلى هذه الشقة ثانية أبدًا."

وطبعًا هالني هذا الأمر. من أجل القيام بالتحقيق في قضية اتفقنا جميعًا على أنه لم تعد لنا صلة بها، أصبح يوسف يدخل إلى شقق أشخاص متوفين لا يحق له أن يدخلها ولم يستأذن أصحابها الحقيقيين في دخولها ويأخذ منها أشياء بشكل مؤقت، وصحت به: "بعدما أصبحت تدخل شققًا لا حق لك في دخولها وتأخذ منها أثرًا للجلسات التي نعقدها، أصبحت الآن كذلك ترشو البواب."

وضحك يوسف ضحكة بها بعض الأسى وهو يقول: "ها أنا ذا قد عوقبت. عقوبة هذه أم أنها ليس عقوبة يا متعلمين يا أولاد المدارس. أحضرتك أنا هنا لكي تعظني وتربيني من جديد."

وقلت ليوسف: "حسنًا. الآن سأخذك إلى بيتك."

ورد يوسف: "ليس الآن. هدير ستخرج من شقتنا بعد حوالي نصف ساعة إلى ساعة. ستذهب إلى حفلة عيد ميلاد إبن زميلتها في المدرسة. وقتها نستطيع أن ندخل إلى شقتي ونفكر أنا وأنت في كذبة أقولها لها بعدما تعود من عيد الميلاد بأنني سقطت في أحد مواقع العمل الخاصة بشركتي أو ربما كذبة أفضل لا تستطيع هدير أن تتأكد من عدم حدوثها. أنا لا أستطيع أن أدخل إلى البيت والدم

يسيل من رأسي هكذا وأنت تحملني. ستستجوبنا وستعرف كل ما فعلت."
وحملت يوسف وأجلسته على أحد الكراسي الخشبية التي كانت حول منضدة مستطيلة خشبية مغطاة بغطاء مشمع وجلست أنا على كرسي خشبي أخر بجانبه وقلت له: "الآن قص علي بالضبط وبالتفاصيل كل ما حدث."
يوسف يحكي
بدات أحكي لمحمود عن سبب معاناتي.
قلت له: "بدأ كل شيء عندما أخذت المفتاح من البواب وقررت أن أصعد إلى الشقة. حتى قبل أن أدخل الشقة كان هناك صوت شنيور كهربائي (مثقاب كهربائي يُستعمل في خرق الجدران وغيرها لإحداث ثقوب دقيقة بها)، كما لو كان هناك أحد يثقب شيئًا ما. أنا قلت في نفسي أنه من المستحيل أن ينبعث هذا الصوت من تلك الشقة فهي غير مسكونة منذ زمن ورجحت أن الصوت إما ينبعث من شقة أخرى أو من الشارع في الخارج. بمجرد أن وضعت المفتاح في ثقب باب الشقة حتى توقف صوت الشنيور."
وسألني محمود متحفزًا للومي كالعادة: "وهل دخلت الشقة رغم اشتباهك في أن الصوت ينبعث منها."
وأجبته أنا بأسى: "نعم. كما ترى فقد دخلت الشقة. كان في يدي كشاف الهاتف المحمول الخاص بي. دخلت الشقة بعدما توقف صوت الشنيور ثم انتظرت للحظة حتى تعودت عيناي على الرؤية بضوء الهاتف المحمول وأتجهت فورًا إلى الغرفة المقصودة وهي الغرفة فوق غرفة زوجة ساهر القصاص لأنني كنت أريد أن أرى هل توغلت الرصاصة في داخل السقف ووصلت إلى الطابق الأعلى أم لا."
وأردفت متحسرًا: "تخيل مدى حماقتي. أنا لم أحضر معي أي شيء يساعدني في تحديد مكان الرصاصة داخل أرضية الغرفة بينما أنا مهندس وكأنني توقعت أن تخرج الرصاصة نفسها لي. المهم، كنت قد فكرت أنني أريد أن أرى المكان وأعاينه المعاينة النافية للجهالة

كما يكتبون في العقود. باب الغرفة فوق غرفة زوجة ساهر القصاص كان مغلقًا. حتى من خارج الغرفة وربما حتى من الصالة بمجرد دخولي من باب الشقة كانت هناك رائحة نفاذة لكهرباء ساخنة مثل رائحة الشنيور عندما يعمل لفترة طويلة بدون توقف. أنا مهندس وأكثر ما أفعله هو أعمال الديكورات الداخلية ولم أتعرف على الرائحة في البداية. لا أصدق كم كنت أنا مغفلاً يا محمود."

ورد علي محمود بتركيز شديد وتحفز: "لا عليك. كلنا يمكن أن يقع في هذا الأمر. أكمل قصتك."

وقلت له: "فتحت باب الغرفة وأصبحت رائحة الكهرباء الساخنة والشنيور والدخان الناتج عن وجود التراب نتيجة تكسير الحجر داخل الشقة بالشنيور شيئًا لا يمكن التغافل عنه فقد كانت كلتا الرائحتين تخترقان أنفي اختراقًا ورغم أن الرائحتين كانتا كذلك حتى قبل دخولي إلى الغرفة ولكني كنت أكرر لنفسي أن هذا ولابد صادر من مكان أخر. اصابني الرعب فجأة بعدما فتحت باب الغرفة. أدركت أنه بالتأكيد فإن هناك شخصًا يعمل في تلك الغرفة. لم أتقدم داخل الغرفة بل أدرت ظهري هاربًا متجهًا إلى باب الشقة. قرب بداية الصالة في طريقي إلى باب الشقة صدمني شيءٌ ما بقوة. سقط الهاتف المحمول من يدي ثم أحسست بضربات قوية توجه لرأسي."

وسألني محمود: "بماذا كان يضربك. بيده فقط أم بشيء أخر؟"

وأجبته: "بيده. وأي يد يا محمود!! كأنما حجم يده يساوي حجم رغيفين كبيرين وضُعا أحدهما بجانب الأخر. لابد أن ينص القانون على أن من يملك يدين بهذا الحجم يُعتبر مسلحًا لأنه مع يدين كهاتين أنت لا تحتاج إلى سلاح لكي تسبب ضررًا شديدًا لمن تهاجمه. المهم، فقدت الوعي لدقائق ثم عاد لي وعيي وأحسست به. كان يغلق باب الشقة ببطء وبهدوء بحيث لا يشعر به أحد. رأيت هيكله في ظل إنارة الضوء خارج باب الشقة. رأيته من كتفه ومن ظهره. كان رجلاً ضخمًا جسمه كجسم الحاج حسني السباعي

وكان يلبس جاكت ثقيل وطاقية مطاطية يتم جذبها إلى الأسفل لتغطي الوجه بالكامل بينما يتم وضع الجزء الذي يُجذب إلى الأسفل أعلى الطاقية عندما لا يتم إنزالها ولا تثير أي شكوك وقتها في أنها قد تستخدم كقناع وجه."

ورد علي محمود وكان كعادته يشكك فيما أقوله. كان يريد كل شيء واضحًا وضوح الشمس ولا سبيل لأي استنتاج. طبعًا السيد متشكك متشكك كعادته: "هذا ليس معناه أنه الحاج حسني السباعي. قد تكون زوجة المرحوم قد أرسلت من يقوم بمهمة استرداد الرصاصة الخاصة بالمسدس الثاني التي تم إطلاقها ليلة الجريمة. الحاج حسني السباعي نفسه شديد الثراء، كما نعرف نحن جميعًا عنه، وقد يكون قد أرسل شخصًا يقوم بمهمة استرداد الرصاصة، ولابد أن لديه من ينفذ له مهمة كهذه، وهذا قياسًا على ما نسمعه عن الحاج حسني."

ورددت عليه أنا: "فكر في الأمر بعقلانية قليلاً يا محمود. وهل يمكن أن يقول الحاج حسني لرجل ما "أنني أريدك أن تستخرج لي رصاصة من أرضية شقة تحتها شقة أخرى فيها رجل انتحر بأن ضرب نفسه بالرصاص." إنه هكذا يسلم نفسه للشخص الذي سيرسله تسليم أهالي ويعطي لذلك الرجل سلطانًا عليه أي على الحاج حسني طوال ما بقى من عمره. لابد أن سيتوقع أن يبتزه الرجل الأخر ويجبره على أن يدفع له المال طوال فترة بقية عمره لأنه يعرف عنه سراً كهذا. الأسلم أن يقوم بالعمل بنفسه، ولماذا لا يقوم بالعمل بنفسه؟ لا أظن أن الرجل لديه أي مرض أو تعب يمنعه من القيام بمهمة مثل استخراج الرصاصة من أرضية الغرفة، وكما نعلم جميعًا الحاج حسني ليس طاعنًا في السن كما أنه قد بدأ حياته كعامل بناء."

ورد محمود علِّي: "ما تقوله ليس دليلاً على أنه هو. أنت لم تر وجه من ضربك. لا يهم. استند علي الآن. سأعيدك إلى شقتك وسأقول لهدير أنني ذهبت لزيارتك في إحدى شقق زبائنك وأنك سقطت على السلم أثناء خروجنا من الشقة. ما رأيك؟"

وقلت له: "لا. أريد أن أرى أولاً هل استطاع أن يخرج الرصاصة بالشنيور من أرضية الغرفة أم أنه لم يستطع ذلك. قم بمساندتي حتى نذهب إلى الغرفة فوق غرفة زوجة ساهر القصاص ونرى ماذا فعل؟"
ساندني محمود أو قل أنه كاد يحملني إلى الغرفة فوق غرفة الزوجة ودخلنا إلى الغرفة.
قام محمود بإنارة ضوء الغرفة الكهربائي العادي ووجدنا أنه يبدو وكأن تلك الغرفة كانت مخصصة لإبني عمو سعيد أثناء حياته. كان المعلم الرئيسي بالغرفة هو سريران مفردان بينهما مسافة، وكان من الواضح أن أحدهم قد أزاح السريرين بحيث قام بتوسيع المسافة بينهما كي يتسنى له أن يقوم بعمله بحرية. بين السريرين كانت هناك حفرة صغيرة في الأرض وكانت الأرضية من الباركيه الخشبي وكانت هناك قطع صغيرة من الباركيه والحجارة متناثرة حول الحفرة وكان بجانب الحفرة ملقاط كبير يبدو أن الحاج حسني قد تركه خلفه. لقد أخذ ابن الحرام الدليل الوحيد المتبقي ضده. وأنهرت أنا على أحد السريرين بسبب المجهود الذي بذلته وقلت لمحمود: "إبن الحرام أخرج الرصاصة."
ورد محمود وهو يبدو متضايقًا وقد أدرك مغزى هذا كله: "الآن ليس هناك شيء يربط الحاج حسني بالموضوع كله وحتى الرصاصة في السقف استخرجها وأخذها ولابد أنه سيعرف كيف يتخلص منها في القريب العاجل، وعلى العموم الحاج حسني لن يصلح كشاهد على زوجة المرحوم فلا يوجد شيء أصلاً يثبت حقيقة علاقته بها."
وصحت به: "من قال هذا؟ هو أصلاً زوجة المرحوم هي من يمكنه أن تصبح شاهدة عليه."
ورد محمود: "أنت أصلاً تهذي. هو لا علاقة له بالجريمة أصلاً.هو فقط يجامل عشيقته وهذا طبعًا بافتراض أن من هاجمك هو الحاج حسني السباعي حقًا. لا يجب لأنه ضربك أن تحاول أن تجره إلى جريمة قتل."

وأجبته أنا: "من قال هذا؟ الحاج حسني السباعي كان موجودًا في موقع الجريمة وقت مقتل ساهر القصاص وترك خلفه دليلًا على وجوده في مكان الجريمة."
وصاح بي محمود غاضبًا: "ماذا!! هل دخلت مرة رابعة إلى شقة ساهر القصاص وقمت بتفتيشها؟"
وأجبته: "كلا. أنا لم أدخل إلى شقة المرحوم منذ كنت فيها لآخر مرة عندما أحضرت العصا."
وسألني محمود: "إذا فكيف تعرف ما تقوله الآن؟"
وأجبته: "بعدما ضربني الرجل على رأسي، لم أستطع لفترة أن أتحرك على الإطلاق. بقيت في الظلام لفترة قبل أن أستطيع أن استجمع نفسي وأستطيع أن أحرك ذراعي وأن أمسك بالموبايل واتصل بك. من الواضح أن أفضل تفكير لي يأتيني بعدما أضُرب على رأسي. العصا التي أعطيتها لك بالأمس. أنا قلت لك أنها عصا ساهر القصاص."
ورد محمود: "نعم، وقد نسيت تلك العصا في شقتي أمس ولم تعدها لشقة ساهر القصاص كما وعدتني."
ورددت عليه: "وأنا ساقط منذ قليل في الظلام لا أستطيع أن أتحرك أخذت أعُمل عقلي في التفكير. فكرت في شيء ما. ساهر رحمه الله كان في طولي أنا تقريبًا. تلك العصا التي حملتها أنا بالأمس إلى شقتك كانت عصا صُنعت خصيصًا لصاحبها بحيث تناسب طوله فلم تكن بها خاصية التطويل والتقصير مثل العصيان التي تُصنع للعامة وتُباع في المتاجر العامة والصيدليات والمتاجر التي تبيع الأطراف الصناعية والأجهزة التعويضية، وتلك العصا لم تكن تناسب طولي ولا طول ساهر القصاص. كانت عصا مصنوعة عمولة وتلك العصا صنُعت لشخص طويل فائق الطول مثل الحاج حسني السباعي."
ورد محمود: "ماذا!!"
وأردفت أنا وقد حصلت على تركيز محمود بكليته: "الحاج حسني كان كثير التردد على بنايتنا وكنت أنا أراه كثيرًا. رأيته منذ حوالي الشهر وكان يعرج ويستخدم عصا لمساعدته على السير. لم أركز

وقتها طبعًا في تفاصيل العصا. الليلة حين هاجمني. كان يمسك بعصا فيبدو عليه أنه لم يتعافى بعد مما تسبب له في أن يمشي معتمدًا على عصا، ولكن لابد أنها عصا أخرى. لقد نسى الحاج حسني العصا الأولى في بيت ساهر القصاص في الليلة التي مات فيها ساهر رحمه الله. لو كان الأمر بسيطًا وعاديًا لكان الحاج قد أرسل سائق سيارته ليستعيد له عصاه."

وصاح بي محمود وهو متعجب: "ماذا تقول؟"

وأجبته: "ولكن بما أنه قد نسى العصا لأن هناك أشياءًا قد حدثت في بيت ساهر في تلك الليلة أنسته العصا والتي من الواضح أنه كان يستطيع إن تحامل على نفسه أن يمشي بدونها، فقد تركها في بيت ساهر القصاص ولم يحاول استعادتها. زوجة ساهر وضعتها في خزانة تحوي أدوات النظافة بجانب باب الشقة وعندما أتت الشرطة وفتشت الشقة، لابد أن رجال الشرطة قد افترضوا بشكل بديهي، كما افترضت أنا، أنه مادامت تلك العصا موجودة في بيت ساهر القصاص فإنها بالتأكيد تخصه."

توقفت عن الحديث وأنا أنظر في وجه محمود والذي كان يركز نظراته علي وقال محمود: "أكمل."

وأكملت: "عندما لم تنتبه الشرطة لأن العصا الموجودة في بيت ساهر القصاص لا تخص ساهر القصاص، ترك الحاج حسني العصا في مكانها في بيت ساهر وأشترى أخرى جديدة ولم يحاول استعادة عصاه القديمة على الرغم من أن الشقة ظلت خالية وكان يمكنه بسهولة استعادة عصاه. هو لابد أنه فكر، ومن الواضح أنه شديد الذكاء ومغامر، أن استعادة عصاه قد تكون أكثر خطورة من تركها حيث كانت حيث أنه لم ينتبه لها أحد."

وقال محمود: "كل هذه تخمينات. لا يمكنك أن تثبت أن العصا الموجودة في شقتي الآن هي عصا مملوكة للحاج حسني السباعي."

وأجبته: "لو سلمنا هذه العصا للشرطة وأخبرناهم أنها ملك الحاج حسني السباعي فسيمكنهم الوصول إلى دليل تثبت أنها ملكه. هذه

العصا مصنوعة عمولة أي أنها صنُعت خصيصًا للحاج حسني ولابد أن من يصنعون عصيان المشي عمولة هم أشخاص قلائل جدًا في مصر. أنا وأنت قد لا نستطيع معرفتهم جميعًا ولكن الشرطة بالتأكيد تستطيع."
وقال محمود: "هذا يلزم أن نقول للشرطة أننا دخلنا شقة ساهر القصاص بدون إذن وأخذنا العصا بدون إذن ودخلنا هذه الشقة بدون إذن كذلك."
وقلت لمحمود: "هذا كله لا يهم الآن. اسمعني حتى النهاية يا محمود. الحاج حسني اهتم جدًا بأن يستعيد الرصاصة التي تركها في السقف. أنا لا أعرف كيف دخل إلى هذه الشقة. ربما قام برشوة البواب كما فعلت أنا ولكنه بذل مجهودًا وأحضر معه شنيور كهربائي كي ينقب في أرضية الغرفة فوق الغرفة التي قتُل فيها ساهر القصاص والتي هي غرفة زوجته ويستعيد الرصاصة. حتى هذه الليلة كان الحاج حسني قانعًا بأن يترك الرصاصة في السقف كما ترك عكازه في خزانة بيت ساهر القصاص على أساس أن أحدًا لن يربط بينه وبين تلك العصا ولن ينتبه إلى أن تلك العصا تخصه."
ورد محمود: "ماذا تعني بهذا كله. الرجل لم يستعد الرصاصة في البداية. لقد انتظر حتى هدأ الأمر تمامًا وبعدها دخل إلى هذه الغرفة كي يستخرج من أرضيتها الرصاصة."
وأجبته أنا وأنا في حالة وضوح للرؤية وصفاء في التفكير لم أعهدها في نفسي من قبل: "وهل هي صدفة أن يأتي الحاج حسني السباعي ليستخرج الرصاصة من أرضية هذه الغرفة بعد يوم واحد من قول فريدة عندما كانت وسيطًا لنا أن الوسيلة الوحيدة لاستعادة الرصاصة هي عن طريق الحفر في الشقة التي تعلو شقة القتيل؟"
وصاح محمود: "ياه. من الواضح يا يوسف أنك تفكر بشكل ممتاز حين تضُرب على رأسك. واضح أنك قد توصلت لاستنتاجات ما. أشركني معك فيها فأنا لازلت لم أفهم ما الذي تقصده."
وأجبته: "ما أقصده أن بيننا جاسوس."

وكرر محمود في دهشة: "جاسوس!!"
وأجبته: "نعم. هناك من نبه الحاج حسني السباعي أننا عرفنا بوجود الرصاصة وعرفنا كيف نخرجها وأننا كما تدخلنا في الأمر ودخلنا شقة المرحوم بعدما عرفنا في جلسة استدعاء الموتى الأولى بحادثة القتل التي تم الاعداد لها بحيث يتم تصنيفها على أنها انتحار، فقد نحاول أن نحفر في أرضية هذه الغرفة كي نستخرج الرصاصة. وما لم يكن هناك من نبه الحاج حسني السباعي لذلك، لكان الحاج حسني قد ترك الرصاصة كما هي مادام أحدًا لم ينتبه إليها. هذه هي طريقة تفكيره. ما لم ينتبه له الأخرون، تجاهله ولا تلفت نظر أحد إلى وجوده بدلاً من أن تجابه مخاطر أكبر بمحاولتك استعادته. لكنه عندما انتبه لأننا عرفنا من أين يمكننا أن نستخرج الرصاصة، سبقنا وأخرجها هو."
محمود يحكي:
كنت جالسًا على الأريكة أشاهد التلفاز. في الواقع كالعادة كان التلفاز يعرض صورًا متحركة أمامي ولكني كنت قد أغلقت الصوت. كنت أسترجع آخر محادثة لي مع فريدة. كانت محادثة رومانسية بإمتياز. لقد بدأنا نفرش عشنا الذهبي وبدأنا نتحدث عن تفاصيل الآثاث الذي يجب أن نستبدله في شقتها. لقد قررنا أنه من الأفضل لنا أن نقيم في شقة فريدة بعد الزواج. وقد حدثت أمي أمد الله في عمرها محادثة تليفونية وقد وافقت على أن أقيم أنا وفريدة في شقة فريدة بعد الزواج.
إبن اخوها أي إبن خالي كان سيبدأ الدراسة في الجامعة في العام القادم والكلية التي كان يريد الالتحاق بها هي كلية خاصة موجودة فقط في القاهرة، ولا يوجد لها فرع في الاسكندرية، وقد قررت أمي، كما أخبرتني، أن تستبدلني وأن تجد لها إبنًا بديلاً يعيش معها عندما أنتقل أنا للعيش مع فريدة في شقتها، وستأتي بإن خالي للعيش معها في شقتنا بداية من العام القادم بشرط طبعًا أن يستطيع الالتحاق بالكلية التي يريد الالتحاق بها في القاهرة.

كانت أمي سعيدة للغاية لأنني اتفقت مع فريدة على الزواج وطبعًا كنت أعرف من أحاديث أمي وتنويهها دائمًا عن فريدة أن هذا ما كانت تأمل به أمي طوال الوقت ولكني كنت أحاول تقليل حماسها لذلك عندما لم أكن أفكر في زواج فريدة لأنها أنجح كثيرًا مني، ولكني في النهاية قررت أنها مادامت قد رأت الكثيرين ممن يريدون زواجها وظلت تريد أن تتزوجني أنا فعلي أن أسعد نفسي وأسعدها بتحقيق حلم زواجنا وأن أترك المستقبل للمستقبل فالله هو الرزاق في كل الأحوال، ومن يدري لعل الله ينعم علي بالمال عندما أتزوجها، ولكني في جميع الحال آليت على نفسي أن نظل أنا وهي معًا مهما كانت حالتنا المالية.

أنا كنت أحبها وإذا كانت هي تبادلني عاطفة بعاطفة فقد قررت أن هذه بداية ممتازة لأي زواج. قالت أمي أنني وفريدة كنا نضيع أعمارنا وكل منا يأمل أن يتقدم الأخر لطلب يده، وأنه طالما أن فريدة قد بدأت فيجب علي أنا ألا أطيل الأمر كثيرًا فالعمر يمضي ويجب على فريدة أن تتزوج بسرعة إن كنا نأمل في الحصول على أولاد أصحاء.

دق جرس الهاتف واتجهت يدي له بشكل آلي. كان المتحدث هو يوسف وكان أملي وقتها ألا يكون يوسف قد اصطدم بشبح أو دخل إلى شقة أخرى وضربه شخص ما أو حدثت له مصيبة ثالثة.

وسألته: "ألو يا يوسف. كيف حالك؟"

وأجاب: "بخير. الحمد لله على نعمه."

وسألته: "وكيف حال هدير؟"

وأجابني: "هدير بخير. أنا لم أحدثك لأن هناك شيئًا قد ألم بي هذه المرة ولا بهدير. إطمئن. لقد اتصلت إنجي وقالت أنها ستأتي لمقابلتي أنا وهدير في بيتنا هذا غدًا مساءًا."

وأجبته متعجبًا: "إنجي إبنة خالتي أصبحت تطلب ميعادًا لمقابلتكما. ما أعرفه هي أنها تتصل قبل عشر دقائق من نزولها من البيت لمعرفة هل ستكونان موجودين في منزلكما في تلك الليلة لكي تأتي لزيارتكما. أنا شخصيًا غدًا مساءًا سأخرج مع فريدة. سنذهب في

البداية إلى السينما لمشاهدة فيلم تتمنى مشاهدته، ثم سأدعوها إلى مطعم أنيق على العشاء."
وجاءني صوت يوسف: "إنجي قالت أنها مصرة على أن تكون أنت موجودًا في تلك المقابلة. قالت أنها ستحضر ضيفة أخرى معها وأن الموضوع سري للغاية وأنه يخصنا كلنا."
ورددت عليه وأنا أكثر عجبًا: "إنجي إبنة خالتي حدثتك أنت وقالت لك أنني يجب أن أكون موجودًا للاجتماع بها في بيتكم. لماذا لم تحدثني أنا؟ أنا وهي كالأخوة تمامًا. بل لماذا لم تأت وتطرق الباب علي في شقتنا هذه كي تحدثني بما تريده. هي حدثتك أنت عن موعد معي!! لا أدري أجد أن هذا صعب التصديق."
ورد يوسف: "يخيل إلي يا محمود أن هذا الأمر يخص أناسًا أخرين. هي قالت أنها لن تأتي وحدها. هي حتى لم تتصل بهدير رغم أنك تعرف أنهما متقاربتان بشدة. واضح أنها اتصلت بي أنا لأنها لم تكن تريد أن تقوم بتفسير الكثير من الأشياء. هي قالت أننا سنعرف كل شيء غدًا. واضح أنها لا تريد أن تتحدث كثيرًا وأنها تريد تأجيل الأمر كله إلى الغد. هل يمكن أن تؤجل ميعادك مع فريدة؟"
وأجبته: "أمري لله. سأتحدث إلى فريدة وأرى رد فعلها. لو وجدت أن الأمر لا يضايقها ويمكن بسهولة تأجيل موعدنا إلى ما بعد الغد فسأفعل ذلك، وإلا فسأتغيب عن موعدكم مع إنجي ويمكنك أن تحكي لي أنت ما سيحدث. إنجي حتى لم تتصل بي."
وقال يوسف: "قد يمكن أن تأتي قبل أن تذهب إلى ميعادك مع فريدة أو تقوم بتأجيل ميعاد فريدة قليلاً. أنا حددت موعدًا مبكرًا لأنجي في الساعة السابعة مساءًا."
ولم أرد أنا وكنت قد قررت أن أتحدث إلى فريدة وأرى رد فعلها هل ترحب بتأجيل ميعادنا أم تصر لأنني أعطيتها كلمة فإنه لابد أن ألتزم بها. المرء لا يستطيع دائمًا أن يتنبأ بردود أفعال النساء في أمر كهذا.

كنت مخطئًا حين ظننت أن فريدة ستتشبث بميعادي معها في الغد، حيث وافقت فريدة بسهولة جدًا على أن نؤجل الموعد إلى اليوم التالي. قالت لي "وما الفارق بين الغد وبعد الغد. الوقت ملكنا ولو نشأ لديك موعد أخر، فيمكننا بسهولة أن نؤجل الأمر يومًا أخر ولن يحدث شيء." كل مرة أحدث فريدة أحسد نفسي على حظي السعيد في أن حبيبتي متفهمة وتهمل الأشياء الصغيرة وتتخطاها دون أن تلقي لها بالاً.

في اليوم التالي ذهبت وكنت موجودًا في السابعة مساءًا في بيت محمود وهدير. في الواقع بما أنه لم يكن لدي ما يشغلني بشكل خاص في تلك الليلة، فقد ذهبت في السادسة وأصرت هدير على أنها قد أعدت صينية مكرونة بالكريمة رائعة في ذلك اليوم ولما كانت تعرف أنني لم أكن أجيد الطهي وكانت أمي لازالت في الإسكندرية، فقد أصرت أن أتناول الغذاء لديهم ثم أتتني بالحلوى، وقد كان يوسف قد أتى بعدد من تورتات الحلوى لأنه هو شخصيًا كان يحب الحلوى جدًا وكذلك بحجة أن إنجي ستأتي وتحضر معها ضيوفًا وبالتالي فمن الإيجابي أن يحضر حلوى.

حاولت أنا وهدير التواصل مع إنجي في الليلة السابقة وصباح ذلك اليوم بعدما أخبرنا يوسف بالميعاد ولكن إنجي كانت قد أغلقت هاتفها مما ملأني بالفضول وجعلني أذهب إلى بيت يوسف وهدير حتى قبل الميعاد.

أفكاري كانت تحوم حول وجود شجار أو مشكلة ما بين إنجي ومصطفى. هل نقلت إنجي لمصطفى اتهام يوسف له بأنه هو الجاسوس الذي نقل ما حدث في جلسة استدعاء الموتى الثانية للحاج حسني السباعي وتسبب في أن قام الحاج حسني بضرب يوسف. في الواقع أنا كان رأيي أن الحاج حسني السباعي كان يجب أن يخجل مما فعله ويخاف من وجوده في بيت ساهر القصاص أثناء الجريمة وكذلك كان على مصطفى أن يخجل من نفسه لأنه نقل أسرارنا للحاج حسني وليس أن تأتي إنجي الآن للحديث عن الضيق الذي شعر به مصطفى لكي نقوم طبعًا بالاعتذار

للعزيز مصطفى كما توقعت أنا أنها ستفعل. أنا لم أكن لاعتذر لمصطفى، بل كان هو والحاج حسني هما من يجب أن يعتذرا ليوسف على ما فعله الحاج حسني وليس العكس.
أنا كنت أرى في الموضوع تهجمًا واعتداءًا من جانب مصطفى والحاج حسني علينا خاصة إذا حدث ما توقعته وطلبت إنجي منا أن نعتذر لمصطفى على إهانته والإدعاء بأنه جاسوس، وطبعًا كانت كلمة جاسوس هي أقل ما يمكن أن يوصف به مصطفى الذي كان ينقل أخبارنا بدون ضمير أو إحساس بواجب الصداقة للحاج حسني، ولكن بالطبع كان هذا هو مصطفى ولا يمكن توقع تصرف جيد منه.
كنت أنا وهدير ويوسف قد قمنا بوضع الكعك والتورتات وإعداد الشاي للضيوف كي نقدم لإنجي ومن يأتي معها الضيافة الواجبة أيًا كان، فالضيافة لها حقوق مهما كان الضيف.
جلست أنا وهدير ويوسف نتحدث في هذا الأمر. أنا كنت أتحسب لأن من يأتي معها قد يكون مصطفى ووقتها كنت سأصارحه برأيي فيه، ولكن هدير ويوسف قالا أنهما لا يعتقدان أنه من الممكن أن تصطحب إنجي مصطفى لأي من تجمعاتنا بعدما حدثتها هدير على الهاتف في البداية بشكل خشن عندما رأت يوسف مجروحًا وعرفت ما حدث، وقالت هدير لإنجي وقتها أن خطيبها مصطفى كان جاسوسًا علينا. طبعًا إنجي دافعت عن خطيبها مصطفى وقالت لها أن مصطفى ليس جاسوسًا وأنه على الرغم من أن لديه الكثير من النقائص إلا أن نقل الحديث من شخص لأخر ليس من صفاته على الإطلاق، وقالت إنجي أنه صحيح أن مصطفى لديه بعض التعاملات المالية وأنه يعمل مقاولاً من الباطن في بعض المشروعات التي تكون فيها شركة المقاولات التي حصلت على العطاء بشكل رسمي هي شركة الحاج حسني ولكن لا يمكن أن يكون مصطفى قد أخبره بشيء.
اهتاجت هدير وقتها ولامت إنجي على أنها كانت تنحاز لمصطفى بعدما تسبب في ضرب الحاج حسني ليوسف، وأن الأمر لو تم

تصعيده إلى الشرطة فسينتقل الحاج حسني ومصطفى إلى السجن على الأقل بسبب ضرب الحاج حسني ليوسف ناهيك عن موضوع جريمة القتل والتي يعتبر الحاج حسني بعد كل ما استنتجناه هو المتهم الأول فيها. المهم، في النهاية هدأت هدير من لهجتها وتقريبًا اعتذرت لإنجي على أنها احتدت عليها على الرغم من أن إنجي نفسها لم يكن لها ذنب فيما فعله مصطفى وكان طبيعيًا أن تدافع عن خطيبها، فالمرأة عادة تدافع عن الرجل الذي يخصها.
كانت هدير تريد إبقاء علاقتها بإنجي جيدة حيث أن إنجي إبنة خالتنا وكانت دائمًا تساعدنا في الكثير من الأشياء حين نحتاج إليها بالإضافة إلى أنه لا علاقة لها بموضوع ضرب الحاج حسني ليوسف ولا يمكن لومها على ما يفعله مصطفى.
المهم وصلت إنجي وكانت كعادتها أنيقة متجملة متعطرة نضرة ومثل هذا تناقضًا تامًا مع المرأة التي كانت تصحبها. كانت إمرأة محجبة تغطي شعرها وكانت تبدو ذابلة شاحبة اللون متهدلة الجسد ويبدو أنها تعاني من حالة مرضية شديدة تركتها في وضع صحي منهار. كانت تلبس جلبابًا أسود باليًا باهت اللون يمتد من رأسها إلى قدميها من النوع الذي تلبسه سيدات الطبقة الفقيرة، وكانت تبدو في أسوأ حال حتى أنني شعرت بالإشفاق عليها. عافى الله كل مريض. اللهم آمين.
دخلت إنجي مبتسمة وسلمت علينا باليد وقبلت هدير وكذلك فعلت المرأة الأخرى وجلست المرأتان معنا في غرفة المعيشة ببيت يوسف وقالت إنجي وهي ترى نظراتنا للمرأة الأخرى: "ما الأمر. يبدو وكأنكم لم تعرفوها لأنها تحجبت وغطت شعرها وتركت وضع الماكياج حدادًا على زوجها. إنها ملك زوجة ساهر القصاص رحمه الله. كانت تقيم في الشقة في الطابق الأسفل في هذه البناية. غريب أنكم لم تتعرفوا عليها."
ونظرت أنا ليس إلى المرأة ولكن إلى يوسف. أهذه هي المرأة التي كان يحكي ويتحاكى عن جمالها وأناقتها. إن أم علي التي تأتي لتنظيف بيتنا أكثر جمالاً وأناقة بمراحل من هذه المرأة.

وفهم يوسف ما أرمي إليه. نظر لي وهز رأسه وكأنه غير مصدق، وحولت نظري إلى المرأة. لا حول ولا قوة إلا بالله. يبدو أن موت زوجها قد هدها بالمعنى الحرفي للكلمة.
ووجدت هدير صوتها بعد المفاجأة التي أصمتتها لبرهة وقالت بلهجة تبدو وكأنها اتهام وفي نفس الوقت تعبير عن التعجب الشديد: "ما هذا! مدام ملك تحجبت!!"
ووجد يوسف صوته وقال: "أهلاً يا مدام. البقاء لله وتعازينا في وفاة زوج حضرتك. لقد تركت البناية بعد الوفاة مباشرة وبالتالي لم نجد مكاناً نذهب إليه لتقديم واجب العزاء. رحم الله زوج حضرتك وغفر له وأسكنه فسيح جناته ورفع درجاته في عليين إن شاء الله."
وهزت المرأة رأسها وكأنها تتفهم مشاعرنا وتتقبل العزاء المقدم لها.
وقال يوسف وهو يعتذر: "طبعًا لقد أعددنا بعض التورتة والجاتوه لضيافة إنجي التي لم تقل أن حضرتك قادمة معها وإلا لكنا قد قدمنا فقط قهوة سادة كعلامة على الحداد."
وقامت هدير والتي كان يبدو أنها لا تصدق، وكان يبدو عليها بالنسبة لي وأنا أعرفها جيدًا وكأنها تحاول السيطرة على مشاعرها، وبدا لي وكأنها قد وجدت فرصة لمغادرة المكان كي تخفي مشاعرها وقالت: "حالاً سأعد القهوة السادة."
وقاطعت إنجي كل هذه التعزية بحزم وقالت: "إجلسي يا هدير. أنا أريدكم أن أحدثكم في أمر خطير. نحن لم نأتي هنا لتلقي الضيافة ولا لتلقي العزاء."
وبسبب نبرة إنجي الجادة جلست هدير وحولنا كلنا اهتمامنا نحو إنجي والتي قالت: "حدثتني هدير منذ عدة أيام وقالت أنها تشك في أن مصطفى يعمل كجاسوس علينا لصالح الحاج حسني السباعي وقالت أنه ولابد قد أبلغ الحاج حسني بتفاصيل جلسة استدعاء الأموات الثانية وما قالته فريدة كوسيط في تلك الجلسة. أنا وقتها دافعت عن مصطفى."

نظرت إنجي إلى يوسف والذي قال: "أنا قلت أن هناك جاسوس ولكن لم أقل مصطفى بالذات."
طبعًا كان هذا جبنًا من يوسف أو قل هو تحرج بسبب أن إنجي ومدام ملك في منزله.
وردت إنجي: "لقد كنت مخطئًا يا يوسف. مصطفى لم يبلغ الحاج حسني بشيء. أنا من تحدثت إلى ملك وأخبرتها عن جلسة استدعاء الأموات تلك وما قالته فريدة في تلك الجلسة وقد اتصلت ملك بالحاج حسني وطلبت منه سرعة استخراج الرصاصة من مكانها وأن يخرجها في اليوم التالي مباشرة بعد جلسة استدعاء الموتى حتى يسبقكم إلى الرصاصة إن حاولتم استخراجها."
طبعًا كان هذا آخر ما توقعت سماعه. إنجي كانت هي الجاسوسة علينا وهاهي تعترف بمنتهى الصراحة بل قل الوقاحة ونظرت إلى يوسف وهدير وكانت نظراتهما تدل على أنهما تائهين ولا يدريان ماذا يفعلان وقد فوجئا مثلي تمامًا بهجوم إنجي المباغت وبما قالته.
وأردفت إنجي موضحة ما أصبح واضحًا تمامًا: "يوسف كان على حق. كان هناك جاسوس وكنت أنا الجاسوس."
ورددت أنا عليها: "عذرًا يا إنجي، ولكن ما هي مصلحتك من هذا كله؟ لماذا أبلغت الحاج حسني؟"
وردت إنجي بثبات: "لأنني مشتركة مع ملك في الجريمة أو قل في التستر على الجريمة لأن أيًا منا لم تقتل ساهر القصاص. أنا من دبرت وخططت ونفذت كي أزيل كل الأدلة التي كانت تربط صديقتي ملك بواقعة مقتل زوجها ساهر القصاص وذلك كي تتوصل الشرطة حين تأتي إلى مكان الحادثة إلى أن المرحوم قد قتل نفسه بنفسه وبالتالي يتم تقييد الأمر على أنه انتحار."
وصرخت هدير في هستيريا: "هل هذا معقول يا إنجي!! أأنت تفعلين ذلك؟"
وردت إنجي بإنفعال: "ضعي نفسك في مكاني ليلتها. لم أكن قد رأيت ملك لفترة طويلة وجهًا لوجه حين ذهبت إليها في شقتها في

هذه البناية في تلك الليلة. وجدتها في موقف حرج للغاية. زوجها جثة هامدة في غرفتها وهي جالسة على السرير تبكي، وكان من الواضح وقتها أنها ليست لديها خطة لفعل أي شيء وأنها تعتقد أنها لا حول لها ولا قوة في ذلك الموقف وأنه لا يوجد شيء يمكن فعله حيال ذلك الموقف. وقتها كذلك لم تحدثني ملك عن الحاج حسني السباعي، ووقتها لم يكن حديثها عن الحاج حسني السباعي ليحدث أي فارق في الموقف. كانت هناك جثة ساهر القصاص وبجانبها المسدس الذي قتله وكانت هناك زوجته تبكي والرجل مات في غرفتها، ولو كانت الشرطة قد وصلت ساعتها لكان مصير ملك هو الإعدام شنقًا وضياع مستقبل ولديها."

وقالت هدير ترد على إنجي وهي تنظر نظرة نارية تجاه مدام ملك والتي طأطأت رأسها باستسلام تحت نظرات هدير: "إنها هي من تسببت في تضييع مستقبل ولديها."

وردت إنجي وهي مهتاجة بسبب حديث هدير ونظراتها: "أنا أعرف ملك منذ كانت صغيرة. لا تقدر على العنف. تصيبها حالة ذعر وتخفي وجهها فقط عندما تحدث حالة عنف أمام عينيها. ملك لا يمكن أن تقتل. أنا كنت زميلتها من أيام الحضانة وظللت أقرب صديقاتها لها لسنين. هذا الشيء لا يمكن تغييره. حالة الذعر التي تصيبها حين تشاهد مشاهد عنف تصيبها بالشلل. لا تستطيع بعدها أن تتحرك من مكانها. لا يمكنها أن تقتل. وقتها حين رأيت ملك هكذا لم يهمني من قتل ساهر القصاص، بل ولم أسألها حتى عمن قتله. الشيء الوحيد الذي كان يهمني وقتها أن تنجو ملك من الإعدام أو من سجن طويل جدًا لا تستحقه."

الفصل العاشر: ماذا حدث ليلة وفاة ساهر القصاص؟

دفع يوسف كوب عصير الليمون الذي كان أمام إنجي بحيث تنتبه لوجود الليمون لكي تهدىء من اندفاعها. سكتت إنجي ثم تناولت رشفتين وبدأت تهدأ، ثم بدأت تتحدث ثانية في حين بقينا نحن الأربعة صامتين.

قالت إنجي: "ليلتها لم أكن زرتها ولم أكن قد رأيتها وجهًا لوجه لفترة طويلة كما قلت لكم، وحين رأيتها في ذلك الوضع وهي تبكي ولا تعرف كيف تتصرف، كان علي أنا أن أتصرف."
وتحدثت هدير بخشونة ثانية. أنا كنت وقتها أشفق على إنجي. إنجي التي كانت تتصف بالشهامة والحس العالي بالمسئولية وكنا جميعًا نعرف عنها ذلك، وكم أوقعت نفسها في مشكلات بسبب شهامتها ودفاعها في الأوقات الحرجة عن أناس تخلى عنهم الجميع ولم يجرؤ أحد على الوقوف إلى جانبهم عندما يطؤهم بقدمه شخص قوي أو معتز بسلطانه. تلقت وقتها الضربات ولكن سلوكها ظل هو نفسه مع الجميع. أنا كنت أفهم أنها تصرفت بدافع الصداقة ولكن هدير التي كانت ترى الأشياء إما سوداء وإما بيضاء بلا ألوان رمادية في المنتصف لم تكن تفهم ذلك. يوسف كان يبدو متحفظًا وأظن من معرفتي ليوسف أنه كان يحاول أن يحافظ بحياديته في نظره إلى الأمر منتظرًا نهاية حديث إنجي لكي يحكم على الأمر.
وقالت هدير: "تتحدثين هكذا مباشرة، بدون مواربة. بالله عليك ألا تعتقدين أن ما فعلتيه كان حرامًا؟"
وردت إنجي وقدعادت تحتد من جديد: "الحرام كان أن أتركها تعدم أو تسجن لفترة طويلة لأنها بالفعل لم تقتله ولم تكن تخطط لقتله. ما حدث كان مفاجئة بالنسبة لها. كانت تبكي بحرقة وكانت تفعل ذلك بشكل عفوي جدًا. أنا أعرفها. ربما كان ما حدث صدفة وربما لم يكن ولكن ملك لم تكن مشتركة في قتل زوجها ولم يكن من العدل أن تعدم أو تسجن لفترة طويلة وأن يتشرد ولداها. أنا فعلت ما أملاه علي ضميري. المرحوم بشكل ما كان يستحق ما حدث له. لم يكن حانيًا عليها. كنت أحدثها كثيرًا هاتفيًا وكانت تشكو مر الشكوى من معاملته السيئة لها ولكنها لم تقتله."
ورددت أنا على إنجي وقد ضقت ذرعًا بدفاعها عن تصرفات مدام ملك. حتى لو كانت مدام ملك لم تتآمر لقتل زوجها، فهي كانت السبب في قتله وكانت تصرفاتها طوال الوقت دون المستوى طبقًا

لمعاييري أنا. معاملة الرجل السيئة لزوجته لا تعني أن تتخذ زوجته عشيقًا ولا أن تتسبب في قتل زوجها، ثم ما أدرانا أنها بالفعل لم تقتل زوجها.
قلت لإنجي: "عذرًا يا إنجي. نحن نظن أننا نعرف الناس ولكن مرور الزمن يغيرنا ويغيرهم. بعد عدة سنوات من تغير الظروف، لا يعود الناس هم أنفسهم ما كانوا عليه قبل ذلك، بل تتغير نفسياتهم. تبقى أشكالهم كما هي ولكن دواخلهم قد تتغير مائة وثمانين درجة ويصبحون تقريبًا عكس ما كانوا عليه وقتما كانوا قريبين منا. إسمحي لي. إذا كنت لم تريها لفترة طويلة فإنك لا تعرفينها. أنا لا أقول أنها قتلت زوجها عمدًا ولكن تحت ظروف معينة يمكن للإنسان فجأة أن يفعل أي شيء."
وردت إنجي محتدة على ما قلته ومدافعة مرة أخرى عن صديقتها: "يا محمود هي لم تقتله، والأسوأ أنها لو وجهت لها تهمة القتل لما قامت باتهام القاتل الفعلي ولا الشهادة ضده، بل لكانت قد صمتت أمام الاتهام ولم تنف التهمة حتى عن نفسها ووقتها أنت تعرف ماذا سيكون مصيرها. أنا كان يجب أن أتدخل وأنقذها وهذا من وجهة نظري هو تحقيق العدالة. لا يجب أن تدفع ملك ثمن جريمة لم ترتكبها ولا أن يضيع مستقبل وسمعة ولديها. هذا هو الظلم بعينه."
وردت هدير: "ولكن لم تخبريني قط أنك تعرفين ملك زوجة ساهر القصاص. كنت تعرفين أنني أسكن في الطابق الذي يعلو الطابق الذي تسكن فيه في نفس البناية ولم تخبريني أنك تعرفينها."
ورد إنجي: "أنت أصلاً لم تتحدثي معي إطلاقًا عن ملك، ولم تقولي لي أبدًا أنك تعرفينها. أنا كنت أظن أنه لا علاقة لأي منكما بالأخرى، وطبعًا طبيعي أنك لم تعرفي أنها صديقتي. أنا عشت معظم حياتي في الإسكندرية وبالتالي فعلى الرغم من تقاربنا، فأنت لا تعرفين صديقاتي، كما أن ملك قد تركت الإسكندرية إلى القاهرة منذ زمن وبالتالي لم تريها معي أبدًا عندما كنت تأتين لزيارتنا بالإسكندرية، ثم أنني لم أكن أزور ملك لأن زوجها ساهر القصاص

رحمه الله لم يكن يحبني. لم أرد أن أسبب لها مشكلات بزيارتي لها، ولم يكن من المناسب لي أن أقول للناس أن أحدهم لسبب ما يمنعني من زيارة زوجته لأن الناس سيخطر ببالها وقتها أنه لابد وأنني قد فعلت شيئًا سيئًا لكي يفعل ذلك الرجل ذلك ولم أرد أنا أن أتحدث عن ساهر القصاص بشكل سلبي أمام الناس وبالتالي لم أذكر الأمر برمته."

وأردفت إنجي تحكي: "في بداية زواجهما كان ساهر لطيفًا معي ثم أصبح يتهمني أنني أحرض زوجته ضده وبعدما فشلت مشروعاته بعد وفاة والده أصبح لا يطاق ولهذا أنا لم أكن أزورها في بيتها بل كنت فقط أكتفي بالحديث هاتفيًا معها والاطمئنان عليها فقط عن طريق الهاتف."

وعادت هدير توجه لها الاتهامات: "كنت تجلسين وسطنا طوال الفترة السابقة وكأنك لا تعرفين شيئًا عن جريمة القتل. تركتينا نضرب أخماسًا في أسداس دون أن تقولي شيئًا وكأننا لسنا أقاربك وأصدقائك وكأننا لا نمثل شيئًا بالنسبة لك."

وصاحت إنجي: "يا جماعة قدروا موقفي. لقد أصابني الرعب في جلسة استدعاء الأموات الأولى. كنت قد أتيت مباشرة من بيت ملك بعدما ساعدتها على أن تغير موقع الجريمة لتجعل الجريمة تبدو وكأنها انتحار وبعدها أقنعتها أن تتماسك وأن تتصل بالشرطة وتقول لهم أن زوجها قد قتل نفسه. طبعًا كنت قد تركتها وهي بالفعل منهارة وتبكي بشدة ولا تستطيع السيطرة على نفسها وما حدث أمام الشرطة في تلك الليلة لم يكن تمثيلاً. هي فوجئت بواقعة القتل ولم تكن مستعدة لها وحزنها الذي أظهرته أمام الشرطة كان حقيقيًا."

وقال يوسف: "بعدما انصرفت الوسيط فريدة من بيت طنط سامية، إن كنت تعتبرين نفسك بين أقاربك وأصدقائك وقتها كان بإمكانك أن تحدثينا وأن تشرحي لنا ما حدث. وبعدها مر وقت طويل بعد جلسة استدعاء الأموات الأولى ولم تقولي شيئًا."

وردت إنجي وقد بدأت تهتاج ثانية: "أنا ليلتها لم أكن في حالتي الطبيعية. كنت قد تعبت بدنيًا بعدما حملت أنا وملك جثة المرحوم ونقلناها إلى حمام غرفته ثم إلى غرفته، ونزلت وقتها من بيت ملك في هذه البناية على السلالم وليس بالمصعد لأنني لم أكن أريد أن يراني أحد، وعادة ما يكون هناك أناس متجمعين أمام المصعد عندما ينزل المرء بالمصعد في هذه البناية. وبينما أنا أنزل على السلالم بسرعة، سقطت على السلالم وجرحت ركبتي وأصابتني رضوض بها وكانت ركبتي تؤلمني بشدة طوال تلك الليلة وكنت خائفة ومرتبكة كما أصابني شعور شديد بالبرد على الرغم من الحرارة العالية للجو في تلك الليلة. ظللت طوال تلك الليلة قلقة من أن تعترف ملك للشرطة بما حدث وتورطني معها في جريمة القتل."

كان من الواضح أن إنجي قد تعبت من انفعالها. ودفع يوسف أمامها بكوب عصير الليمون الخاص به كما لو كان يحضها على الشرب منه، وبالفعل توقفت إنجي عن الكلام وشربت رشفتين من العصير الخاص به ثم قالت: "بعدها ذهبت إلى بيت خالتي سامية لأجد الوسيط في جلسة استدعاء الموتى تحكي تقريبًا بالتفصيل كل ما فعلته أنا في بيت ملك قبل أن أذهب إلى بيت خالتي وعن وفاة ساهر القصاص. تسمرت من المفاجأة. لم يكن الأمر طبيعيًا وخُيل إلي أن الله أراد أن يفضحني لأنني قد جعلت وفاة ساهر تبدو وكأنها انتحار وبالتالي فسوف يضيع حقه في القصاص. لم أكن قادرة على التماسك أو ضبط نفسي. شعرت بأنني سأنكشف ليس أمامكم فقط ولكن أمام خطيبي مصطفى والذي كان سيبلغ الشرطة بلا مواربة لو عرف بدوري في ذلك الأمر. كنت أشعر أن الوسيط فريدة ستقول إسمي في اللحظة التالية وظللت كذلك طوال جلسة استدعاء الموتى. كنت أشعر أن ستري سينكشف وسيعرف الجميع بما فعلته. كنت مرتعبة وخائفة ومرتبكة ومتحيرة. أعتقد أن أيًا منكم لو وضع نفسه مكاني لفهم ما كنت أشعر به وقتها."

وجدت أنا أن سلوكها في إخفاء الأمر طوال تلك الفترة يمسني أنا شخصيًا ويوحي أنها لم تكن تثق بي ولا تثق بأمي، رغم أن أمي كانت تهتم بها كأبنة لها، وكانت أمي قد طلبت من إنجي أن تقيم في بيتنا عندما جاءت إلى القاهرة ولكن إنجي هي من رفضت وتمسكت بأنها تعتقد بأنها وأمي ستشعران بالحرية بشكل أكبر لو كانت هي أي إنجي تعيش في مكان أخر غير بيتنا، ولكن أمي كانت تريدها أن تعيش في بيتنا حيث أنها كانت تعتبرها إبنة لها، ولهذا قلت لإنجي معاتبًا: "وطبعًا كان من حسن حظك أن فريدة لم تقل شيئًا عنك ولم تتذكر شيئًا عما قالته هي نفسها في جلسة استدعاء الموتى بعدما استفاقت من الجلسة، ولكنك حتى اليوم ومنذ تلك اللحظة لم تقولي شيئًا."

وردت إنجي: "أنا ظللت لأيام بعدها غير قادرة على استيعاب الأمر. مر وقت طويل منذ جلسة إستدعاء الموتى تلك حتى فهمت أن أحدًا لا يربط بيني وبين ما قالته الوسيط في تلك الليلة وأنكم لا تعرفون عم كانت فريدة تتحدث ولا تدركون أنني كنت متورطة في الأمر. ظللت صامتة لأنني لم أكن أعرف ماذا أقول في البداية، ثم خفت إن قلت شيئًا أن تجدوا علاقة بيني وبين ذلك الأمر وأن يصل الموضوع إلى خطيبي مصطفى. ظللت صامتة وأنا لا أعرف إلى أين يتجه ذلك الموضوع. كنت أشعر وكأنني أغرق وكنت في حالة رعب شديدة طوال تلك الفترة وبدأت أصلي بانتظام ولكني لم أكن أستطيع التركيز في أي شيء ولم أكن أستطيع التفكير مطلقًا. ظللت مشتتة قلقة وصمتت بما أنني لم أعرف ماذا أفعل."

وسكتت إنجي وأعيننا كلها عليها ثم قالت: "وكذلك ففي تلك الفترة لم أستطع التحدث إلى أي شخص. أنا تقريبًا قاطعت مصطفى في تلك الفترة لأنني خفت أن يزل لساني أمامه بشيء وحتى ملك لم احدثها لأسبوعين بعدما ذهبت إلى الاسكندرية للعيش هناك وحتى في محادثاتنا الهاتفية بعد ذلك خفنا أن نتحدث عن تلك الليلة التي مات فيها ساهر القصاص. لمدة أسبوعين أنا لم أحدث ملك وهي لم

تحدثني. كنت أحدث نفسي فقط وأتخيل كل السيناريوهات المرعبة لافتضاح أمري وكنت مرعوبة ولا أدري ماذا أفعل."
وسأل يوسف إنجي: "وما الذي جعلك تتصلين بملك وتخبرينها بما حدث في شقة جارنا عمو سعيد الله يرحمه وهي كما تعلمين الشقة المجاورة لشقتنا هذه."
وصاحت إنجي: "حقًا. هناك شيء تذكرت أنني يجب أن أحذركم منه. أنا لم أخبر مصطفى بموضوع ضرب الحاج حسني ليوسف ولا بموضوع أن يوسف قال أن بيننا جاسوسًا ولا بحديث هدير لي عن أن مصطفى هو الجاسوس. أنا لم أخبرك بالحقيقة وقتها يا هدير وبأنني أنا كنت الجاسوسة لأن الأمر كما تفهمين حرج وكنت أحتاج لبعض الوقت لأفكر فيه قبل أن أخبرك بأي شيء. المهم، أنني أرجوكم أنتم الثلاثة ألا تخبروا مصطفى بشيء. على الرغم من أن مصطفى قد حضر جلستي استدعاء الموتى وتم إخباره بدخول يوسف ومحمود إلى شقة ساهر القصاص إلا أنه بالفعل لا يعرف شيئًا حقيقيًا وهو لا يعرف ملك ولم يكن بالطبع يعرف المرحوم ساهر القصاص. هو كذلك لا يعرف مسألة كون الحاج حسني السباعي له علاقة بذلك الأمر وأرجو ألا يخبره أحد بذلك، فهو يعمل في بعض مشاريع الحاج حسني السباعي كمقاول من الباطن."
وطبعًا كنا نحن نعرف تلك المعلومة عن مصطفى وأنه يعمل مع الحاج حسني ولهذا ظننا أنه يعمل كجاسوس للحاج حسني علينا.
وأردفت إنجي: "مصطفى نظر للأمر كله كأن محمود ويوسف كانا يسعيان للدخول في مغامرات وأنه لا يبالي بمثل هذه الأمور البلهاء. أنا أريد أن يبقى الوضع كما هو وألا يعرف مصطفى بأي من التطورات التي حدثت بعد جلسة استدعاء الموتى الثانية ولا بالحقيقة التي أخبركم بها الآن. أنتم تعرفون أنني ومصطفى على وشك الزواج، ومصطفى لن يتزوجني لو عرف أنني ساعدت ملك في جعل موت زوجها يبدو انتحارًا بل هو سيبلغ الشرطة ويتسبب في سجني وسيعتبر أن هذا هو واجبه تجاه المجتمع وربما تجاه الرجال في المجتمع بالذات."

وبعدما انتهت، نظر إليها يوسف وقال لها بحدة: "لقد تركتينا نلف وندور في أماكننا وأنت تعرفين كل شيء وحضرت جلسة استدعاء الموتى الثانية ولم تكوني وقتها متحيرة ولا كان يبدو عليك القلق. كنت في حالة ممتازة وقد جئت إلى تلك الجلسة متزينة نضرة ولم يكن بك شيء ومع ذلك لم تخبرينا بشيء، بل أبلغت الحاج حسني عن طريق مدام ملك بما قالته الوسيط فريدة في تلك الليلة من أنه يمكن استخراج الرصاصة فقط من أرضية شقة عمو سعيد كي يأتي هو ويستخرجها. ألا ترين أن هذا السلوك خيانة لثقتنا فيك؟"

وردت إنجي: "أنا لم أقل لكم شيئًا لأن حكايتي عما حدث ليلة وفاة ساهر القصاص لم تكن لتفيدكم بشيء. بم كان سيفيدكم معرفة أنني ساعدت ملك في جعل الوفاة تبدو كانتحار؟ كان يمكن لهذا الشيء أن يضرني ويضر ملك ولكنه لم يكن ليفيد أيًا منكم مطلقًا. أنا قلت لنفسي أنكم ستملون هذا الأمر بعد فترة قصيرة فالأمر لا يعنيكم وأنتم، على حد علمي، لدى كل منكم العديد من المشاغل والواجبات اليومية والعامة."

وسألت إنجي بغضب: "ولماذا جئت الآن مادام الأمر لا يعنينا؟ طبعًا أنت مرحب بك في كل وقت في بيتنا هذا. أنت ابنة خالتي وأخت عزيزة ولكن لماذا قررت أن تصارحينا الآن؟"

وردت إنجي: "أنا جئت هنا الليلة لأنكم أخوة لي وأقارب وأصدقاء أعزاء وأنا أعرف أن صالحي يهمكم، ولولا ذلك لما جرؤت على القدوم ومصارحتكم بالحقيقة. أنا كنت قد قررت ألا أتكلم وأن أترككم حتى تملوا من هذا الأمر خاصة وأنني لاحظت أنه لا نية لكم للاتصال بالشرطة بعد ما عرفتموه عن الجريمة، ولكن عندما أخبرتني هدير أن الحاج حسني قابل يوسف في تلك الشقة فوق شقة ملك وضربه على رأسه، قررت أنا وملك أن الأمر قد أصبح خطرًا، وقررنا أن نأتي ونخبركم بالقصة كلها. ما جعل يوسف يصطدم بالحاج حسني هو فضوله لمعرفة الحقيقة ولهذا قررنا أنا وملك أن معرفتكم للحقيقة هي فقط ما تريدونه وأن الأمر سينتهي حين نخبركم نحن بالحقيقة كلها."

طبعًا كان الشيء المثير للفضول أنه بينما جلسنا أنا ويوسف وهدير نناقش إنجي ونستجوبها وكانت هي تحتد ثم تهدأ ثم تحتد ثانية جلست صديقتها ملك صامتة تمامًا وكأنها ليست موجودة بالمكان مطلقًا وكأن الأمر لا يخصها البتة.
ولهذا قلت أنا لإنجي: "من فضلك يا إنجي. أنا أرجو أن تحكي مدام ملك بنفسها القصة كلها، فالقصة قد بدأت قبل زيارتك لها في تلك الليلة وهناك تفاصيل هي فقط من تعرفها."
سكتت إنجي وابتسمت المرأة المتشحة بالسواد ابتسامة واهنة ضعيفة وقالت: "أنا لم أكن أريد أن يحدث شيء مما حدث ليلة وفاة ساهر رحمه الله. جذور المشكلة أصلاً كانت في زواجي من ساهر. لم يكن يجب أن أتزوجه. حين تعرفت عليه كان مختلفًا تمامًا عن الشخص الذي أصبح عليه وقت موته. عندما تعرفت عليه كان ناجحًا وسعيدًا ومتفائلاً ويشعر أنه ملك الدنيا بأسرها بارتباطه بي وكان يشعر أن الحياة كانت تسير في الطريق الصحيح بالنسبة له وانه مع الوقت سيحصل على كل ما يتمناه وكان يتمنى الكثير."
وأردفت ملك: "في بداية زواجنا كان والد ساهر لايزال حيًا وكان يدير الشركة التي كان يعمل بها ساهر وكان ساهر ينفذ أوامره فقط. لم يكن أبوه يُشركه في عملية صنع القرار في الشركة، وكان ساهر يعترض على ذلك، وكان كذلك يعترض على الإيقاع البطيء الذي تتحرك به الشركة وأن والده يتعمد عدم التعاقد على المشروعات الكبيرة جدًا التي تستطيع الشركة تنفيذها. كان والد ساهر وقتها يتجنب الأعمال الكبيرة ويركز على المشروعات الصغيرة والمتوسطة ويقول أن هذا يحقق للشركة أمان أكبر، وكان هذا يضايق ساهر ولكن ساهر كان يحب والده كثيرًا، وكنا سعداء للغاية أنا وساهر وقتها وكان كل شيء بيننا على ما يرام. أنجبنا ولدينا في بداية سنين زواجنا وكانت حياتنا مستقرة."
توقفت ملك وكأنها تبحث عن الكلمات لتحكي نقطة التحول في حياتها وأنتظرنا نحن ما ستقوله ولم يتحدث أحدٌ منا بكلمة.

وأكملت ملك: "المشكلات كلها بدأت عندما توفي والد ساهر واعتقد ساهر وقتها أن الوقت قد حان لكي يتخلص من الإيقاع البطيء لحركة الشركة والذي كان أبوه رحمه الله يصر عليه. بعد وفاة والده قام ساهر رحمه الله بمغامرات غير محسوبة ودخل في عدة مشروعات كان يتوقع لها أن تحقق ربحًا كبيرًا في وقت قصير، وللأسف تبين فيما بعد أن تلك المشروعات التي دخل فيها كانت غير مربحة وأن المستشارين الجدد الذين أتى بهم للشركة لم تكن لديهم الخبرة الكافية ولم يعطوه معلومات صحيحة عن الأمر. المهم، خلال فترة قصيرة أفلست الشركة وأنتقل حالنا بعدها من سيء إلى أسوأ. بالنسبة لي لم يكن الأمر مريعًا. كان لدينا دائمًا المال الكافي للإنفاق بشكل معقول على نفسينا وعلى ولدينا وهذا هو المطلوب من المال في نهاية الأمر، ولكن تأثير إفلاس الشركة على ساهر نفسه كان شديدًا جدًا. لم يحتمل أنه قد ارتكب كل تلك الأخطاء وتسبب في ضياع معظم المال الذي ورثه عن والده. أصبح عصبيًا بشكل لا يطاق."

وأكملت ملك حكايتها وقالت: "ربما بالنسبة لي أنا حاولت أن أواسيه وأفهمه أنه رغم كل شيء سيبقى لدينا مالٌ كافٍ لحياتنا وأنني شخصيًا نشأت في أسرة متوسطة ولم أكن معتادة على حياة الترف التي عشتها أيام كان أبيه حيًا، ولم يكن لدي مشكلة في أن أنتقل إلى حياة أبسط من تلك التي كنت أعيشها في الفيلا التي كان يمتلكها والد زوجي."

ومدت ملك يدها إلى زجاجة مياه كانت على الطاولة أمامها وفتحتها وصبت منها بعض الماء في كوب ورشفت رشفتين ثم استكملت حديثها بينما بقينا نحن جميعًا صامتين. قالت ملك: "التغيير الأسوأ في طبع ساهر كان عندما حجز البنك على الفيلا التي كنا نقيم فيها وكان ساهر قد قضى فيها فترة طفولته وشبابه وانتقلنا للعيش في الشقة الموجودة في هذه البناية. وقتها أصبحت حالة ساهر النفسية سيئة للغاية ولم يعد يطيقني أو يحتملني. أصبحت معاملته لي سيئة للغاية. كان الكثير من أصدقاءنا القدامى والكثير منهم من المشاهير

حيث أن والد ساهر كان يحب أن يتواجد بعض المشاهير دائمًا في حفلاته. أقول الكثير من أصدقاءنا القدامى قاطعونا بعدما قل مالنا ولم يعودوا يزوروننا بل انقطعوا عنا فجأة، ولكن الكثير من أصدقاءنا ظلوا يزوروننا في هذا البيت. أحد الذين ظلوا يزوروننا كان حسني السباعي والذي أصابه الحزن بسبب معاملة ساهر السيئة لي وعرض علي حسني صداقته وأنا قبلتها لأنني كنت أحتاج إلى من يواسيني ويسري عني.. و"

وقاطعها يوسف وسأل: "وكيف حدث موت ساهر رحمه الله؟"

وابتسمت ملك ابتسامة واهنة وكأنها تعتذر عن إطالتها في الحديث عن علاقتها بالحاج حسني .. وأنها لم تمر على ذلك مرور الكرام حيث يبدو أن حديثها قد أغضب يوسف، وقالت ملك: "ليلة وفاة ساهر رحمه الله كان قد أخبرني أنه سيخرج في الليل ليسهر وكان ينوي أن يخرج مبكرًا لحضور حفل زفاف أحد أصدقاءه. كان يتحضر للخروج ويحلق ذقنه ويعد ملابسه وكنت أنا قد سمحت لولداي ومربياتهما بالخروج إلى أحد المولات التجارية القريبة لكي يتناولوا وجبة العشاء بها ويمارسوا التزلق على الجليد ويلعبوا ببعض الألعاب الموجودة بالمول، وأعطيت الشغالة الأخرى التي كانت متواجدة بالشقة في تلك الليلة إجازة طول الليل. كان ساهر يجهز نفسه للخروج وعادة لم يكن ذلك يستغرق الكثير من الوقت، لهذا حدثت أنا حسني كي يأتي لزيارتي وقلت له أن الأولاد بالمول وساهر سيخرج خلال فترة قصيرة لقضاء الليلة بالخارج."

ما أدهشني أنا محمود وكانت هذه هي أول مرة أرى فيها تلك المرأة ملك كان أنها كانت تتحدث بشكل اعتيادي تمامًا عن أنها كانت تواعد رجلاً أخر غير زوجها ليأتي إلى بيتها بعدما علمت أن زوجها ينوي الخروج لقضاء الليلة خارج المنزل وكأن هذا كان الشيء الطبيعي. أحسب أن هذا الخاطر ربما جال في خلد يوسف وهدير ولكن من الواضح أنهما كانا معتادين على تلك المعلومة وهي أن تلك المرأة ملك التي لم تكن في تلك اللحظة تبدو أمامي مغرية ولا جميلة ولا بها شيء من الجاذبية كانت تخون زوجها.

لم يبد عليهما شيء وكذلك كان من الواضح أن إنجي كذلك كانت متصالحة مع تلك المعلومة وهي خيانة صديقتها لزوجها وبقينا جميعًا صامتين وكل له أفكاره. أحسب أن ما أسكتنا هو الحرج هذه المرة. نحن من شعرنا بالحرج بسبب حديث تلك المرأة عن خيانة زوجها وكأنه شيء طبيعي.
وأكملت ملك حكايتها وقالت: "المشكلة أن شفرة الحلاقة الموجودة في ماكينة الحلاقة الخاصة بساهر، وهو كان يفضل استخدام ماكينات الحلاقة اليدوية، لم تكن حادة بالقدر الكافي، ولهذا خرج ساهر من غرفته يبحث عن بعض شفرات الحلاقة الجديدة التي كنت عادة ما اشتريها له عندما أذهب للتسوق لطلبات البيت وأضعها خارج غرفته إذا وجدت باب غرفته مغلقًا. كنت قد نسيت اللوح الالكتروني الخاص بي "التابلت" على الطاولة الصغيرة عند باب غرفتي وكان يوجد فوق تلك الطاولة معلقًا على الجدار خزانة صغيرة كنا نضع بها بعض النثريات التي نستخدمها عادة مثل شفرات الحلاقة التي كنا نشتريها لساهر وبطاريات الساعات والريموت الخاص بأجهزة التلفاز وأشياء كهذه. خرج ساهر يبحث عن الشفرات في تلك الخزانة. وقعت عينه على التابلت الخاص بي وأخذه وفتحه وفتح البريد الالكتروني الخاص بي ووجد رسائل حسني لي."
توقف ملك للحظة وهزت كتفيها وكأنها تأسف لما حدث وقالت: "انتابته حالة غضب شديدة وأخذ يصرخ: "أنت يا هانم. الآن أصبح يكتب لك رسائل غرامية. هل تخونينني؟ هل تجعلين مني مغفلًا. سأريك ما سأفعله بك." كنت أنا أسمعه من خارج باب غرفة نومي وأسرعت أبحث عن المفتاح كي أغلق باب غرفة نومي بالمفتاح لأنني كنت أعرف أن ساهر سيأتي لينتقم مني ولكني لم أجد المفتاح. لا أدري أين وضعته. كنت أسمع ساهرًا يبحث بسرعة عن شيء في غرفته. عاد ساهر من غرفته يحمل مسدسه الكاتم للصوت وفتح باب غرفتي ودخلها وهو يحمل مسدسه. أصبت وقتها بحالة رعب شديدة. جلست على فراشي وانتابتني تلك الحالة

التي عادة ما تأتيني كلما واجهت تهديدًا بالعنف أو رأيت مشهد عنف أمامي في الواقع. وقتها أتصلب ولا أستطيع أن أنطق أو أتحرك أو حتى أفكر."
وتقلصت ملامح المرأة ملك وجحظت عيناها وكأنها تعيش ذلك المشهد الذي حدث ليلة وفاة زوجها من جديد وقالت: "أنا حاولت أن أهدئه وقلت له: "حسني هو من كان يرسل لي تلك الرسائل. أنا قلت له أنني إمرأة محترمة وحتى لم أرد على رسائله ولكنه استمر في إرسال الرسائل إلي. أنا قلت له أنني زوجة محترمة. والله قلت له أنني زوجة محترمة."
وسكتت ملك للحظة ومدت يدها ثانية تصب لنفسها ماءًا في كوب وتشرب منه ثانية ثم قالت: "حسني كان معه مفتاح شقتنا. أنا كنت قد أعطيته له منذ فترة ليدخل إلى شقتنا أثناء غيابي أنا وساهر والأولاد عن البيت ويضع لي بعض الهدايا في غرفتي دون أن يراه أحد. من الواضح أنه عندما كان ساهر يهددني بالمسدس كان حسني قد وصل إلى باب الشقة ووقف كعادته يتنصت على الباب ليتأكد من أن ساهر قد غادر الشقة."
وأردفت ملك تقول: "صرخ ساهر بي: "يا خائنة. سأقتلك. سأقتلك." أنا ذكرته بولدينا وقلت له: "فكر في ولدينا. لو قتلتني فسيتم سجنك ووقتها سيُترك ولدانا وحيدين بلا أم ولا أب."
كانت ملك تتحدث بانفعال شديد وأكملت ملك: "عندما سمع حسني من وراء الباب حديث ساهر ذاك واستعطافي له فتح باب شقتنا بمفتاح الشقة ودخل لكي ينقذني. كان معه مسدسه الكاتم للصوت الذي أعطاه له ساهر قبل فترة. فجأة سمعت أنا وساهر المفتاح يدور في قفل باب الشقة. كان حسني يعرج ولكنه كان يستطيع رغم ذلك أن يمشي بسرعة معتمدًا على عصاه. توقف ساهر عن تهديدي عندما سمع المفتاح يدور في القفل وفجأة وجدنا أنا وساهر حسني بيننا."
وسكتت ملك للحظة وقالت: "هذا الأمر أغضب ساهر بشدة حيث أن امتلاك حسني لمفتاح الشقة لا يعني إلا أنني أنا من أعطيته مفتاح

الشقة وهذا يثبت العلاقة بيننا. بمجرد وصوله إلى غرفتي دخل حسني وكان يحمل مسدسه وخاطب ساهر مهددًا: "ساهر اترك المسدس من يدك فورًا وإلا." كان حسني مهتاجًا ولكي يثبت أنه لا يهدد فقط بدون تنفيذ أطلق رصاصة إلى الأعلى فأخترقت سقف الغرفة عند قاعدة الثريا في غرفة نومي ونزل علي بعض المسحوق الأبيض من السقف وأنا جالسة على السرير."
وسكتت ملك وسألت هدير بلهفة وكأنها طفلة تستمع لقصة مثيرة: "وماذا حدث وقتها؟"
وأجابت ملك: "صرخ ساهر: "مرحى هاهو عشيقك الهمام جاء لينقذك يا هانم، وكيف دخل إلى الشقة؟ بمفتاحها وكأنه هو صاحب البيت. الهانم أعطته المفتاح. لماذا جئت الآن. لابد أن عشيقتك أخبرتك أنني سأقضي الليلة في الخارج وقد أعطت الشغالة إجازة وأرسلت ولدينا مع مربياتهما في نزهة كي تكون وحيدة تمامًا عندما تأتي أنت إلى بيتنا. أخرج أنا وتدخل أنت. آه يا حيوانات يا فجرة. سأقتلكما. سأقتلكما الآن وفورًا." كان ساهر يصوب مسدسه نحوي وتصرف حسني بسرعة. ألقى المسدس من يده وأنطلق يتحرك بسرعة وتقريبًا قفز على ساهر والذي لم يكن يتوقع سرعة حركته وأمسك حسني بيد ساهر الممسكة بالمسدس ولواها وظل يدفعها إلى أعلى محاولاً أن يفقد ساهر السيطرة على المسدس لينتزعه من يده. تصارعا لدقائق ثم فجأة انطلقت رصاصة وارتخى جسد ساهر بين يدي حسني وتركه حسني فسقط هو ومسدسه على الأرض."
انتفضت المرأة فجأة وكأنها كانت تعيش تلك الأحداث ثانية وقت حدوثها ثم قالت: "أنا للحظات لم أصدق عيني. ظللت أنظر إلى جثة ساهر على الأرض وأحسست أنني سأفقد وعيي وصحت بحسني: "حسني. أنت قتلته." كان حسني يحملق بالجسد الساكن على الأرض وكأنه لا يصدق ما يراه وقال منفعلاً: "والله إنني لم أقصد ذلك. لقد كان يلوي ذراعي محاولاً تحرير ذراعه من قبضة يدي كي يضربني بالرصاص وأنا كنت أدفع بذراعه إلى أعلى وألويه محاولاً

أنتزاع المسدس من يده وهو من ضغط على الزناد فجأة وأنطلقت الرصاص لتستقر في رأسه. ماذا سنفعل الآن؟" وصرخت أنا في حسني: "اذهب الآن فورًا. إذهب واحذر أن يراك أحد تنزل من العمارة الآن. لو وجدوك الآن فسيتعقد كل شيء. خذ مسدسك معك وأذهب."

وتوقفت ملك عن الكلام وسألها يوسف: "وماذا حدث بعد ذلك؟"

وردت ملك: "ظللت جالسة على السرير وأنا لا أدري ماذا أفعل، وفجأة وجدت أمامي إنجي. يبدو أن حسني من فرط تسرعه لم يغلق الباب بالكامل وراءه عندما غادر الشقة ووجدت انجي الباب مفتوحًا وسمعت صوت بكائي من خارج الشقة فدخلت. لم تكن إنجي قد أخبرتني أنها قادمة لزيارتي. نظرت إنجي إلى جثمان ساهر على أرضية غرفتي والدم يسيل من رأسه وبجانبه مسدسه وقالت: "هل مات ساهر؟" ورددت أنا عليها: "نعم. لقد مات." وسألتني إنجي: "ما الذي حدث؟" وأجبتها: "ساهر مات. من فضلك اتصلي بالشرطة." وقالت إنجي: "لو اتصلنا الآن بالشرطة فسيكون مصيرك إما حبل المشنقة أو سجن طويل جدًا." وسألتها وأنا أبكي: "وماذا يمكنني أن أفعل؟" كنت أتوقع أن تواسيني إنجي وتقول لي أن هذا هو قدري ولا مفر من وقوع القدر، ولكن إنجي أجابتني فورًا: "لابد أن يظهر الأمر أمام الشرطة وكأن هذه هي حادثة انتحار. هيا نحمل الجثة ونضعها في غرفته ونزيل البصمات عن المسدس ونضع بصماته هو على المسدس ونقول أنه قد قتل نفسه."

وسكتت ملك للحظة وأكملت إنجي بشيء يشبه الفخر: "قالت لي: "هل جننت؟" وأجبتها أنا: "هذا هو الحل الوحيد." ونزلت أنا على ركبتي وقلت لملك: "الحمد لله. لم ينزل الكثير من الدم من رأسه. إذهبي واحضري قطعة قماش وبعض الماء حتى نزيل بقعة الدم من على السجادة."

وقالت ملك: "وأنا وقتها ذهبت ولم أكن أفكر. ملئت وعاءًا كبيرًا بالماء ولم أنتبه أنني فتحت صنبور الماء الساخن. كنت ابحث عن

الاسفنجة ووجدتها أثناء ملء الوعاء، وعدت وأخذت أعالج بقعة الدم ابتغي ازالتها وهنا صرخت في إنجي: "ما هذا! ماء ساخن. هكذا ستثبت البقعة في السجادة. هل أنت مجنونة؟" وأجبتها وأنا أبكي: "أنا لم أكن أفكر. لا تؤاخذيني يا إنجي. وردت علي إنجي بهدوء: "لا عليك. سنحتاج لحمل هذه السجادة من مكانها ووضع هذه السجادة وفرشها في غرفته ووضع الجثة عليها بحيث تكون بقعة الدم تحت رأسه تمامًا. لابد أن هناك دمًا قد تسرب إلى الباركيه تحت هذه السجادة. سأحضر أنا ماءًا باردًا هذه المرة وأقوم بإزالة الدم. إفتحي الشباك حتى نتخلص من رائحة الدم." وصحت أنا بإنجي:"لا يمكن طبعًا أن نغير السجادتين."
سكتت ملك وقالت إنجي مبتسمة: "قلت لها: "هذا هو الحل الوحيد. لا يمكن أن نقول أن زوجك قد انتحر في غرفتك. لابد أن يكون قد انتحر في غرفته وإلا فكيف ستقتنع الشرطة أن الحادثة انتحار؟"
وصاحت بي ملك: "ولكن هذا لن ينفع يا إنجي. غرفتي أكبر بكثير من غرفة ساهر. سجادة غرفته ستبدو صغيرة جدًا على هذه الغرفة بينما ستبدو سجادة غرفتي كبيرة جدًا على غرفته. كما أن هناك مسألة الألوان. غرفته يسيطر عليها اللونان الأبيض والأزرق وسجادته زرقاء بينما أن سجادتي بنية وجميع آثاث غرفتي بني اللون كما ترين." وأجبتها: "يا ملك. لا أعتقد أن الشرطة ستحضر معها خبيرًا في الديكور عندما تأتي لمعاينة الحادثة. هيا بنا. لنتعاون في حمل جثته ونضعها في حمام غرفته ثم بعد ذلك علينا أن ننظف الحمام بشكل جيد لإزالة الدماء التي ستخرج من جسمه في الحمام. هيا، لا يجب أن نتأخر في الاتصال بالشرطة."
وابتسمت ملك وهي تربت على كتف إنجي وتقول: "الحق أن إنجي كانت رائعة. هي رتبت كل شيء ليبدو وكأن الحادثة انتحار وعندما جاءت الشرطة لم يشتبهوا أبدًا أن وفاة ساهر رحمه الله كانت شيئًا غير الانتحار، وكما أصرت إنجي على تلقيني وكما كان على أن أعيد وراءها ما كانت تقنعني به في تلك الليلة، فقد كانت جميع مظاهر الانتحار وجميع أسبابه تنطبق على ساهر. ساهر مات في

غرفته والرصاصة دخلت في رأسه فوق أذنه في المكان الذي يصوب عليه عادة المنتحرون مسدساتهم، ومات بمسدسه وكانت توجد بصماته هو فقط على المسدس والزناد. فيم يمكن أن تشتبه الشرطة وقد كان معروفًا للجميع أن ساهر كان غنيًا جدًا منذ فترة ليست بالطويلة وفقد ثروته وأنه كان عصبيًا للغاية بعد ذلك مما قد يعني أنه كان يمر بحالة اكتئاب."

وسألتها أنا: "وطبعًا كان مسدس الحاج حسني كاتمًا للصوت؟"

وأجابت ملك: "ساهر كان قد اشترى مسدسين في آخر مرة زار فيها أمريكا أيام كان والده حيًا. كان المسدسين مزودين بكاتم للصوت كجزء أساسي من المسدس نفسه. ساهر أراد أن يحتفظ بأحدهما ويعطي الأخر لوالده ولكن الحاج والده رحمه الله رفض تمامًا أن يأخذ منه السلاح وقال أنه عاش حياته كلها ولم يضطر يومًا لحمل سلاح قط وأنه يتوكل على الله ولن يغير ما اعتاد عليه في سنين كبره، وعندما اشتكى لنا حسني مرة من أن هناك عصابة تنافسه على مناقصة كبيرة وأنه أصبح يخاف على نفسه، أعطاه ساهر ذلك المسدس الذي كان قد اشتراه لوالده."

وسألت إنجي: "الآن وقد عرفتم كل شيء، ماذا تنوون أن تفعلوا؟"

ونظرت أنا وهدير ويوسف إلى بعضنا البعض.

وقال يوسف: "لقد بدأنا هذا الموضوع كي نتسلى ونُحدث بعض التغيير في حياتنا. دخولنا موضوع ساهر رحمه الله كان أمرًا غير مقصودٍ بالنسبة لنا في البداية. طبعًا لا يمكن لأحد أن يعتبر أن حديث الوسيط في جلسة استدعاء الموتى يصلح كدليلٍ في قضية جنائية ولا يمكننا أن نذهب إلى الشرطة ونقول لهم أن كل ما فعلناه وكل أدلتنا هي بناء على حديث وسيط في جلسة استدعاء للموتى بينما الوسيط نفسها لا تذكر شيئًا عما قالته في تلك الجلسة. وطبعًا ما قالته لنا إنجي وملك الآن هو سر لا يمكننا أن نذيعه. أنا رأيي أن نتصرف وكأننا لم نعقد جلسة استدعاء للموتى ولم نعرف شيئًا عن الموضوع من البداية."

ورفعت إنجي يدها وهي تقول: "الموافق على ما يقوله يوسف يتكرم برفع يده."
ورفعت أنا وهدير ويوسف أيدينا.
وصاحت إنجي: "إجماع. إذن نحن قد اجتمعنا على أنكم لن تقولوا شيئًا على الإطلاق."
وقال يوسف فجأة: "ماذا عن الشبح؟ هل نسيان هذا الأمر كله يرضي الشبح الذي يبحث عن ثأره؟"
وأجابت إنجي: "أي شبح؟"
ورد يوسف: "شبح ساهر رحمه الله. الشبح الذي حضر جلسة استدعاء الموتى وطاردنا بعدها."
وردت إنجي: "فريدة الوسيط في تلك الجلسة لم تكن تتصل بأي أشباح أو أموات خلال تلك الجلسة، لقد كانت تقرأ أفكاري أنا. أنا ذهبت إلى تلك الجلسة وأنا متعبة وركبتي مجروحة وأشعر بالبرد الشديد رغم سخونة الجو بسبب الصدمة التي أصابتني حين رأيت ساهر ميتًا وما عانيته في تلك الليلة وخوفي من أن تضعف ملك أمام الشرطة وتُفشي لهم تحت الضغط كل شيء. وكأن كل ما حدث في تلك الليلة لم يكن يكفيني فقد قمت أتقيأ وأفرغ ما في معدتي وأصابني الذعر عندما بدأت الوسيط تتكلم وكأنها تتحدث على لساني وتروي تفاصيل حالتي بالضبط ثم تستطرد لتصف تفاصيل وفاة ساهر ودوري أنا في إخفاء الجريمة. حاولت أن أبقي ذهني خاليًا كي لا تقرأ الوسيط أفكاري وأنا جالسة إلى جانبها ولكن الأفكار والذكريات الخاصة بتلك الليلة بقيت تتداعى إلى عقلي واستمرت الوسيط فريدة في قراءة أفكاري بصوت مسموع وكانت ليلة عصيبة جدًا بالنسبة لي بسبب ذلك."

الفصل الأحد عشر: قرارنا النهائي:

كانت تلك المعلومة مفاجأة لي، ونظرت إلى يوسف والذي كان يحملق مندهشًا في إنجي، وقلت لها أنا: "هذه أول مرة أسمع فيها هذا الكلام. فريدة تقرأ الأفكار!!"

وأجابت إنجي: "نعم. فريدة لم تكن تتصل بالأموات ولم تكن تتصل بالأشباح. كانت تقرأ أفكاري. من الواضح أن فريدة في كل الجلسات التي كانت تقوم فيها بدور الوسيط لا تتصل بأي قوى خارجية ولا أشباح ولا أموات. هي فقط تقرأ أفكار من يجاورها في تلك الجلسة. هل تذكر موضوع العصا التي كتبت كلمة ثمانية مساءًا على رمال الشاطيء في ذلك المنتجع السياحي في جلسة استدعاء الموتى الثانية. أنا كنت موجودة في ذلك المنتجع مع ملك والحاج حسني ورأيت العصا وهي تكتب كلمة "الثامنة مساءًا."عندما آتيت أنت في تلك الليلة التي تم فيها عقد جلسة استدعاء الموتى الثانية بتلك العصا لم أكن أنا أعرف أنها عصا الحاج حسني ولكني عرفت ذلك عندما روت فريدة تلك الواقعة وحددت اسم المنتجع، أما عن معرفة فريدة أن الرصاصة كان يمكن استخراجها فقط من الطابق العلوي فوق شقة ملك، فأنا لا أعرف من أين جاءت بتلك المعلومة. لعل تلك المعلومة كانت موجودة في عقلي الباطن طوال الوقت."

وقالت هدير مندهشة: "أنت تقولين أن فريدة في كل الجلسات التي كانت تحضرها كوسيط كانت تقرأ أفكار من يجاورها فقط. لماذا لم يخبرها أحد بذلك قبل الآن؟"

وردت إنجي: "لا أعرف. ربما هي تقرأ أفكار شخص يكون منفعلاً ويكون في حالة خاصة ولديه ما يهمه أن يخفيه في الليلة التي تحدث فيها مثل تلك الجلسة، ووقتها يظل ذلك الشخص الذي تتم قراءة أفكاره صامتًا ولا يخبر أحدًا بعد ذلك أن الوسيط كانت تقرأ أفكاره لأن لديه ما يخفيه. هو فقط يتصرف وكأنه قد أصابته الصدمة وربما بدرجة أقل مما تصرفت أنا في الجلسة الأولى التي قامت فيها فريدة بدور الوسيط في شقة خالتي سامية. وطبعًا جميع من يكونون حول ذلك الشخص في مثل تلك الجلسات التي عادة ما تُسمى بجلسات استدعاء الأموات يفسرون تصرفاته الغريبة بأنها نتيجة لغرابة التجربة نفسها ويقولون أن المسكين قد تأثر فقط بما حدث في تلك الجلسة. أنا لم أرى أي شبح بعد تلك الجلسة وأعتقد أنكم أنتم كذلك لم تروا أشباحًا. أنتم فقط كنتم متأثرين بالتجربة

الغريبة التي مررنا كلنا بها في ليلة الجلسة الأولى التي تم عقدها في شقة خالتي سامية، وما إن اعتدتم على ما يحدث في مثل تلك الجلسات حتى توقفت الأشباح عن الظهور لكم. لقد كانت جلسات قراءة أفكار فقط ولا علاقة للأشباح أو الأموات بها."

لم نعرف بماذا نرد على إنجي بعد قولها هذا. وبعد قليل من ذلك اعتذرت ملك وإنجي أن الوقت قد تأخر وغادرتا المكان وتركتاني أنا ويوسف وهدير في بيتهما وحدنا.

وقالت هدير بلهجة من تتعاطف مع شخص ما: "ملك تبدو وكأنها في أسوأ حالاتها. تبدو شاحبة الوجه ووجهها مليء بالتجاعيد وحتى حركتها ومشيتها وطريقة جلوسها توحي بالتعب والاكتئاب وربما كان قد أصابها مرض ما."

ومال يوسف إلى الجانب ونظر إلى هدير والتي كانت تصب الماء استعدادًا لعمل مجموعة ثانية من المشروبات لنا، وكأن يوسف كان يريد أن يخبرها بأن تحمد الله أن لها زوجًا على قيد الحياة وقال: "في بعض الأحيان هذا ما يفعله موت الزوج على بعض النساء. تشعر وكأنها قد فقدت الشخص الذي تعتمد عليه بعد الله سبحانه وتعالى في أن يفعل لها كل شيء في هذه الدنيا، وعلى الرغم من خيانتها لزوجها إلا أنه من الواضح أن علاقتها بالحاج حسني لم تصبح أفضل بعد وفاة زوجها. هي ظلت تقيم بالإسكندرية ولم تعد إلى القاهرة. هو قتل زوجها لكي لا يفتضح أمر علاقته بها ولكن من الواضح أن قتله لزوجها قد دمر العلاقة بينهما."

وأجبت أنا معقبًا على كلام يوسف: "ربما كانت خطيئة قتل الزوج أكثر من أن تحتمل ملك والحاج حسني. ربما الإحساس بالذنب قد فرقهما للأبد."

وغيرت هدير لهجتها المتعاطفة وقالت بسخرية: "يا لها من ملاحظات عميقة. هذه هي العقلية الرجالية الضيقة. أنتما معًا لم

تلاحظا الماكياج الكثيف الذي كانت تضعه تلك المرأة ملك على وجهها."

وقال يوسف غاضبًا: "العقلية الرجالية الضيقة أم العقلية النسائية المتجنية. أنتم النساء لا تحتمل إحداكن أن ترى أن هناك إمرأة متميزة غيرها، بل تتجنين على بعضكن البعض، وحتى والمرأة في هذه الحالة الكئيبة، تقولين عنها ما ليس فيها. أي ماكياج كانت تضعه المرأة! لقد كانت تبدو شاحبة منهارة وكأنها ستسقط من فوق الكرسي من فرط ضعفها وحتى طريقتها في الحديث كانت بطيئة وكأنها لا تستطيع أن تلفظ الكلمات."

وصاحت إنجي: "هذا تمثيل يا حبيبي. طبعًا كانت تبدو شاحبة متعبة وذلك لأنها كانت تضع ماكياج يجعلها شاحبة يا عبقري. لم تضع ماكياج لكي تجعل خدودها أكثر حمرة أو لتحسين لون بشرتها أو إبراز جمال عينيها، بل فعلت العكس. المرأة خبيرة في الماكياج لدرجة أنها استعملت ألوان الأزرق والأصفر وكريم الأساس لكي تعطي إحساسًا بأنها ذابلة شاحبة وزادت بالماكياج من إبراز التجاعيد التي عادة ما تحرص بالماكياج على إخفاءها، فبدت وكأنها قد هرمت عشرين سنة بل وبدت وكأنها مريضة."

ونظرت أنا إلى يوسف. هل لاحظ هو شيئًا من هذه الأشياء، وبالفعل فإذا فكر المرء في الأمر فإن الجلباب الأسود الذي كانت ترتديه تلك المرأة ملك في هذه الليلة وطبقًا لما سمعته عنها لم يكن من الأشياء التي كانت لترتديه عادة ما لم تكن قد قصدت أن تصنع تأثيرًا ما يوحي بالضعف كي تثير الإشفاق في نفس من يقابلها. هل كنت أنا ويوسف ضحية لعملية خداع أنثوية منظمة، وهز يوسف كتفيه بمعنى أنه لا يدري ورأيت في عينيه نفس التساؤلات.

وأردفت هدير: "سامحك الله يا إنجي. لابد أنها وإنجي الآن تضحكان لأنهما خدعتانا. هناك ألوان في علب الماكياج الكبيرة لا يتم استخدامها عادة لأنها تصنع عكس التأثيرات التي تهدف إليها

النساء عادة عندما تضعن الماكياج. تستخدمها النساء الخبيرات في وضع الماكياج لإدعاء المرض. آمل أن تكونا يا عبقريين لازلتما متعاطفين مع المسكينة الحاجة ملك التي أنهارت بعد موت زوجها بسبب ما يصنعه موت الزوج في بعض النساء يا يوسف. أراهن أننا في خلال سنة واحدة سنسمع عن زواجها بالحاج حسني. هناك الآن في المجلات المختصة بالمشاهير وفي مواقع التواصل وحتى على على اليوتيوب أخبار عن خلافات الحاج حسني مع زوجته واقتراب انفصالهما. الجميع يعرف أن علاقتهما لفترة طويلة لم تكن جيدة. ولماذا يحدث الانفصال الآن ؟ لكي يتم إخلاء البيت والحاج نفسه للزواج من حبيبة القلب والتي أصبحت خالية بعد أن توفى زوجها. لم يعد لديها زوج، ومن هو السبب في ذلك؟ الحاج حسني قتل الرجل ويوشك أن يتزوج زوجة من قتله بينما أنتما ستتركانه يفلت وأنتما جالسان تشعران بالشفقة على عشيقته."

ورد عليها يوسف بغضب: "ولماذا لم تتحدثي بهذا أمامهما؟ لا أعتقد أنه ينقصك لسان. لماذا انتظرت حتى خرجت المرأتان من بيتنا ثم قلت لنا هذا الآن؟""

وردت هدير: "تحرجت من إنجي إبنة خالتي. أنت رأيت كم كانت تدافع بحرارة عن صديقتها وتقول أن صديقتها لم تكن مخطئة، وأنت تعرف إنجي حين تكون محتدة. لم أرد أن يصل الحوار لنقطة أفقد معها علاقتي بإبنة خالتي، ولكن الآن أنا أرى أننا يجب أن نرفع الأمر إلى السلطات المختصة. إنجي لم تقتل وكذلك ملك لم تقتل. أنا أرى أن نرد على محاولة خداعهما لنا بإبلاغ السلطات عن الحاج حسني السباعي."

ورد يوسف بشكل نهائي: "أنا لا شأن لي بهذا الأمر، وصدقيني لو حدث تحقيق شرطي في هذا الأمر فسنسجن أنا ومحمود وملك وإنجي وربما سلامة البواب ولن يقضي الحاج حسني السباعي يومًا واحدًا في السجن. لديه في شركته أحد أقوى الأقسام القانونية

الموجودة في شركات مصر ويقود ذلك المكتب أستاذ متخصص في القضايا الجنائية، وقد تلقى أعضاء ذلك القسم تدريبًا كثيفًا على مدى السنين السابقة من خلال دفاعهم عن المصائب التي ارتكبها الحاج حسني وأخرجوه منها كالشعرة من العجين. وجهت إلى الحاج حسني من قبل تهمًا في قضايا انهيارعقارات بنتها شركة الحاج حسني وقضايا فساد ورشوة .. إلى آخره، وفي كل مرة كان يُسجن المهندسون ومقاولوا الباطن وموظفون من شركته بينما يتم تبرئة الحاج حسني من أية مسئولية عن أي شيء، ويتم نشر شائعات على أن الرجل المسكين قد وضع ثقته في الأشخاص الخطأ وقد قاموا بخداعه وهاهم يُعاقبون بينما يخرج هو حرًا طليقًا مكرمًا مشهورًا، بل ومحترمًا من الجميع، دون أن يقضي يومًا واحدًا في السجن، وجميع شركات المقاولات في طول البلاد وعرضها تعرف ذلك. اسألي محمود."

ورددت أنا أؤكد كلامه وقلت لهدير: "ما يقوله يوسف هو الحقيقة للأسف يا هدير. كذلك فإنه ليس لدينا أي دليل على اشتراك الحاج حسني في هذا الأمر. لقد استخرج الرصاصة التي كانت الدليل المادي الوحيد على أن هناك رصاصة قد خرجت من مسدسه واستقرت في سقف الغرفة وتلك الرصاصة كانت الشيء الوحيد الذي كان من الممكن أن يربطه بجريمة القتل."

وقالت هدير وهي تتراجع وكأنها تدرك أنها تخسر تلك المجادلة: "هناك العصا الموجودة في بيت محمود."

وأجابها يوسف: "كوني واقعية يا هدير. لن يسجن الحاج حسني بجلالة قدره بسبب عصا لابد أن من صنعها صنع غيرها مشابهة لها، كما أن قدرة الحاج حسني على إيجاد شهود نفي معروفة. في الليلة التي مات فيها ساهر القصاص سيأتي الحاج حسني بعشرة شهود يشهدون أنه كان في اجتماع مطول معهم طوال تلك الليلة."

وردت هدير وهي لا زالت تجادل: "أنا وأنت يا يوسف رأينا سائق الحاج حسني في السيارة الصغيرة في تلك الليلة التي مات فيها ساهر القصاص حين خرجنا من بيتنا وكنا نركب السيارة استعدادًا للذهاب إلى بيت خالتي سامية، ومادام سائق الحاج حسني كان هناك فلابد أن مخدومه الحاج حسني كان موجودًا في بيت ساهر القصاص في تلك الليلة."

ورددت عليها أنا: "أنت قلتها الآن يا هدير. رأيتم السائق ولم تشاهدوا الحاج حسني نفسه. سيقول أنه قد أرسل السائق بهدايا، ولن يشهد السائق ضد مخدومه. صدقيني أول من سيتم إيذاؤه في هذا الأمر هو ابنة خالتنا إنجي وملك والتي لم تقتل زوجها. وعلى الرغم من أنها وإنجي قد تكونا قد أتيتا في هذه الليلة تريدان خداعنا. ربما، كما تقولين، ضحكت إنجي وملك معًا عندما نجحتا في خداعنا بالماكياج ولكن ما فعلته ملك عند وفاة زوجها لا يدل على شيء من البراعة أو الذكاء أو القدرة على الخداع."

وأجاب يوسف معززًا لكلامي: "لو كانت ملك هذه ذكية كما تظن نفسها لصرخت وقتما قتل الحاج حسني زوجها وجمعت عليه الناس وبرأت نفسها بأن سلمت القاتل الحقيقي للشرطة. أما أن تترك نفسها توجد في موقف تكون فيه وحدها مع جثة زوجها في البيت والجثة في غرفتها فهذا لا يدل على شيء من الذكاء. يدل فقط على ما قالته فيها إنجي من أنها تتصلب في مكانها حين ترى مشاهد عنف ولا تستطيع أن تتحرك أو تفكر."

وقالت هدير: "هذا طبعًا لو صدقنا ما قالته إنجي."

ورددت عليها أنا: "كوني منصفة يا هدير. لا أظن أن إنجي كانت تكذب ونحن جميعًا نعرف كم هي مستعدة للتضحية بنفسها لإنقاذ أصدقاءها أو مساعدة أي من الأشخاص الذين تعرفهم لو آمنت بعدالة موقفهم. الأمر هو كما حكته ملك. إنجي أنقذتها وعانت بعد ذلك من الأمر وهذا ما يحدث لإنجي عادة."

وقال يوسف: "وفي النهاية فلا أحد يفلت للأبد، ولنا في فرعون عبرة. فرعون هذا كان له جيوش وأعوان وأتباع، بل وقوم يعبدونه أو قولي يتظاهرون بعبادته، حتى صدرت كلمة الله بهلاكه وانتهى به الأمر غارقًا وغرق جيشه كله معه وتبعتهم لعنة الله على مدى القرون بعد موته. لا أحد يفلت ولكننا لا نملك أي دليل وحتى الرصاصة استخرجها الحاج حسني ولم يعد يمكن الاعتداد بها كدليل ضده، وأنا لم أر وجهه في الليلة التي ضربني فيها والعصا ليست دليلاً كافيًا. لو أثرنا هذا الأمر فسنسجن جميعًا وسيظل هو مطلق السراح."

وصاحت هدير: "فرعون ظل لفترة طويلة يدعي الألوهية لأن الناس جميعًا خنعوا له ولم يجد من يرده عن غيه ويقف في مواجهته."

وقتها شعرت أنا بالأسف ليوسف بسبب رأس هدير المتحجر وعنادها وقلت لها: "صدقيني يا هدير. لن نستطيع أي شيء، وسينتهي الأمر بشكل مؤسف لنا جميعًا. ستسجن إنجي وسيضيع مستقبل ولدي ساهر القصاص إذا سجنت والدتهما، هذا بخلاف إمكانية سجني أنا ويوسف بسبب دخولنا إلى أماكن لا تخصنا. اسمعي أنا لا شأن لي بهذا الأمر وسأنكر كل شيء إذا تم استدعائي لتحقيق شرطي. أنا رجل مقبل على الزواج وأريد أن أركز على حياتي القادمة بدون مشاكل مع شخص ذي نفوذ قوي مثل الحاج حسني. يكفي الوقت الذي ضاع من حياتي في محاولة لاثبات براءتي من تهم سابقة بسبب اصطدامي بأشخاص مثل حسني السباعي."

وصاح يوسف: "وأنا متزوج حديثًا من زوجة عنيدة تريد أن تزج بي في مشكلة كبيرة ولكني مع ذلك أحبها وأحب أن ينجح زواجي منها، ولدي شركة ناشئة أريد لها أن تكبر وتصبح شركة عملاقة تنافس شركة الحاج حسني ولا وقت لدي لا لمعاداة الحاج حسني

ولا للتفكير في تلك الليلة التي مات فيها ساهر القصاص. أنا بالفعل نسيتها. فلننس الأمر ولنركز على حياتنا."

وحملت أنا الجاكت الخاص بي وقلت: "انتهى هذا الأمر تمامًا. بإذنكما. القطار الذي استقلته أمي من الاسكندرية إلى القاهرة سيأتي خلال حوالي الساعتين من الآن وأريد أن أسرع كي استقبلها على رصيف المحطة عندما يصل القطار من الإسكندرية."

وخرجت أنا من باب الشقة تاركًا خلفي يوسف وهدير وحدهما وأنا أرجو ألا تبدأ هدير الشجار مع يوسف مجددًا محاولة فرض وجهة نظرها من أننا يجب أن نجعل الحاج حسني السباعي يدفع ثمن جريمته.

تمت بحمد الله وتوفيقه،،،

عبير عبد الرزاق شحاتة

رواية/ جلسة استدعاء الموتى أو
مشاهد غير مرئية

جميع الحقوق محفوظة للكاتبة: عبير عبد الرزاق إبراهيم شحاتة

عن قصة الأديبة الأمريكية: ماري روبرتس راينهارت

غلاف رواية جلسة استدعاء الموتى تم عمله على برنامج باور بوينت باستخدام خلفية عبارة عن صورة مجانية بالنسبة لحقوق الملكية الفكرية لها من انتاج الفنان/ صامويل بيرنر موضوعة على موقع Unsplash للصور المجانية.

samuel-berner-lXS5y5v280Y-unsplash(1).jpg

رقم الإيداع بدار الكتب: 14365/2022

رقم الترقيم الدولي:ISBN 978 - 977-94-2400-2

سوف يتعرض كل من يقوم بإستخدام هذا المؤلف بشكل غير مصرح به أو إعادة طبع هذا المؤلف بأية وسيلة سواء كانت الكترونية أو آلية بما يشمل أنظمة التخزين والاسترجاع أو الاقتباس عن هذا المؤلف أو تقليده أو استخدامه في عمل فني أو عرضه أو أي جزء منه على شبكة الانترنت أو نسخه، أو تصويره، أو ترجمته، أو تحويره، أو الاقتباس منه كليًا أو جزئيًا دون الحصول على إذن مسبق مكتوب من المؤلفة للمساءلة القانونية إلى أقصى حدود القانون

إقرار:

كل أحداث هذه الرواية وشخصياتها خيالية تمامًا، وكل تشابه بينها وبين الواقع هو من قبيل الصدفة البحتة.

جلسة استدعاء الموتى

تأليف: د. عبير شحاتة
عن قصة: ماري روبرتس راينهارت

وتمضي الأيام هانئة .. هادئة .. سعيدة .. فيما عدا أن رجلاً مات بإطلاق النار على رأسه وهناك شبح يزور بيوتًا مختلفة بدون إذن في أوقات غير منتظمة .. وأشياء أخرى غريبة تحدث ليلاً ... ولكننا لن نقلق كثيرًا بشأن تلك الأشياء.